المجلد الاول من تفسير الكشاف للعلامة الزمخشري رحمه

هو المالك

کتابخانه
میرزا جعفر سلطان القراء
تبریز ۱۳۶۵ قمری

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً، ونزّله بحسب المصالح منجماً، وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً، وأوحاه على قسمين متشابهاً ومحكماً، وفصّله سوراً وسوّره آيات، وميّز بينهن بفصول وغايات، وما هي إلا صفات مبتدئ مبتدع، وسمات منشئ مخترع، فسبحان من استأثر بالأولية والقدم، ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم، أنشأه كتاباً ساطعاً تبيانه، قاطعاً برهانه، وحياً ناطقاً ببينات وحجج، قرآناً عربياً غير ذي عوج، مفتاحاً للمنافع الدينية والدنياوية، مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية، معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان، دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان، أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم به من تحدّي به من مصاقع الخطباء، فلم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم، على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء، وأوفر عدداً من رمال الدهناء، ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادّة والمضارّة، وإلقائهم الشراشر على المعازّة والمعارّة، ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط، وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط، إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر، وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر، وقد جرّد لهم الحجة أولاً والسيف آخراً، فلم يعارضوا إلا السيف وحده، على أن السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حدّه، فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب، وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب، والصلاة على خير من أوحي إليه حبيب الله أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي، وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي، المثبّت بالعصمة، المؤيد بالحكمة، الشادخ الغرة، الواضح التحجيل، النبي الأمي المكتوب في التوراة والإنجيل، وعلى آله الأطهار، وخلفائه من الأختان والأصهار، وعلى جميع المهاجرين والأنصار، اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية، وأقدام الصنّاع فيه متقاربة أو متساوية، إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطى يسيرة، أو تقدّم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة، وإنما الذي تباينت فيه الرتب، وتحاكّت فيه الركب، ووقع فيه الاستباق والتناضل، وعظم فيه التفاوت والتفاضل، حتى انتهى الأمر

إلى أمد من الوهم متباعد، وترقّى إلى أن عُدّ ألف بواحد، ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر، ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار، لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم، وإلا واسطتهم وفصّهم، وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم، عناة في يد التقليد لا يمنّ عليهم بجزّ نواصيهم وإطلاقهم، ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن، فالفقيه وإن برّز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرّية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهّل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانّهما همّة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ، كثير المطالعات، طويل المراجعات، قد رجع زماناً ورُجع إليه، وردّ وردّ عليه، فارساً في علم الإعراب، مقدّماً في حلبة الآداب، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها، مشتعل القريحة وقّادها، يقظان النفس درّاكاً للمحة وإن لطف شأنها، منتبهاً على الرمزة وإن خفي مكانها، لا كزّاً جاسياً، ولا غليظاً جافياً، متصرفاً ذا دربة بأساليب النظم والنثر، مرتاضاً غير ريّض بتلقيح بنات الفكر، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف، طالما دفع إلى مضايقه، ووقع في مداحضه ومزالقه، ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية، الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية، كلما رجعوا إليّ في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب، أفاضوا في الاستحسان والتعجب، واستطيروا شوقاً إلى مصنف يضم أطرافاً من ذلك، حتى اجتمعوا إليّ مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد، والذي حداني على الاستعفاء على علمي أنهم طلبوا ما الإجابة إليه عليّ واجبة، لأن الخوض فيه كفرض العين، ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله، وركاكة رجاله، وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم، فضلاً أن تترقى إلى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان، فأمليت عليهم مسألة في الفواتح، وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة، وكان كلاماً مبسوطاً كثير السؤال والجواب، طويل الذيول والأذناب، وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم، وأن يكون لهم منارا ينتحونه، ومثالاً يحتذونه، فلما صمم العزم على معاودة جوار الله، والإناخة بحرم الله، فتوجهت تلقاء مكة، وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها وقليل ما هم، عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك المملى، متطلعين إلى

في ح

والأذناب

الموازنة الكرش. ٤٧

الى

إلا بآية جرامشا على العقبات فهززنا ما ذابت من عطفي وحركنا الساكن من نشاطي فلما حططت رحلي بمكة إذا أنا
بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الأمير الشريف الإمام شرف آل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي الحسن
علي بن حمزة بن وهاس أدام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم أعطش
الناس كبدا وألهبهم حشا وأوفاهم رغبة حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو
فيه من المشاغل بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل إلى إصابة هذا الغرض فقلت
قد ضاقت علي المستعفى الحيل وعيت به العلل ورأيتني قد أخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي المستقالة
سماها العرب دقاقة الرقاب فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر
ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في أكثر
من ثلاثين سنة وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة أفيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم أسأل
الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤول ٥

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مكية ومدنية لأنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى

وتسمى أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو أهله ومن التعبد بالأمر والنهي
ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لأنها تثنى في كل ركعة وسورة
الصلاة لأنها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق
إلا أن منهم من عد أنعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس **بسم الله الرحمن الرحيم**
قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وإنما
كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل أمر ذي بال وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله
ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة
ومن كل سورة وعليه الشافعي رحمه الله وأصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف
مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها وعن ابن عباس من
تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله **فإن قلت** بم تعلقت الباء **قلت** بمحذوف تقديره بسم الله
أقرأ أو أتلو لأن الذي يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر إذا حل أو ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى
بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ
له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع آيات إلى فرعون وقومه أي اذهب في تسع آيات وكذلك
قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الأعرابي باليمن والبركة بمعنى أعرست أو نكحت ومنه قوله
فقلت إلى الطعام فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعاما **فإن قلت** لم قدرت المحذوف متأخرا **قلت** لأن الأهم
من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لأنهم كانوا يبدؤن بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى

فوجب

فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله إياك
نعبد حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها **فإن قلت** فقد
قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل **قلت** هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم
فإن قلت ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت
بالقلم على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله
لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر وإلا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما
يفعل الكتب بالقلم والثاني أن يتعلق بها تعلق الدهن بالإنبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله أقرأ
وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه أعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن
فإن قلت فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله أقرأ **قلت** هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على
لسان غيره وكذلك قوله الحمد لله رب العالمين إلى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف
يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه **فإن قلت** من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد
أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال
لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر **قلت** أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها لازمة
للحرفية والجر والاسم أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا
يقع ابتداؤهم بالساكن إذ كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة
ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها
واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز
كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لأن التسمية تنويه بالمسمى
وإشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الأعلى **فإن
قلت** فلم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله باسم ربك **قلت** قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الا
بتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الألف وعن عمر بن عبد العزيز
أنه قال لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور الميم والله أصله الإله قال معاذ الإله أن تكون كظبية
ونظيره الناس أصله الأناس قال إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف
التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا إله والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع
على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة
على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم
يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر

فان قلت أاسم هو ام صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء
رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه
فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق
قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله اذا
تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش
الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج
ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم
كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن
من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء
لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من
مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا
المحمل اردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة
المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء
الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب
من تعنتهم في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من بابه اعني نحو عطشان
وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه
بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر
ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذن لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع
الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فان قلت ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف
والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته
ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه
فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم
فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها
اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على
حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال افادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس

الشكر

الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها
وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان
وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي عن كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع
الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر
التي ينصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك
ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها
كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه
قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم صلوات الله عليه حياهم
بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله
حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد
فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة
الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من
الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام
لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل
الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية
تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان
يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليهم فهو نم
ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره
على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرأ
زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين
العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع
قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في
حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم ملك يوم الدين
قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ ابو حنيفة رحمة الله عليه ملك يوم الدين بلفظ الفعل
ونصب اليوم وقرأ ابو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك
بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك
يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم

الاشف الافصل ١٢

كما دانوا فإن قلت ما هذه الإضافة قلت هي إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به
كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الأمر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك
اليوم فإن قلت فإضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه
صفة للمعرفة قلت إنما تكون غير حقيقية إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فكان في تقدير الانفصال
كقولك مالك الساعة أو غدا فأما إذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده أمس أو زمان مستمر كقولك
زيد مالك العبيد كانت الإضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز
أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف والدليل عليه
قراءة أبي حنيفة رحمة الله عليه ملك يوم الدين وهذه الأوصاف التي أجريت على الله سبحانه من كونه ربا
مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل
والدقائق ومن كونه مالكا للأمر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد
به في قوله الحمد لله دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه
بما هو أهله إياك نعبد وإياك نستعين إيا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء
والياء في قولك إياك وإياه وإياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الإعراب كما لا محل للكاف
في أرأيتك وليست بأسماء مضمرة وهو مذهب الأخفش وعليه المحققون وأما ما حكاه الخليل عن بعض العرب
إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله
قل أفغير الله تأمروني أعبد والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ إياك بتخفيف الياء وأياك بفتح
الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والأمر الذي إن تراحبت
موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة إذا كان
في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقا
بأقصى غاية الخضوع فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم
البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى حتى إذا
كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس
ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العائر الأرمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن أبي الأسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام
وتصرفهم فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء
إليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد
وأجري عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة

في

في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة
لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به
فإن قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون
إليه من جهته فإن قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا
الإجابة إليها فإن قلت لم أطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والأحسن أن تراد الاستعانة
به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا اهدنا
الصراط المستقيم وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون
هدى أصله أن يتعدى باللام أو بإلى كقوله إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم
فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح
الألطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وأبي رضي الله
عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الأمر والدعاء واحدة لأن كل واحد منهما طلب وإنما يتفاوتان في الرتبة وقرأ
عبد الله أرشدنا السراط الجادة من سرط الشيء إذا ابتلعه لأنه يسترط السابلة إذا سلكوه كما سمي لقما لأنه يلتقمهم
والصراط من قلب السين صادا لأجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن
جميعا وفصحاهن إخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر
ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الإسلام صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين صراط الذين أنعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كأنه قيل
اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فإن قلت
ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير و
الإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة
على أبلغ وجه وآكده كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم
والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لأنك ثنيت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وأوقعت
فلانا تفسيرا وإيضاحا للأكرم الأفضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين
فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون وأطلق
الإنعام ليشمل كل إنعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا أصابته واشتملت عليه وعن ابن
عباس هم أصحاب موسى قبل أن يغيروا وقيل هم الأنبياء وقرأ ابن مسعود صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم
بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة على معنى أنهم
جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فإن قلت كيف صح أن يقع

وحجزة الازار معقده وحجزة السراويل التي فيها التكة

صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وإن أضيف إلى المعارف قلت الذين أنعم عليهم لا توقيت فيه كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني
ولأن المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير إذن الإبهام الذي أبى عليه أن يتعرف وقرئ
بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير
في عليهم والعامل أنعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى
لقوله قد ضلوا من قبل فإن قلت ما معنى غضب الله قلت هو إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم وأن
يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته ورضوانه
فإن قلت أي فرق بين عليهم الأولى والثانية قلت الأولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على
الفاعلية فإن قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين
وتقول أنا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك أنا زيدا مثل ضارب لأنه بمنزلة قولك أنا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي
رضي الله عنهما أنهما قرآ وغير الضالين وقرأ أيوب السختياني ولا الضألين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه
لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه أبو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمي به
الفعل الذي هو استجب كما أن رويد وحيهل وهلم أصوات سميت بها الأفعال التي هي أمهل وأسرع وأقبل وعن ابن
عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد ألفه وقصرها قال
ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال أمين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل
آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال إنه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف
وعن الحسن لا يقولها الإمام لأنه الداعي وعن أبي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيها
وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال لأبي بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال
فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن حذيفة بن اليمان أن النبي عليه السلام
قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله
تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين اعلم أن الألفاظ التي
يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب إذا تهجيته
وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي أن المسميات لما كانت ألفاظا كأساميها
وهي حروف وحدان والأسامي عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية على المسمى فلم
يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لأنه لا يكون

إلا ساكنا ومما يضاهيها في إيداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها
العوامل أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد فيقال ألف لام ميم كما تقول واحد اثنان
ثلاثة فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب كقولك هذه ألف وكتبت ألفا ونظرت إلى ألف وهكذا كل اسم عمدت
إلى تأدية ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك أن تلفظ به موقوفا ألا ترى أنك
إذا أردت أن تلقي على الحاسب أجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها أغفالا من سمة الإعراب
فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو أعربت ركبت شططا فإن قلت لم قضيت لهذه الألفاظ بالاسمية وهلا
زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف فعلمت
أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الأسماء التي لا تقدح إشكالا
في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك أن قولك ألف دلالته على أوسط
حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا تفصل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين ألا ترى أن الحرف
ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولأنها متصرف فيها بالإمالة كقولك با تا وبالتفخيم
كقولك ياها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والإسناد والإضافة وجميع ما للأسماء المتصرفة
ثم إني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل أصحابه كيف تقولون إذا أردتم
أن تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف فقال إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا
بالحرف وقال أقول كه وبه وذكر أبو علي في كتاب الحجة في يس وإمالة يا أنهم قالوا يا زيد في النداء فأمالوا وإن
كان حرفا قال فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء فلأن يميلوا الاسم الذي هو ياسين أجدر
ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها فإن قلت من أي قبيل هي من الأسماء أمعربة أم مبنية قلت بل هي
أسماء معربة وإنما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الأسماء حيث لا يمسها إعراب لفقد مقتضيه وموجبه
والدليل على أن سكونها وقف وليس ببناء أنها لو بنيت لحذي بها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل ص ق ن
مجموعا فيها بين الساكنين فإن قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره ألف منها مقصورا فلما أعرب مد فقال هذه باء
وياء وهاء وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك لا مقصورة فإذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء قلت
هذا التخيل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في أن قصرت متهجاة ومدت حين مسها الإعراب أن حال التهجي
خليقة بالأخف الأوجز واستعمالها فيه أكثر فإن قلت قد تبين أنها أسماء حروف المعجم وأنها من قبيل المعربة
وأن سكون أعجازها عند التهجي لأجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه أوجه
أحدها وعليه إطباق الأكثر أنها أسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد
ما لا ينصرف بباب أسماء السور وهي في ذلك على ضربين أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص والمر والثاني
ما يتأتى فيه الإعراب وهو إما أن يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد

كم قطس وليس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم ثاني فيها ان يفتح نونها وتصير ميم مضمومة
الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدار بجرد والنوع الاول يحكى ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران
الاعراب والحكاية قال قابل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن ابي اوفى العبسي يذكرني حاميم والرمح شاجر
فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف
فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني
من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة انزلناها قال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار
وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال آخر تنادوا بالرحيل غدا
وفي ترحالهم نفسي … ويعرب منصوبا بمجرده وبفعل الحال يحكى في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال
سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات قلت
الاوجه ان يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها
بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس وليس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم
قرأ ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها
وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة
الا رب من قلبي له الله ناصح ومن قلبه لي في الظباء السوانح ذلك امانة الله الثريد قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما لو
زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا
يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان
اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه
قلت للخليل لم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء واحد ولو كان انقضى
قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى
ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الآخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي
ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى ان نجعل الواو للعطف لمخالفة
الاول الثاني في الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن
مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى
يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنه انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها
ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحركين انه لما اسمي بهذه الاسامي كلمة
لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبينات فعومل معاملة الآن واخرى سابقة هؤلاء فان قلت

قال الشيخ ابي في الحكمة مثل ما سمعت لي في العربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف
القسم مضمرا في نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه
واما قوله صلى الله عليه وسلم لا ينصرون فيصلح ان تقول له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره
فان قلت فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان القرآن ليس الا
كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرآنا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في
المصاحف على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف و
استمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان تلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف
انفسها عمل على تلك الشاكلة المالوفة في كتابة هذه الفواتح ايضا فان شهرة امرها واقامة السين الاسود
الاحمر لها مكان اللفظ بها غير متجاوزة لا على بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده
امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط و
الهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا
تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط
المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني ان يكون
ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدي بالقرآن وبغرابة نظمه
وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم
ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا انهم لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان ياتوا بمثله بعد المراجعات
المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان
في القصيد فادرجه فلم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق
ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه
كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصره على الاول ان يقول
ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين و
لم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة
العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه قول مستقل على وجه الدهر
وانه لا سبيل الى رده اجابك بان له محملا سوى ما ذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك و
عفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرات فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم
والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وانما تعني رواية
القصيدة التي ذلك استهلالها وتلاوة السورة او الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من

يقصد التسمية وتستفيد بها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة والجواب عن
الاعتراض على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستكرهة لعمري وخارج عن كلامهم
ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استكراه فيها لانها
من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او
ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء
حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السور كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى
واحدا لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين
مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا و
الوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاغراب و
تقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون
منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم
وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو
من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس
شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في
ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد
واعلم انك اذا تأملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف
المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء
والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة
عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف و
الهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون
ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد و
الهاء والعين والسين والحاء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف و
اللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها
القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين
والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت
الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل
شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله

عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم
ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما
فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان
والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابرهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول
القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير و
تجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك
مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة
ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر
وطسم على ثلثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة
افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين
الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة
التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان
تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك
هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك
بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت فما بالهم عدوا بعض هذه
الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت
من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية
في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة
وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية فان قلت فكيف عد
ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف
فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى
ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف
كقوله عز قائلا الم اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم فان قلت هل لهذه الفواتح محل من
الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت
يحتمل الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله
على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات
المعدودة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى

والمنقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم
يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولأنه لما وصل
من المرسل إلى المرسل إليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك
الكتاب الذي وعدوا به فإن قلت لم ذكر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث وهو السورة قلت لا أخلو من أن
أجعل الكتاب خبره أو صفته فإن جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز إجراء حكمه عليه في
التذكير كما أجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت أمك وإن جعلته صفته فإنما أشير به إلى الكتاب صريحا
لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الإنسان أو ذلك الشخص فعل كذا
وقال الذبياني نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري فإن قلت أخبرني عن
تأليف ذلك الكتاب مع الم قلت إن جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه أحدها أن يكون الم مبتدأ
وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الأول ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه
من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية
الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا أم خالد وأن يكون
الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وأن يكون الم خبر مبتدأ محذوف أي هذه الم ويكون ذلك
خبرا ثانيا أو بدلا على أن الكتاب صفة وأن يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى وإن جعلت الم بمنزلة
الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل أو الكتاب صفة والخبر ما
بعده أو قدر مبتدأ محذوف أي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب
لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني إذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس و
اضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك
إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة أي فإن كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا
تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب
من نوائبه ومنه أنه عليه السلام مر بظبي حاقف فقال لا يريبه أحد بشيء فإن قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق
وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه وإنما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لأنه من وضوح
الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه ألا ترى إلى قوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما أبعد وجود الريب منهم وإنما عرفهم الطريق إلى مزيل الريب وهو أن يحزروا
أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه
مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فإن قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول
قلت لأن القصد في إيلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما

كان المشركون يدعونه ولو أولي الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد
في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كأنه قيل ليس فيها ما
في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ أبو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة أن
المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على لا ريب ولا
بد للواقف من أن ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز
والتقدير لا ريب فيه فيه هدى للمتقين الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة إلى البغية
بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى أو في
ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولأن اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف
معنى أصله ألا ترى إلى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه ذلك فإن قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون
قلت هو كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله
تعالى اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتضل
الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا
يلدوا إلا فاجرا كفارا أي صائرا إلى الفجور والكفر فإن قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لأن الضالين
فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى فلا يكون
هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي أن يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى
للصائرين إلى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة التي ذكرناها فقيل هدى للمتقين وأيضا
فقد جعل ذلك سلما إلى تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثاني بذكر
أولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة
ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها إذا أصابه ضلع من غلظ الأرض ورقة الحافر فهو يقي
حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو
ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح أنه لا يتناولها لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل
اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق إلا عن خبرة كما لا يجوز إطلاق العدل إلا على المختبر ومحل هدى للمتقين
الرفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز
أن ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال
صفحا وأن يقال إن قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا
ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها

متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالأولى
معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبه أولاً على أنه الكلام المتحدى به ثم أشار إليه بأنه
الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريراً لجهة التحدي وتشديداً من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من
الريب فكان شهادة وتسجيلاً بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل
لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحاً وفي شبهة تتضاءل افتضاحاً ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين
فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله وحقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة
من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الأولى الحذف
والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب
على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وإيراده
منكراً والإيجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعاً على أسرار كلامه وتبييناً لنكت تنزيله وتوفيقاً للعمل بما فيه
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون الذين يؤمنون إما موصول
بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعني الذين يؤمنون أو هم الذين يؤمنون وإما
منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى فإذا كان موصولاً كان الوقف على المتقين حسناً
غير تام وإذا كان منقطعاً كان وقفاً تاماً **فإن قلت** ما هذه الصفة أواردة بياناً وكشفاً للمتقين أم مسرودة
مع المتقين تفيد غير فائدتها أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيداً **قلت** يحتمل
أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات
أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الإيمان الذي هو أساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لأن
هاتين أما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألا ترى كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الإسلام قال الله
تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات و
استتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصاراً بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي
إذا وجد لم تتوقف أخواته أن يقترن به مع ما في ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين وأما الترك
فكذلك ألا ترى إلى قوله تعالى إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل أن لا تكون بياناً للمتقين وتكون صفة
برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل أن تكون مدحاً للموصوفين بالتقوى
وتخصيصاً للإيمان بالغيب وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة بالذكر إظهاراً لإنافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة
هذا الاسم من الحسنات والإيمان إفعال من الأمن يقال أمنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه إذا صدقه وحقيقته
آمنه التكذيب والمخالفة وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر واعترف وأما ما حكى أبو زيد عن العرب ما آمنت

أن أجد صحابة أي ما وثقت فحقيقته صرت ذا أمن به أي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب
أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق ويجوز أن لا يكون بالغيب صلة للإيمان وأن يكون في موضع الحال أي يؤمنون
غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أني لم أخنه بالغيب ويعضده
ما روي أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم فقال ابن مسعود إن أمر محمد كان
بيناً لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ هذه الآية **فإن قلت** فما المراد بالغيب إن
جعلته صلة وإن جعلته حالاً **قلت** إن جعلته صلة كان بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء
غيباً كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الأرض غيباً و
عن الضرير بحمل شرب الأبلخ حق يرى ... غيوب كلاهما يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية إذا
بطنت الدابة انخمصت وإما أن يكون فيعلاً فخفف كما قيل قيل والأصل قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء
إلا علم اللطيف الخبير وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه أو نصب لنا دليلاً عليه ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم
الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير
ذلك وإن جعلته حالاً كان بمعنى الغيبة والخفاء **فإن قلت** ما الإيمان الصحيح **قلت** أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه
ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو
فاسق ومعنى إقامة الصلوة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود
إذا قومه أو الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم
يحافظون من قامت السوق إذا نفقت وأقامها قال أقامت غزالة سوق الضراب لأهل العراقين حولاً قميطاً
لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون وإذا عطلت و
أضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه أو التجلد والتشمر لأدائها وأن لا يكون في مؤديها فتور
عنها ولا توان من قولهم قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الأمر وتقاعد عنه إذا تقاعس
وتثبط أو أداؤها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام
وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح إذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا أنه كان من المسبحين والصلوة فعلة
من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لأن المصلي يفعل ذلك
في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لأنه ينثني على الكاذتين
وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيهاً في تخشعه بالراكع والساجد وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام
بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله ويسمى رزقاً منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم
وكفاً عن الإسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كأنه قال ويخصون بعض المال
الحلال بالتصدق به وجائز أن يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه بأخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وأن

هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق وأنفق الشيء وأنفده أخوان وعن
يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو
ذلك إذا تأملت **والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون**
فإن قلت والذين يؤمنون أهم غير الأولين أم هم الأولون وإنما وسط العاطف كما يوسط بين
الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب **قلت** يحتمل أن يكون المراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانا
زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة
واجتماعهم على الإقرار بالنشأة الأخرى وإعادة الأرواح في الأجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري
حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون وزعموا أن ذلك إنما احتيج إليه
في هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون
إلا بالنسيم والأرواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع ويكون
المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل أن يراد وصف الأولين ووسط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك
الصفات وهذه **فإن قلت** فإذا أريد بهؤلاء غير أولئك فهل يدخلون في جملة المتقين أم لا **قلت** إن عطفتهم على الذين
يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة المتقين مشتملة على الفريقين من مؤمني أهل الكتاب وغيرهم وإن عطفتهم
على المتقين لم يدخلوا وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك **فإن قلت** قوله بما أنزل إليك
إن عني به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ الماضي وإن
أريد المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومترقبه
واجب **قلت** المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد
كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان ولأنه إذا كان
بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى إنا سمعنا كتابا
أنزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما
خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم به فهو حق ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه
معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك على لفظ
ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة
على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول وهي صفة

الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة
وألقى حركتها على اللام كقوله دابة الأرض وقرأ أبو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كأنها
فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان إلى مؤسى وجعدة إذ أضاءهما الوقود **أولئك على
هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب
مبتدأ وإلا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به
مذهب الاستئناف وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول
ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء
بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا
على صفتهم أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك أحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الأنصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أهل للمحبة وإن جعلته تابعا
للمتقين وقع الاستئناف على أولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك
الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم أن هذا النوع
من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان
وتارة بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون الاستئناف بإعادة
الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه **فإن قلت** هل يجوز أن يجري الموصول الأول على المتقين
وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره **قلت** نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل
الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله
وفي اسم الإشارة الذي هو أولئك إيذان بأن ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال
التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه
وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه
وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم
جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو
اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي إلى الأفضل فالأفضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما
لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل على أي هدى كما تقول لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا وقال الهذلي
فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم أدغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي
وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد أغنها الباقون إلا أبا عمرو فقد روي
عنه فيها روايتان وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل

واحد من الأثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها فإن قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثم فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام إن زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله تعالى التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الإشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار الرسول وسكوته فإن قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فإن قلت هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين فأما إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك إدراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله

للمصرين الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم في أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لإن وأأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه كما تقول إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه والجملة خبر لإن فإن قلت الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فإن قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفا قلت هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني إخطاء طريق التخفيف لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين فأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والإنذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فإن قلت ما موقع لا يؤمنون قلت إما أن يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبرا لإن والجملة قبلها اعتراض ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم الختم والكتم أخوان لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فإن قلت ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها

وتبين الاستيثاق بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المانع من الحبسة في اللسان والعي ختما عليه قال
ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر
فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح
والله تعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا
بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل
قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله تعالى فلينبه على ان هذه
الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور
عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة
صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم
مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته وليس للوادي ولا للعنقاء
عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن
الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب
البهائم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له تعالى فعل في تجافيها عن
الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم
مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل و
المفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء
على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في
جرأته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر
شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة
يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها
فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه
الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم
الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه
لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم تبق طريق الا ان يقسرهم
الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا
بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء
هي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون

مثل سال به الوادي هلاك [illegible] سال به الوادي وتن طول غيبته [illegible] طارت به العنقاء [illegible]

[illegible] تعالى الله عن خلق

حكاية

حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا و
بينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم
البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت
على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون
قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع
في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد
البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك كفرهم وثوبهم وانت تريد
الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي
آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هل منع
ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت لان الراء المكسورة تغلب المستعلية
لما فيها من التكرير فكانك تلفظت بكسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما
يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل وكانهما جوهران لطيفان
خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة
بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من
العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب
لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا
لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة
والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير
دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير
ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام
العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله افتتح تعالى بذكر الذين اخلصوا دينهم
لله وواطات فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا
قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم
مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم
عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم

ذكرهم وفضيحتهم وسفههم واستجهالهم واستهزائهم وتهكم بهم وتسجيل طغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما
عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة
على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها لام التعريف كما لا يجمع بينهما
قال الا اناس وقيل لاصله انسان وناس وناسي وانس وانثى من مجملهم لمحوهم وانهم يونسون اي يبصرون كما
سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى انك تقول في وزن قيل فعل
وليس بعلك الا العين وعدها من اسماء الجمع كرخال وما تأول به فيه المصنف الا على خلاف عكره كما
وقد يجعل لام التعريف فيه للجنس ويجوز ان تكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل من
هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه
القوم في قوله ومن الناس بين فلان فلم يتعرف نائلتهم لم ابا وم في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس
يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون
النبي فان قلت كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم
جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع
بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت
بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر
الايمان بالله والايمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة
لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم
يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا
لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة
للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد
اوهموا في هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء
انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين
قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل
قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد و
المبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم
المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة
عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد

في الاول

في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في
شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز ان
يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت
المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت
بعده يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون والخدع ان يوهم صاحبه
خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج
من باب آخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم
الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنين لا تصح خدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى
قوله واستمطروا من قريش كل منخدع وتلك في الرقية ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جاء الثناء بالانخداع
ولم يأت بالخدع قلت فيه وجهان احدهما ان يقال كانت صورة صنيعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم
كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد
شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا
امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان
من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه
غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي
وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه
باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته
الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله من
يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين
آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك
مثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا
المقصود فيه ذكر اناطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما لمخاطبك قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر
زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال
عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله
جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ
يخدعون الله والذين آمنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا كانه قيل ولم
يدعون الايمان كاذبين وما نفعهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت عمر كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعون

نعم

تمامه
ان الكريم اذا خادعته انخدعا

عن اغراضهم ومقاصدهم بما ساترتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما طرقوا به من سواهم من الكفار وعنها اصطفا
بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد التي
اطلاعهم لاحتياطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلم لم يطلعهم عليهم
حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لو اطلعهم عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اطلعهم عليهم
لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركهم وما هم عليه من اغراء المنافقين ولقيتهم النفاق
اشد من ذلك ولكن السنة خفية بما علمه الله تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم
قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم و
مكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرر راجعة اليه وغير متخطية
اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها
به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد به وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما
يخدعون ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته
يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم
نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس
الرجل بمعنى عينه اصيبت نفسه كقولهم صدر القوم وقولهم فلان يؤامر نفسه اذا تردد في الامر واتجه له رأيان
وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس وهاجسي النفس سموهما نفسين اما لصدورهما
عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد
بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى
سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان
حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له في قلوبهم مرض
فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون
حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء
الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما
هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به ههنا ما في قلوبهم
ما هو ههنا في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من
افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان
من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد

ويخدعون من خدع حر
ويخادعون حر

اعطاكه

اعطاكه الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي
اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم
فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس
عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت
جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل الله على رسوله
الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل
الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة
وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا
وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ ابو عمرو في رواية
الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله
تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد و
المراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب
الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات
استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى
عن ابرهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب
سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من
كذبه الذي هو نقيض صدقه او من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما
بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولهم موتت البهائم وبركت الابل او من قولهم كذب الوحشي
اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام
مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة واذا قيل لهم لا تفسدوا في
الارض قالوا انما نحن مصلحون واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت
ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه
منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب و
الفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية
والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها و
ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيئ حرب الفساد وكا

الا. العائرة التي تطلب الفحل ١٢

فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمالئون الكفار ويمالئونهم على المسلمين وإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم
وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول
للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا أقدم على ما هذه عاقبته وإنما لقصر الحكم على شيء كقولك
إنما ينطلق زيد أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد كاتب ومعنى إنما نحن مصلحون أن صفة المصلحين خلصت لهم
وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد **ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**
ألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام إذا دخل
على النفي أفاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا
مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها. أما والذي لا يعلم الغيب غيره.
أما والذي أبكى وأضحك والذي. أمات وأحيى والذي أمره الأمر. ورد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين
أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في كلتا الكلمتين ألا وإن من التأكيد
وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون أتوهم في النصيحة من جهتين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده
من الصواب وجره إلى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم في
عدادهم فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما
يلقى من الجهلة **وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء
ولكن لا يعلمون فإن قلت** كيف صح أن يسند قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا وإسناد الفعل إلى الفعل لا يصح **قلت**
الذي لا يصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل وهذا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول و
هذا الكلام فهو نحو قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز أن تكون كافة
مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم أي كما آمن أصحابكم
وإخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم
كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في أنؤمن في معنى الإنكار واللام في السفهاء مشار بها
إلى الناس كما تقول لصاحبك إن زيدا قد سعى بك فيقول أوقد فعل السفيه ويجوز أن يكون للجنس وينطوي تحته
الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لأنهم عندهم أعرق الناس في السفه **فإن قلت** لم سفهوهم واستركوا
عقولهم وهم العقلاء المراجيح **قلت** لأنهم لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو
الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولأنهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار
وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم أو أرادوا عبد
الله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت في أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد

قريبا من السماء بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم **فإن قلت** لم فصلت هذه
الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون **قلت** لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل
يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد
في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان
قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل
فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا
إنا معكم إنما نحن مستهزئون** هذه الآية مجلاة لما سيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير لأن
تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم
والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم
ما في قلوبهم وروي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد
بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي
الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله
وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا
فنزلت ويقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي داري وقرأ أبو حنيفة رحمه الله
عليه وإذا لاقوا وخلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك
ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به إذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به
ومعناه وإذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك فلانا وأذمه إليك و
شياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية وفي
آخر زائدة والدليل على أصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط
إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل إنا معكم إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم **فإن قلت** لم كانت
مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بإن **قلت** ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا
بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أوحديون
في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث
ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ
التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم
في التوراة والإنجيل ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين ربنا إننا آمنا وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به

عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فإن قلت أنى تعلق قوله إنما نحن مستهزئون بقوله إنا معكم قلت هو توكيد له لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم إنا معكم فقالوا فما لكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون** فإن قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل ألا ترى إلى قوله تعالى قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه إنزال الهوان والحقارة بهم لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وسترى كيفية التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر في يخادعون من أنه يجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فإن قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه أن الله تعالى هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله فإن قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله إنما نحن مستهزئون قلت لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وأمدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وأمده إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فإن قلت لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال قلت كفاك دليلا على أنه من المدد دون

المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويُمِدّهم وقراءة نافع وإخوانهم يُمِدّونهم على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له فإن قلت فكيف جاز أن يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشيطان ألا ترى إلى قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي قلت إما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا وأسند إلى الله تعالى لأنه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله تعالى لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية بينه وبين إغواء عباده فإن قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم إلى ذلك خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسند إلى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته وإلا كان منه بمنزلة الأروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وأن هؤلاء من أهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه في طِغيانهم بالكسر وهما لغتان كلُقيان ولِقيان وغُنيان وغِنيان فإن قلت أي نكتة في إضافته إليهم قلت فيها أن الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم وأن الله بريء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند إسناد المد إلى ذاته لو لم يضف الطغيان إليهم أن الطغيان فعله فلما أسند المد إليه على الطريق الذي ذكر أضاف الطغيان إليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك أنه حين أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة في قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى إلا أن العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري أين يتوجه ومنه قوله أعمى الهدى بالجاهلين العُمَّه أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك أرضا عمهاء لا منار بها **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين** ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر ومنه أخذت بالجمة رأسا أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا حيدرا كما اشترى المسلم إذ تنصرا وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب بني إسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فإن قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه وإعراضهم عنه كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب

في الدين والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك أشف بعض ولده على بعض إذا فضله
ولهذا على هذا أشف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها
وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن أبي عبلة تجاراتهم فإن قلت كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها قلت
هو من الإسناد المجازي وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو له في الحقيقة كما تلبست التجارة بالمشترين
فإن قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الإسناد المجازي قلت نعم إذا دلت الحال وكذلك الشرط
في صحة رأيت أسداً وأنت تريد المقدام إن لم تقم حالة دالة لم تصح فإن قلت هب أن شرى الضلالة بالهدى
وقع مجازاً في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة
البديعية التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن
لم تر كلاماً أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقاً وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كأن أذني قلبه
خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روماً لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا
البلادة تمثيلاً يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة ومعاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري
لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاك العرب في أمه
وما أم الردين وإن أدلت بعالمة بأخلاق الكرام إذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التؤام
أي إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد إذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في
إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع أولاً ثم ضم إليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك
لما ذكر سبحانه الشرى أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلاً لخسارهم وتصويراً
لحقيقته فإن قلت فما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه أن الذي يطلبه التجار
في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معاً لأن رأس مالهم كان الهدى
فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به
من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر دامر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا
مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر مثلهم كمثل الذي استوقد
ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون لما جاء بحقيقة
صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميماً للبيان ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر
شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في
معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبي ولأمر ما أكثر الله في
كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء
قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ومن سور الإنجيل

سورة الأمثال والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل
للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتسيير ولا جديراً بالتداول والقبول
إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فإن قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد
ناراً حتى شبه أحد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة
إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً وكذلك قوله مثل
الجنة التي وعد المتقون أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها
ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة أي صفتهم وشأنهم
المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن
فإن قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله كالذي خاضوا والذي سوغ
وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما أن الذي
لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالاً بصلته حقيق بالتخفيف
ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين
والثاني أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون إنما ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر
الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد ناراً على
أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة
المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً وقوله ينظرون إليك نظر المغشي
عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته توقل في الجبل إذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف
مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة
واضطراباً والنور مشتق منها والإضاءة فرط الإنارة ومصداق ذلك قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نوراً وهي في الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لأن
ما حول المستوقد أماكن وأشياء ويعضده قراءة ابن أبي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو أن يستتر في الفعل ضمير
النار ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة وحوله
نصب على الظرف وتأليفه للدوران والإطافة وقيل للعام حول لأنه يدور فإن قلت أين جواب لما قلت فيه وجهان
أحدهما أن جوابه ذهب الله بنورهم والثاني أنه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وإنما جاز حذفه
لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب
عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا
خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في إحياء النار فإن قلت فإذا قدر

وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى

خضتم

الجواب محذوفاً ثم يتعلق ذهب الله بنورهم وإن قلت يكون كلاماً مستأنفاً كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد
الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم
أو يكون بدلاً من جملة التمثيل على سبيل البيان فإن قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه
في الوجه الثاني قلت مرجعه إلى الذي استوقد لأنه في معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في قوله
فلحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى فإن قلت فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم
قلت إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر فقد أطفأها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو
أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم إما أن تكون ناراً مجازية كنار الفتنة والعداوة
للإسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله
وإما ناراً حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث
فأطفأها الله وخيب أمانيهم فإن قلت كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد
قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره فإن قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت
قلت ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة
وبقاء ما يسمى نوراً والغرض إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلاً ألا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات و
الظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا
يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فإن قلت فلم وصفت بالإضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل
صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين أذهبه وذهب به
أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله إذا أخذه
فلما ذهبوا به إذاً لذهب كل إله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله
فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب وقرأ اليماني أذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد كقولهم
تركه ترك ظبي ظله فإذا علق بشيئين كان مضمناً معنى صير فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع
ومنه قوله وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي
النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك وشغلك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ
الحسن ظلْمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك
المطرح الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كأن الفعل غير متعد أصلاً نحو يعمهون في قوله
ويذرهم في طغيانهم يعمهون فإن قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة
وتورطوا في حيرة فإن قلت وأين الإضاءة في حال المنافق وهل هو أبداً إلا حائر خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما
استضاؤوا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي

ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على
أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والأوجه أن يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية
تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه
بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم
في الظلمات وتنكير النار للتعظيم صم بكم عمي فهم لا يرجعون كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة
إلى الحق مسامعهم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم وانتقضت
بناها التي بنيت عليها للإحساس والإدراك كقوله صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا
أصم عما ساءه سميع أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد فأصممت عمراً وأعميته عن الجود والفخر يوم التفاخر
فإن قلت كيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقته قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا في
الصفات وذاك في الأسماء وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعاً تقول رأيت ليوثاً ولقيت
صماً عن الخير ودجا الإسلام وأضاء الحق فإن قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على
تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر
المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى
الكلام كقول زهير لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم
كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحاً قال أبو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء
ولبعضهم لا تحسبوا أن في سرباله رجلاً ففيه غيث وليث مسبل مشبل وليس لقائل أن يقول طوي ذكرهم عن
الجملة بحذف المبتدأ فأتسلق بذلك إلى تسميته استعارة لأنه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج
أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون أنهم لا يعودون إلى الهدى بعد
أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها تسجيلاً عليهم بالطبع أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين
في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى حيث ابتدؤوا منه أو كصيب
من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله
محيط بالكافرين ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفاً لحالهم بعد كشف وإيضاحاً غب إيضاح وكما
يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع
أن يفصل ويشبع أنشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثني من
التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما
يستوي الأحياء ولا الأموات ألا ترى إلى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته وصفاته أذاك أم نمش بالوشي أكرعه
أذاك أم خاضب بالسي مرتعه فإن قلت قد شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد ناراً وإظهاره الإيمان

بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق
وبالصواعق قلت لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما
يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الأفزاع
والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء
على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فإن قلت هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات وهلا صرح به
كما في قوله وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا
ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه
أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل
والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها
بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت
حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض تشبيه حال اليهود
في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالتين
عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله
واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فأما أن يراد
تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين
في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد
إيقادها في ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فإن قلت
الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك أو كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله
في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون أصابعهم في آذانهم ما يرجع إليه لكنت مستغنيا عن تقديره
لأني أراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي أولي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله
ألا ترى إلى قوله إنما مثل الحياة الدنيا الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد
آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد وما الناس إلا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع
لم يشبه الناس بالديار وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك
نهوضهم عنها وتركها خالية خاوية فإن قلت أي التمثيلين أبلغ قلت الثاني لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر
وفظاعته ولذلك أخروه وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ فإن قلت لم عطف أحد التمثيلين على الآخر

بحرف الشك قلت أو في أصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك
وذلك قولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان في استصواب أن تجالسه ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو
كفورا أي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله أو كصيب معناه أن كيفية قصة المنافقين
مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وأن القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها
فأنت مصيب وإن مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب أي ينزل ويقال للسحاب صيب أيضا قال
الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل
الأول وقرئ كصائب والصيب أبلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف فإن قلت قوله من السماء
ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون إلا من السماء قلت الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء
أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق لأن كل أفق من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله
وأوحى في كل سماء أمرها والدليل عليه قوله ومن بعد أرض بيننا وسماء والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء
كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير أمده بذلك أن جعله مطبقا وفيه أن السحاب
من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء
من جبال فيها من برد فإن قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد
الصوت الذي يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتقض إذا أخذتها الريح فتصوت عند ذلك
الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا إذا لمع فإن قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا
يخلو من أن يراد به السحاب أو المطر فأيهما أريد فما ظلماته قلت أما ظلمات السحاب فإذا كان أسحم مطبقا فظلمتا
سحمته وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانسجامه بتتابع القطر وظلمة
إظلال غمامه مع ظلمة الليل فإن قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وإنما مكانهما السحاب قلت إذا
كانا في أعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة فهما فيه ألا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه إلا في حيز يشغله
جرمه فإن قلت هلا جمع الرعد والبرق أخذا بالأبلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده * يختال بين بروقه ورعوده
وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الأصل يقال رعدت
السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع والثاني أن يراد الحدثان كأنه
قيل وإرعاد وإبراق وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية و
رعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون إلى أصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب
كما قال أو هم قائلون لأن المحذوف باق معناه وإن سقط لفظه ألا ترى إلى حسان كيف عول على بقاء
معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لأن المعنى ماء
بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا

ربيع جو
اراد عن انه نبع المؤسس مع الصبا

فائدة بذكر ما اراد ما ذكرته ١٢

قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فإن قلت رأس الاصبع هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فإن قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فإن قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت واما بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان تكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير الخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده

قراءة

قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فإن قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما هممهم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس هما اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لو اراد الله ان يتخذ ولدا واما ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرأ ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التأنيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله تعالى اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فإن قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فإن قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه

من صنف لما صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول ولعلنا باسناد صحيح عن ابرهيم عن علقمة
ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب
لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي
والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المقاطن فذلك
للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله
وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى
وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك
على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو وما الذي
وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه
فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء
هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من
الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين
الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه
اي من الاضافة فان قلت لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله باوجه
من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره
ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب
جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان
ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى
كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل
هو الا كقول القائل فلو اني فعلت كنت كمن تسأله وهو قائم ان يقوما واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يؤمنون
به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار
فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما
وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة
كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا
شيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر فان قلت
ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب
فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم

صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفريقين جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه
على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق
ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرا ابو عمرو خلقكم بالادغام
وقرا ابن السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها
ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين
الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي او الاشفاق تقول
لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني قال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون
منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة
لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفائه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت
اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها
على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر
على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز
والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله
خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين
للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم
بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام
الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان
كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من
تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق
الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى
على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست
التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال
اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت
لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم
يقع من نفسه ذلك الموقع الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر

لم يخلقهم احياء قادرين اولاً لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقاً لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبراً ومتسلقاً الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئاً من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له انداداً وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفاً كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعاً على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطاً وقرأ طلحة مهاداً ومعنى جعلها فراشاً وبساطاً ومهاداً للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلاً في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتاً كان او قبة او خباء او طرافاً وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديداً فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه جعل الماء سبباً في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجاً لها من حال الى حال وناقلاً من مرتبة الى مرتبة حكماً ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبراً وافكاراً صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقاً يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفاً فان قلت بم انتصب رزقاً قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولاً لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع

درجه الركبان [illegible] الى اوضاه [illegible] السريع ١٢ ٢ من كل الثمرات ونزلنا [illegible]

بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسماً للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقاً اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا لله انداداً لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل له ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي خلقكم هذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيماً تجعلون الي نداً وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندوداً اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا انداداً كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه اربا واحداً ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله نداً فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدبير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصاً ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله انداداً هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون

الا السور [illegible] [illegible]

من عند الناس لم تنزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى
سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن
لهم من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه
أو رسائله دفعة فلو أنزله الله لأنزله على خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا
أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السور أو آيات شتى مفتريات وهذه غاية
التبكيت ومنتهى إزاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته والسورة
الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وواوها إن كانت أصلا فإما أن تسمى بسورة المدينة وهي
حائطها لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لأنها محتوية على فنون من العلم و
أجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها وإما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة
ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى
فيها القارئ وهي أيضا في أنفسها مترتبة طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين و
إن جعلت واوها منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء و
الفضلة منه فإن قلت ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولأمر ما
أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور و
بوب المصنفون في كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع
واشتمل على أصناف كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون بيانا واحدا ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو
بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهز لعطفه وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب
بطوله ومثله المسافر إذا علم أنه قطع ميلا أو طوى فرسخا أو انتهى إلى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن
ثم جزأ القراء القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه
أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه و
يغتبط به ومنه حديث أنس رضي الله عنه كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة
في الصلاة بسورة تامة أفضل ومنها أن التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها
لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة
لها أي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا أو لعبدنا ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد فإن قلت
وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب و
علو الطبقة في حسن النظم أو فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء

[illegible]

فلا قصد إلى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لأحملنك على الأدهم مثل الأمير
حمل على الأدهم والأشهب أراد من كان على صفة الأمير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد أحدا
يجعله مثلا للحجاج ورده الضمير إلى المنزل أوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب والكلام مع رد الضمير
إلى المنزل أحسن ترتيبا وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق إليه ومربوط به فحقه أن لا
يفك عنه برد الضمير إلى غيره ألا ترى أن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله
ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وإن ارتبتم في أن
محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولأنهم إذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما
يأتي به واحد منهم كان أبلغ في التحدي من أن يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد ولأن هذا التفسير
هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة ومعنى دون أدنى
مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب إذا جمعها لأن جمع الأشياء إدناء بعضها
من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك إذا كان أحط منه قليلا ودونك هذا أصله خذه من
دونك أي من أدنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الأحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم
ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه بالثناء عليه أنا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل
تجاوز حد إلى حد وتخطي حكم إلى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي لا
يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين وقال أمية يا نفس ما لك دون الله من واق أي إذا تجاوزت
وقاية الله ولم تناليها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا أو بشهداءكم فإن علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا
الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو ادعوا الذين يشهدون
لكم بين يدي الله من قول الأعشى تريك القذى من دونها وهي دونه أي تريك القذى قدامها وهي قدام
القذى لرقتها وصفائها وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته
غاية التهكم بهم أو ادعوا شهداءكم من دون الله أي من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم
بمثله وهذا من المساهلة وإرخاء العنان والإشعار بأن شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه
المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الإنسانية والأنفة أن يرضوا لأنفسهم
الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم إحالته وتعليقه بادعوا
في هذا الوجه جائز وإن علقته بادعوا فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا
تقولوا الله يشهد أن ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن إقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء
الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم

أو ادعوا لها من ذواتها يتعلق

المدرة زعيم القوم ومتكلمهم والمدارة الجمع
الابنة الاسكاف [illegible]

وان المحجة قد بهرتهم ثم لم يجوا لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا لصادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم
بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك
الحمد لله في هذا المقام ريبة وادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل
الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدكم فادعوا كل من ينصركم واستظهروا به
من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى
قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس**
والحجارة اعدت للكافرين لما ارشدهم الله الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم
وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتيازه عن غيره من الباطل قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل
لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب
المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كونه معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوه وهو
غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان
الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة
كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما
يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه و
يتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول
اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك
عن طول المكني عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به وعدد
كيفيات وافعالا فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ
الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت
لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل
الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في
انا مقيم وانى مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها
نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك
انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه
اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل
علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة
من مثله قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان
استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من
حيث انه من نتائجه ولوازمه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي
فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي
شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار
منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما
المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال
والوقود اكثر والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان فخر قومه
وزين بلده وقد جوزوا ان يكون مثل ذلك حياة المصباح السليط اي ليست حياته الا به فكان نفس السليط حياته
فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس
والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار
الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا
موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها
الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة
وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه
وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة
ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس
والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة
يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس فانذرتكم نارا تلظى ولعل
لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هؤلاء جزاء لكل جنس بما
يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها
انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من
دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم
فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم
وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم

حصب جهنم …

وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل أعدت
هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا
مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر
الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما
ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من
فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب فإن قلت من المأمور بقوله وبشر قلت
يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون كل أحد كما قال عليه السلام بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور
التام يوم القيمة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وإنما كل أحد مأمور به وهذا الوجه أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر
لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق
أمر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه
إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول
زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمرا بالعفو والإطلاق ولك أن تقول هو معطوف على فاتقوا كما تقول
يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم وفي قراءة زيد بن علي
وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على أعدت والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء
إذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره
دون الباقين ولو قال مكان بشرني أخبرني عتقوا جميعا لأنهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح
ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في
غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله
فأعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لام بظهر الغيب تأتيني والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس
فإن قلت أي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت إذا دخلت على المفرد كان
صالحا لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه وإذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به
جميع الجنس وأن يراد بعضه لا إلى الواحد لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول
الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فإن قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الأعمال
الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف
المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير من النواضح تسقي جنة سحقا أي نخلا طوالا والتركيب إنما على معنى الستر

قاله

غضبت تميم أن تقتل عامر
يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

وكأنها

وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها
وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فإن قلت الجنة مخلوقة أم لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول
إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام
كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فإن قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي
مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فإن قلت
أما يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر وأن لا يندم
على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح
والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء إذا لم يتعقبه
بما يفسده ويذهب بحسنه وأنه لا يبقى مع وجوده ضده إحسانا وأعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو أكرم
الناس عليه وأعزهم لئن أشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم
كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر فإن قلت كيف صورة جري الأنهار من تحتها قلت
كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية وعن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود و
أنزه البساتين وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري
من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا
تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء وإلا كان الأنس الأعظم فائتا والسرور الأوفر
مفقودا وكانت كتماثيل لا أرواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الأنهار الجارية
من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى
الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار
التركيب على السعة وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وتسيل عليه
ميزابه فإن قلت لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار قلت أما تنكير الجنات فقد ذكر وأما تعريف الأنهار فأن يراد به
الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه تشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب
أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام إلى
الأنهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا لا
يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل
خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس
فقيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أي أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله فإن قلت
ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك

من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا
ذلك ومن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد
ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ
من الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة
او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا
على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة
فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه
في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك
ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله
واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما
رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة
قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به لوحد فان قلت لاي غرض يتشابه
ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود
اميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم
له معه الف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه
وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهد وان كان
فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة
من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة
تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من
شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين
للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد
سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال
في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل
اوان او لانه مرزوق على الجنة يتجدد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها
اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق
كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن
يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون

فيقال من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه صح

تبين الشيء ظهر وتبينته انا يتعدى ولا يتعدى ١٢

السكن اهل الدار

النبق ثمر السدر والفلكة ... ١٢

الصحفة كالقصعة ... ١٢

واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها
فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير
الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان
ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما
اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من
الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس
الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء والمناكح
الردية والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت هلا جاءت الصفة مجموعة
كما الموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي
فاعلة ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت ❊ واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى و
جماعة ازواج مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما
احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة
لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين
ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد ... قال امرؤ القيس الا انعم صباحا ايها الطلل البالي
وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد
والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب
من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد
فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في
المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك
القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف
تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت
العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها
مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق
للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكيه ويستدعيه وليبين ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف
والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة
بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم
فلا

الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع ... بشر من تلك الملة حر

ينطقون ولا يلغون او هاتم اذ عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا
فاذا سمعوه عاندوه وكابروه وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين
وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم
والطيور واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم
قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة
واضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض
كلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة
وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا تغني استقامته
وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة
ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة
والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه و
ضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الآية والحياء تغير و
انكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي
وشظي الفرس اذا اعتلت منه هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص
الحياة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد
في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث
سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من
عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب
المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما
يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن
من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل
عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي
سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة
لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت
عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه اذا ما استحين الماء يعرض نفسه
كرعن بسبت في اناء من الورد وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار

والتعدي بنفسه يقولون استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماله وصنعه من ضرب
اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اصطنع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية
وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب
كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا
اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف
في تماما على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله
لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة
فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان يمثل للانداد وحقارة شأنها بما لا
شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ وبما لا يدرك لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه
او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من
دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة
وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته و
انتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا
مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه
البعوض وانشد لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه
والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما
تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضرب فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسمج
الناس والامهم هو فوق ذاك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها
في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول
لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادنى شيء فيقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف
درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما علا عنه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ومما يحتمل
الاحتمالين ما رويناه في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله
عنها وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم فقالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان
تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل ما عدا الشوكة ومجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة
في قوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل
ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة

وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة
دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد إلا تحركها فإذا سكنت فالسكون يواريها ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها
وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك الدويبة وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها
ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما
تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وأنشدت لبعضهم ❊ يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل ❊ ويرى عروق نياطها في نحرها ❊ والمخ في تلك العظام النحل ❊ اغفر لعبد تاب من فرطاته
ما كان منه في الزمان الأول ❊ **فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا**
فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا أما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام أن
يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه
منه عزيمة قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل
بفائدتين بيان كونه توكيدا وأنه في معنى الشرط ففي إيراد الجملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون و
الذين كفروا يقولون إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق ونعي على الكافرين إغفالهم حظهم و
عنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب وحقت
كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين و
أن يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الأول مرفوع المحل على الابتداء و
خبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله والأصوب في جوابه أن يجيء على
الأول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال
ماذا رأيت خير وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والإرادة نقيض
الكراهة وهي مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك وفي حدود المتكلمين الإرادة معنى يوجب
للحي حالا لأجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في إرادة الله تعالى فبعضهم على أن للبارئ
مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو أمر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على أن معنى إرادته الأفعال
هو أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى إرادته لأفعال غيره أنه أمر بها والضمير في أنه الحق للمثل أو لأن
ضرب وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو بن
العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث ماذا أردت بهذا جوابا ولمن حمل
سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا**
وما يضل به إلا الفاسقين وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين

خيرا أي المرئي خير في جواب ماذا الذي رأيت حر

يانا

بأما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه
حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا إلى نورهم وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي
زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم **فإن قلت** لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور
وقليل ما هم وقالوا الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس أخبر تقله **قلت** أهل الهدى كثير في أنفسهم وحين يوصفون
بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال وأيضا فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة
فسموا ذهابا إلى الحقيقة كثيرا ❊ إن الكرام كثير في البلاد وإن ❊ قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا ❊ وإسناد الإضلال إلى الله
تعالى إسناد الفعل إلى السبب لأنه لما ضرب به المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن
مالك بن دينار أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد فقال يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع
مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة فقال مالك هذه
وضعت القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به إلا الفاسقون والفسق الخروج
عن القصد قال رؤبة ❊ فواسقا عن قصدها جوائرا ❊ والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة
وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل
ابن عطاء رضي الله عنه وعن أشياعه وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه
ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في اللعن والذم والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة
ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد
جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان يريد اللمز والتنابز إن المنافقين هم الفاسقون
الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض
أولئك هم الخاسرون النقض الفسخ وفك التركيب **فإن قلت** من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد **قلت** من حيث
تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في
بيعة العقبة يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى إن الله أعزك وأظهرك أن ترجع إلى
قومك وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه
فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وإذا تزوجت امرأة
فاستوثرها لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش والعهد
الموثق وعهد إليه في كذا إذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه إذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد
بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا **فإن قلت** فما المراد بعهد الله
قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله وأشهدهم
على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته

الترك حر

الأسد شبه الفراش الرجل
والمرأة وشبه البحر العلم ١٢

صدق نبوته وما يتبعه ثم الحكم ادكره فيما تقدم من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وك
قوله في الانجيل لعيسى عليه السلم سانزل عليك كتابا فيه نبا بني اسرائيل وما اريته اياهم من الآيات وما
انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحين سخطه للذين قاموا
بميثاق الله واوفوا بعهده ونصره اياهم وكيف ارتك باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا
بعهده لان اليهود بدلوا اسم عيسى وبدلوا اسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا بما كفروا
به وقيل ما اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله
الى خلقه ثلثة عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ
ربك من بني آدم وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم
ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله
اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله
به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع
على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه و
سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له امر
تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مأمور به كما قيل له شان والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي
قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها
بثوابها كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون
معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار
والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران
لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل
لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان
باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم
قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها
تبيع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر و
ابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند
وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله

[illegible] ١٢

وكنتم امواتا للحال فان قلت كيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد
قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله
وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم
بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع
حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة
كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها وآخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال
تكفرون في حال علمكم بهذه القصة باولها وآخرها فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف
الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه
فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا
من العلم بهما بما نصب لهم من الدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات
جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما تصح فيه
الحيوة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة احييناها
ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت
يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت
لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت
فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به
احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر
اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر وعلى نعم جسام
حقها ان تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء
عليم لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر
فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها
لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية
وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف
وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل
مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة
قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء

[illegible] ١٢

وبيانها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني ثم لاستواء الاعتدال والاستقامة
يقال استوى العود وغيره إذا قام واعتدل ثم قيل استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصدا مستويا من
غير أن يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى إلى السماء أي قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق ما في الأرض
من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى إلى فوق والضمير في فسواهن
ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع إلى السماء والسماء في معنى
الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الأول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه من
العوج والفطور أو إتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق
ما في الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم فإن قلت ما أثبت به معنى الاستواء إلى السماء
يناقضه ثم لإعطائها معنى التراخي والمهلة قلت ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات
على خلق الأرض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على أنه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم
يلزم ما اعترضت به لأن المعنى أنه حين قصد إلى السماء لم يحدث فيما بين ذلك أي في تضاعيف القصد إليها
خلقا آخر فإن قلت أما يناقض هذا قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها قلت لا لأن جرم الأرض تقدم
خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها
دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض فذلك
قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون
وإذ نصب بإضمار اذكر ويجوز أن ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الأصل كالشمائل في جمع شمأل وإلحاق
التاء لتأنيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله في الأرض خليفة فكانا
مفعوليه ومعناه مصير في الأرض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لأنهم كانوا سكان
الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته فإن قلت فهلا قيل خلائف أو خلفاء قلت أريد بالخليفة آدم واستغنى
بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر أبي القبيلة في قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أو خلفا يخلفكم فوحد
لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز أن يريد خليفة مني لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي إنا
جعلناك خليفة في الأرض فإن قلت لأي غرض أخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا
حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده
المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة
غنيا عن المشاورة تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا
يفعل إلا الخير ولا يريد إلا الخير فإن قلت من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وإنما هو غيب قلت عرفوه بإخبار

من الله أو من جهة اللوح أو ثبت في علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على
صفتهم أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك
بضم الفاء ويسفك ويسفك من أسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه
بالإحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الأرض والماء وقدس في الأرض إذا ذهب
فيها وأبعد وبحمدك في موضع الحال أي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لأنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق و
اللطف لم نتمكن من عبادتك أعلم ما لا تعلمون أي أعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فإن قلت هلا بين لهم
تلك المصالح قلت كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة وإن خفي عليهم وجه الحسن والحكمة
على أنه قد بين لهم بعض ذلك فيما أتبعه من قوله وعلم آدم الأسماء كلها وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم
على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين واشتقاقهم آدم من الأدمة ومن أديم الأرض نحو
كاشتقاقهم يعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس وما آدم إلا اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون
على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالح وفالغ وأشباه ذلك الأسماء كلها أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه
لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء لأن الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا
فإن قلت فهلا زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأن الأصل وعلم آدم مسميات الأسماء قلت
لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات لقوله أنبئوني بأسماء هؤلاء أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم
فكما علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات ولم يقل أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فإن قلت فما معنى
تعليمه أسماء المسميات قلت أراه الأجناس التي خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا
اسمه كذا أو هذا اسمه كذا وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم على الملائكة
أي عرض المسميات وإنما ذكر لأن في المسميات العقلاء فغلبهم وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل
التبكيت إن كنتم صادقين يعني في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء إرادة للرد عليهم
وأن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا فأراهم
بذلك وبين لهم بعض ما أجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله إني أعلم ما لا تعلمون وقوله ألم أقل لكم إني
أعلم غيب السموات والأرض استحضار لقوله لهم إني أعلم ما لا تعلمون إلا أنه جاء به على وجه أبسط من ذلك
وأشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ أبي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن
أو مسمياتها لأن العرض لا يصح في الأسماء قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم
قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات و
الأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وقرئ أنبيهم بقلب الهمزة ياء وأنبهم بحذفها والهاء
مكسورة فيهما وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين

السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وأبوا يوسف وإخوته له ويجوز
أن تختلف الأحوال والأوقات فيه وقرأ أبو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للإتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الإ
عرابية بحركة الإتباع إلا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله إلا إبليس استثناء متصل لأنه كان جنيا واحدا بين
أظهر الألوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز
أن يجعل منقطعا أبى امتنع مما أمر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك
أبى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن أمر ربه **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها**
رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين السكنى من السكون لأنها نوع من اللبث و
الاستقرار وأنت تأكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف المصدر أي أكلا رغدا واسعا رافها وحيث
للمكان المبهم أي أي مكان من الجنة شئتما أطلق لهما الأكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة
حين لم يحظر عليهما بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكول من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول
من شجرة واحدة من بين أشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة أو الكرمة أو التينة وقرئ
تقربا بكسر التاء وهذي الشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن أبي عمرو أنه كرههما وقال
يقرأ بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا أو نصب
جواب للنهي **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم**
في الأرض مستقر ومتاع إلى حين الضمير في عنها للشجرة أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر
الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن أمري وقوله ينهون عن أكل وعن شرب وقيل فأزلهما
عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك إذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا
وقرئ فأزالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة أو من الجنة إن كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد الله فوسوس
لهما الشيطان عنها وهذا دليل على أن الضمير للشجرة لأن المعنى صدرت وسوسته عنها **فإن قلت** كيف توصل
إلى إزلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فإنك رجيم **قلت** يجوز أن يمنع دخولها على جهة التقريب
والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء عليهما السلام وقيل كان يدنو
من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى
دخلت به وهم لا يشعرون اهبطوا خطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل والحية والصحيح أنه لآدم وحواء والمراد
هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا
منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا و
كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو
ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول إلى الأرض مستقر موضع استقرا

ر أو استقرار ومتاع تمتع بالعيش إلى حين يريد إلى يوم القيامة وقيل إلى الموت **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب**
عليه إنه هو التواب الرحيم معنى تلقي الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم و
رفع الكلمات على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به **فإن قلت** ما هن **قلت** قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وعن
ابن مسعود أن أحب الكلام إلى الله ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى
جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس قال يا رب ألم تخلقني بيدك
قال بلى قال يا رب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني
جنتك قال بلى قال يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لأنها
كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا فتاب
عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول **قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف**
عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
فإن قلت لم كرر قلنا اهبطوا **قلت** للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله فإما يأتينكم مني هدى **فإن قلت** ما جواب
الشرط الأول **قلت** الشرط الثاني مع جوابه كقولك إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك والمعنى فإما يأتينكم مني
هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي
فإن قلت فلم جيء بكلمة الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه **قلت** للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط
فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب وأنه إن لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الإيمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم
من العقول ونصب لهم من الأدلة ومكنهم من النظر والاستدلال **فإن قلت** الخطيئة التي أهبط بها آدم إن
كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء وإن كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس و
الإخراج من الجنة والإهباط من السماء كما فعل بإبليس ونسبته إلى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم
العزيمة والحاجة إلى التوبة **قلت** ما كانت إلا صغيرة مغمورة بأعمال قلبية من الإخلاص والأفكار الصالحة
التي هي أجل الأعمال وأعظم الطاعات وإنما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها وتهويلا ليكون
ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف
يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي**
أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون إسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه
في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة إبراهيم وإسماعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ
إسرائل وإسرال وذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها وأراد بها ما
أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة
عليهم وغير ذلك وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد عليه السلام المبشر به في التوراة والإنجيل والعهد ضربان

إلى المعاهِد والمعاهَد جميعا يقال أوفيت بعهدي أي بما عاهدت عليه كقوله ومن أوفى بعهده من الله وأوفيت بعهدك أي بما عاهدتك عليه ومعنى وأوفوا بعهدي وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي كقوله ومن أوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم وإياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد في إفادة الاختصاص من إياك نعبد وقرئ أوفّ بالتشديد أي أبالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز أن يريد بقوله وأوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الإيمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله تعالى وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم **وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون** أول كافر به أول من كفر به أو أول فريق أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة أي كل واحد منا وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحي إليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة إلى قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعني من أشرك به من أهل مكة أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في لما معكم لأنهم إذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم إذ تنصرا وقوله فإني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا وإلا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير إليه قليل وكل كبير إليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون إليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الأموال ليكتموا أو يحرفوا **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون** الباء التي في بالباطل إن كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وإن كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو منصوب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع أي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن **فإن قلت** لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لأنهم إذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق **قلت** بل هما متميزان لأن لبس الحق بالباطل

ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد أو حكم كذا أو يمحوا ذلك أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وأنتم تعلمون في حال علمكم أنكم لابسون كاتمون وهو أقبح لهم لأن الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين** وأقيموا الصلاة يعني صلاة المسلمين وزكاتهم واركعوا مع الراكعين منهم لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمرا بأن تصلي مع المصلين يعني في الجماعة كأنه قيل وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين لا منفردين **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** أتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الأحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وإذا أتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني أن ناسا من أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف إلى غيرها وتنسون أنفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وأنتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وأنتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول لأن العقول تأباه وتدفعه ونحوه أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** واستعينوا على حوائجكم إلى الله بالصبر والصلاة أي بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من إخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار السماوات ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها أو واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وعن ابن عباس أنه نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لأنه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء وأن يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله في دفعه وإنها الضمير للصلاة أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي إلى واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الأمر كبر على المشركين ما تدعوهم إليه **فإن قلت** ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل **قلت** لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها

فهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم و
انهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه
يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء
ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد
على بعض الاعمال والصنايع اجرة زائدة على قدر عمله تراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر و
مضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال العامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن
ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واني فضلتكم نصب على
العطف على اذكروا نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها
للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة
ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه
الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع
مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرا لا تجزي من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون
في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرا ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة
المحل صفة ليوما فان قلت فاين العايد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما
انشده ابو علي وتدعى جدة ان يقبلى اي ءاتاه اجدته بان يقبلى فيه ومنهم من يتدرج فيقول اتسع فيه فاجري
مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا
من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي لقطاع المطامع وكذلك قوله ولا يقبل
منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل
اي توبة ولا فدية وقرا قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة
وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فايسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة
للعصاة لا تقبل قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها
شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى
الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة
شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها
شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة

والمذكر

والمذكر بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلثة انفس واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اصل آل اهل ولذلك
يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف
والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن
فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في افانين تفرعنه وفرط عرامه ومعنى يسومونكم
يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا
ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه
والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب
كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره ويذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك
العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا من قبل وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب
وقطعتها وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على
يديه هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم
الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل
فرعون وانتم تنظرون فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا
يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى
قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين
وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد
انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما توسط بينهما وان يراد
فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل
طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال
بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا
تشكون فيه واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون لما دخل بنو اسرائيل
مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده
الوحي ووعده هو المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا
عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم

الموسى المعلم القرآن
والموسى المعلم الدين
واضرب منه المعلم الكلم
وان المعلم ...

وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم **وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان**
لعلكم تهتدون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة
كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهارون
الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر
والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر
وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر **وإذ قال موسى لقومه يا قوم**
إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند
بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم قيل فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل
بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره
وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا
بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او
رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهارون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية
فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا **فإن قلت** ما الفرق بين الفاءات
قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا
انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا
التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف
كأنه قال فإن فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم
ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم **فإن قلت** من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ **قلت** البارئ هو الذي
خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور
المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة
ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور
حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم و
اشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها **وإذ قلتم يا موسى**
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون قيل القائلون السبعون الذين
صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي يرى
بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت
بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما

مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا
يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه
بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط
على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم
قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسيسها فخروا صعقين
ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم
ما ينظرون اليه لقوله تعالى وانتم تنظرون وقرأ علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة **ثم بعثناكم من بعد موتكم**
لعلكم تشكرون لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله في رميكم
بالصاعقة واذاقتكم الموت **وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما**
رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وظللنا وجعلنا الغمام تظللكم وذلك في التيه
سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نور يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا
تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب
فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا
هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه **وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها**
حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين
القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي
كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله و
تواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب
ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر
مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي
معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا علي صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل
معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها **فإن قلت** هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها
بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة **قلت** لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك كله بالقول
وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة
سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل**
لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون فبدل الذين ظلموا وضعوا مكان حطة
قولا غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به

ولم يتمثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ
آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف
عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء
منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة
في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار
والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون
الفا **وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل
أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** عطشوا في التيه فدعا لهم
موسى عليه السلام بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي
انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل
في جدول الى السبط الذي امرت ان تسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه
آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل
اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول لك الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لي فيه قدرة ولك فيه معجزة
فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال
وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في
مخلاته فحيث ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه
متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في
ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان
في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا
في قوله تعالى فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها
وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم
من الطعام من المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب
والعثى اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال افسادكم لانهم كانوا متمادين فيه **وإذ قلتم
يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها** كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء على طعام
واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى **فان قلت** هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد **قلت**
ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها

قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما
معا من طعام اهل التلذذ والترفه ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من
الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض
من الخضر والمراد به اطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها
بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وثومها
وهو للعدس والبصل اوفق **قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما
سألتم** الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو
داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو
وقرأ زهير الفرقبي ادنأ بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال
هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر
فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث
لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد و
ان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر
وقيل هو مصرائيم فعرب **وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** وضربت عليهم
الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم
ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة
واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان
اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافأته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من
ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنهم الله
شعياء وزكرياء ويحيى وغيرهم **فان قلت** قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره **قلت** معناه انهم
قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم
فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي الله عنه
ويقتّلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في
كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله
لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل
مع ما عصوا **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر**

فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة
القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو
هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياء في
نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم
عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة
الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن
قلت الرفع ان جعلته مبتدا خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان
في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل
على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح
فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه
فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء
منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله
عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم
للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت
فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا
فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان
يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا
ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان
تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين
بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين فجعلناها
يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل وهو القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها
من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد
بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم
وما تاخر منها وموعظة للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى
لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين

فكلتاهما خرت واسجد راسها
كما سجدت نصرانة لم تحنف ١٢

كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم
الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او
مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا
بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفءا وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ و
اللياذ من واد واحد قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر
عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم
تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر
والفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل
وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال
نواعم بين ابكار وعون فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت
لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين
وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل
نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له
ما احسن ذاك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق
كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت
كان ذاك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات
ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت
او امركم بمعنى ماموركم تسمية للمفعول به بالمصدر كضرب الامير قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول
انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع
ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق
خطباني وارمك رداني فان قلت فاقع هاهنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون
انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين
قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون قلت
الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك
جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة
في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن
الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه

صفرة ومنه قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ما هي مرة ثانية
تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا
ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله
بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر سالتني
باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني باي نوع منها ابدا اضائن
ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي
الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسئلته ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف
بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين
وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرا محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد وجاء في الحديث
لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او
الى ما خفي علينا من امر القاتل قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة
لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة
غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي
والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا
ذلول مثيرة وساقية وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان
توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيثهم وقرئ تسقي بضم التاء
من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله او معبر الظهر ينبي عن وليته
ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الا
لوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في
الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشي القوائم الآن جئت بالحق
اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف
كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة
استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل
وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح
له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من
احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك

بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق
البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فاهمل الامر الاول قلت
رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا
لهذه البقرة الموصوفة كما تناولها وغيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك
اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون واذ قتلتم نفسا خوطبت
الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه
ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع
او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه
مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى
الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم فقلنا فقلنا
اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى
النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة و
اختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف
وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك
يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم
سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته دلائله
على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على
احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب
والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار
بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد
والمسارعة الى امتثال اوامر الله تعالى وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة
الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على
حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختار الفتية السن
غير القحم ولا الضرع حسن اللون بريئا من العيوب يونق من ينظر اليه وان يغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه
انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل
وامكانه لادائه الى البداء وليعلم بما امره من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب

اما ان يكون خطابا للذين حضروا حياة
القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله
الموتى صح

لان الموتى الحاصلين في الجنس لا يعقل ان يترددوا فيهما حتى يوقع فان قلت فالقصة مقصورة على ترتيبها وكان حقها
ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا
اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات
وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع
وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع
ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح
البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد
روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما
بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى يتبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته
باخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وانهما قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما
يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون معنى ثم
استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة
والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من
الآيات المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما
على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتعضده قراءة الاعمش بنصب الدال
عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى
منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة
مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان لا يقصد
معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ
قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة بيان
لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة
من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله تعالى وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرئ
بالكثرة وانما يتفجر يشقق فيتشقق وقرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها
الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل
وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد
ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق

منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون اتطمعون الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط
يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة ممن سلف منهم يسمعون كلام الله يعني ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه
كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله
حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء
فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم
ولم يبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا التوراة
فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون واذا لقوا يعني اليهود قالوا اي منافقوهم
آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الى بعض اي الذين لم ينافقوا الى الذين نافقوا قالوا
عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من صفة محمد او قال المنافقون لاعقابهم يريهم
التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود
ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بقولهم هو في كتابكم هكذا
محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا اي هو عند الله هكذا اعني فاحيانا اولا يعلمون ان الله
يعلم ما يسرون وما يعلنون من جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون ومنهم اميون لا يعرفون الكتابة فيطالعوا
التوراة ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التوراة الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم
ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا
اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن داب
في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤونه من قوله تمنى كتاب الله اول ليله
والاستثناء منقطع اذا فسر لان المتمني بعيد في نفسه وتخرصا تمنيا وكذلك المختلق والقراءة بعيد
ان كلمة كذا اعيد كذا وانما اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا
بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم
عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يقنع بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل
لهم مما يكسبون يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه
يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرشى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم

عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون أياماً معدودة أربعين يوماً
عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة
يوماً فلن يخلف الله متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده وأم إما أن تكون معادلة بمعنى
أي الأمرين كائن على سبيل التقرير لأن العلم واقع بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة بلى من كسب سيئة
وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون بلى إثبات لما نفوه من مساس النار وهو قوله لن تمسنا النار أي بلى تمسكم
أبداً بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر وأحاطت به خطيئته تملكته و
استولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيآته وقيل في الإحاطة كأنه
من طاعته وسأل رجل الحسن فقال سبحان الله ألا أراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل
آية نهى الله فيها عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا
تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً و
أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون لا تعبدون إخبار في
معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد الأمر وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع
إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وأبي لا تعبدوا ولا بد من إرادة القول ويدل عليه
أيضاً قوله وقولوا وقوله وبالوالدين إحساناً فإما أن يقدر وتحسنون بالوالدين أو أحسنوا وقيل هو جواب قوله
أخذنا ميثاق بني إسرائيل إجراء له مجرى القسم كأنه قيل وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه أن لا تعبدوا
فلما حذفت أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله أن لا تعبدوا ويحتمل
أن لا تعبدوا أن تكون أن فيه مفسرة وأن تكون أن مع الفعل بدلاً عن الميثاق كأنه قيل أخذنا ميثاق بني إسرائيل
توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لأنهم غيب حسناً أي قولاً حسناً وسماه حسناً للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي
حسناً وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات أي توليتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلاً
منكم قيل هم الذين أسلموا منهم وأنتم معرضون وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن المواثيق والتولية وإذ أخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلاً أو ديناً
وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه وأنتم تشهدون
عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم
بهذا الميثاق ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم
بالإثم والعدوان ثم أنتم هؤلاء لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم

استبعادهم

تمام عليهم فالمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء الشاهدون يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلاً لتغير
الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان له وقيل هؤلاء
وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وإدغامها وتتظاهرون بإثباتها وتظهرون
بمعنى تتظاهرون أي تتعاونون عليهم وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم
أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا
ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون وقرئ تفدوهم وتفادوهم وهو وأسرى
وأسارى وهو ضمير الشأن ويجوز أن يكون مبهماً تفسيره إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب أي الفداء وتكفرون
ببعض أي حرمة المقاتلة والإجلاء وذلك لأن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق
يقاتل مع حلفائه وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه
فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا
نستحيي أن نذل حلفاءنا فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي كقتل بني قريظة وأسرهم وإجلاء بني النضير وقيل الجزية وإنما رد من فعل
منهم إلى أشد العذاب لأن عصيانه أشد وقرئ يردون ويعملون بالياء أولئك الذين اشتروا الحياة
الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية
ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل
وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم
استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون الكتاب التوراة آتاه إياها جملة وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه إذا
أتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به أتبعه إياه يعني وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله ثم أرسلنا
رسلنا تترى وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل والياس واليسع
ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية أيشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المرية بالعربية من النساء
كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه عند النحويين مفعل لأن فعيلاً لم يثبت
في الأبنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كإحياء الموتى وإبراء الأكمه
والأبرص والإخبار بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم إذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد
ضعف وأوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها
بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام
الطوامث وقيل جبريل وقيل الإنجيل كما قال في القرآن روحاً من أمرنا وقيل اسم الله الأعظم الذي كان يحيي
الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن
الإيمان وتوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شأنهم ويحتمل أن يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم

فعلم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو
على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان
يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حولتم قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه
وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري
وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة
بأغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه فرد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من
قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة
وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون لتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما
مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف
اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا من غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين ولما
جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه
وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصفت النكرة تخصص فصح انتصاب
الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما
ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث
في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب
اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسأل بعضهم بعضا
ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين اي عليهم
وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس
ويدخلوا فيه دخولا اوليا بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله
على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ما نكرة منصوبة
مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا
طلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله
الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب صاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا
بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك

بما انواع كفرهم واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما انزل علينا
ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين
بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا يعنون التورية ويكفرون بما وراءه اي قالوا
ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا
كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية
لا تسوغ قتل الانبياء ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون وانتم ظالمون
يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم
الظلم واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا
واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين وكرر رفع الطور لما نيط به من
زيادة ليستمع الاولى وما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت
كيف طابق قوله جوابهم قلت طائفة من جهتين قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا
ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ
وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم قل بئسما يأمركم
به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك
تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له
قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني
ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فتمنوا الموت لان من ايقن
انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين
بالجنة ما روي كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال
يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء
على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من
العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه
وما بقي على وجه الارض يهودي ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين بما قدمت
ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر
والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما
ادريك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقله من اهل الكتاب وغيرهم

من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس احد منهم نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع
عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا فاذا
قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا
لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت
كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله تعالى وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير
مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب
وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه
بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين
تهديد لهم ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما
هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين
في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم قال على حياة بالتنكير قلت لانه اراد
حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحياة ومن الذين اشركوا
محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى
ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس
عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها
لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت
لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون
لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان
وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدا اي ومنهم ناس يود
احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود
لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه
من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان
يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم
على طريق الاستئناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى
التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن
قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى
للمؤمنين روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه

بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على
نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال
ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان
يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدراس
اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم
ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد عليه السلام وارى آثاره في كتابكم
ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء
بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل
عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا
للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه و
سلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل
وجبرئل بحذف الياء وجبريل بوزن قنديل وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل
وجبرال بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله للقرآن ونحو
هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على
نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهمكه باذن الله بتيسيره وتسهيله
فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي
من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما
ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه
وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه
نزل عليك الكتاب مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه
ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه من كان عدوا لله وملائكته و
رسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر
بما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل
وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو
للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله تعالى انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر
اذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب
ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة

وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس قال
ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت
واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان تكون اشارة الى اهل الكتاب **اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق**
منهم بل اكثرهم لا يؤمنون الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ
ابو السمال بسكون الواو على ان الفاسقين بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا
او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ
الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق
منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق
ذنبا ولا يبالون به **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب**
الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون
انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل
لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين
ايديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا
حلاله ولم يحرموا حرامه **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين**
كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت اي نبذ
كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني اتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانوا يقرؤونها على ملك سليمان اي
على عهد ملكه في زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها و
يلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى
قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الانس والجن و
الريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه
كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم و
اضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي
اتبعوا ما انزل وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من
الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوما بنهر طالوت فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني

وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل **وما يعلمان من احد حتى يقولا**
انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من
احد الا باذن الله وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار
من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما
يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث
في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل
قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث **و**
يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا
به انفسهم لو كانوا يعلمون ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم
الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علموا هؤلاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين
عن كتاب الله تعالى ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرأ الحسن الشياطون
وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهري هاروت وماروت
بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر
كما ذكر بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمزة والمر بالتشديد
على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم بضاري به بطرح
النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف **فان قلت** كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن **قلت** جعل
الجار جزءا من المجرور **فان قلت** كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه
عنهم في قوله لو كانوا يعلمون **قلت** معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه
ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ولو انهم آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ
لمثوبة كمشورة ومشوبة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم عليه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم
فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو **قلت** لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة و
استقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك **فان قلت** فهلا قيل لمثوبة الله خير **قلت**
لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة
الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير **يا ايها الذين آمنوا لا**
تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتان بنا حتى نفهمه ونحفظه

وكانت اليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه و
خاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره
اذا انتظره وقرأ ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه
بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن
بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا
سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة
وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او
واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ
سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين اي ولليهود الذين تهاونوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم وسبوه عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم
من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم من الاولى للبيان لان الذين
كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية
مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك
والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص
بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل
العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله
على كل شيء قدير روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم
بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ
وقرئ ننسها وننسأها بالتشديد وننسها وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها
وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو
ان يأمر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها
ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها
معا او من احدهما الى بدل او غير بدل نأت بآية خير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في
ذلك ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها
على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى

من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل لما بين لهم انه مالكهم ومدبرهم يدبرها على حسب
مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما
يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت
عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة
بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من
بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره
ان الله على كل شيء قدير روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان و
عمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل
ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما
عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا و
بالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما
خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم
تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم
ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا بالغا
منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة
حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل
شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
عند الله ان الله بما تعملون بصير من خير من حسنة من صلوة او صدقة او غيرهما تجدوه تجدوا ثوابه
عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود
والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى
فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين
وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل
وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على
معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين فيها وقرأ ابي الا من كان
يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني
المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل

الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض وقيل اشار بتلك الى الامنية امانيهم على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني
مثل الاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم
وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى
احضر **بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** بلى اثبات
لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي
يستوجبه فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ
ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون
فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** على شيء على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم
يقع عليهما اسم الشيء واذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل
من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب
وحق من حمل التورية والانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني
شاهد بصحته وكذا الكتب الالهية جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به
على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل
اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران
لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود
ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية فالله يحكم
بين اليهود والنصارى يوم القيامة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم
ان يكذبهم ويدخلهم النار **ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك
ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين** ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا او مثله ومنعنا
ان نقيل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة
ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى
كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا
التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية

فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت
لا بأس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين
وكما قال الله عز وجل ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب
البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى
او المشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين
على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين
منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله
قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين ويروى انه لا يدخل بيت المقدس احد
من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في
العقوبة ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان
وقرأ عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه
مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه
كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله **لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم** خزي قتل وسبي
او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية **ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم
وجه الله ان الله واسع عليم** ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله وهو مالكها
ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي رضيها وامر بها والمعنى
انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي
بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا تختص اماكنها في مسجد
دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم
وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء
مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة وقرأ
الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة **وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما
في السموات والارض كل له قانتون** وقالوا ونزلت في الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة
بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير
والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس
ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض

وتجويز ان يولد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم
فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما
دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا بديع السموات والارض واذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة
الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو
امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر وكن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من
الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قالت الانساع للبطن الحق والمعنى ان ما قضاه من الامور واراد
كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف
ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت
حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرأ
المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين
من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من
المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى
استكبارا منهم وعتوا او تأتينا آية جحودا لان يكون ما اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم
اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم ينصفون فيوقنون انها آيات يجب
الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب
الجحيم انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية
عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد
ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي انه
قال عليه السلام ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه
تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه
التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا
مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله
ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله
هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير كانهم
قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن

يؤرقني واصحابي هجوع

شبه ما قضى بالشيء المكون

قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس
وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي
اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة
الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم
الخاسرون الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه
من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك
هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم
ينصرون واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال
لا ينال عهدي الظالمين ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار
احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة
رحمه الله وهي قراءة ابن عباس ابراهيم ربه رفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر
هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر
قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابراهيم فاما ابتلى ابراهيم ربه او ابتلى ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار
قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابراهيم فيه مقدم في المعنى
وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى
القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم
الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل
انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم
رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او اذ ابتلاه كان كيت و
كيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استئناف كانه قيل فماذا قال له
ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون
بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع القواعد والاسلام قبل ذلك
في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هن خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة و
الاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه بثلثين من
شرائع الاسلام عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر
في المؤمنين وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي

تصحف الشوارب طهره ٤ ٧

والنهي والإحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة
الإمام اسم من يؤتم به على زنة الإله كالإزار لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كأنه
قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون أي
من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة وإنما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا
في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل
خبره ولا يقدم للصلاة وكان أبو حنيفة رحمه الله عليه يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليه وحمل
المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالإمام والخليفة كالدوانيقي وأشباهه وقالت له امرأة
أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول
في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم
إماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالما في نفسه
فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام**
إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود والبيت
اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي
يثوب إليه أعيان الذين يزورونه أو أمثالهم وأمنا وموضع أمن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم
ولأن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لأنه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم
سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على إرادة القول أي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على
وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام
إبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى يريد أفلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم إبراهيم عليه السلام
فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر
ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام
إبراهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين
وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام إبراهيم وعن عمر أنه سأل المطلب بن أبي وداعة هل تدري
أين كان موضعه الأول قال نعم فأراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لأنه
قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام إبراهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على
جعلنا أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون
إليها عهدنا إليهما أمرناهما أن طهرا بأن طهرا أي طهرا والمعنى طهراه من الأوثان والأنجاس وطواف
الجنب والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا

عنده

عنده أي أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلاة كما
قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لأن القيام والركوع والسجود
هيئات المصلي **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله و**
اليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير اجعل هذا
البلد أو هذا المكان بلدا آمنا ذا أمن كقوله عيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم من آمن منهم بدل
من أهله يعني وارزق المؤمنين من أهله خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف
في جاعلك **فإن قلت** لم خص إبراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه **قلت** قاس الرزق على الإمامة
فعرف الفرق بينهما لأن الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينتجع الرعي وأبعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف
الرزق فإنه قد يكون استدراجا للمرزوق وإلزاما للحجة له والمعنى وأرزق من كفر فأمتعه ويجوز أن يكون
ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فأمتعه جوابا للشرط أي ومن كفر فأنا أمتعه وقرئ فأمتعه فأضطره
فألزه إلى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر إليه وقرأ أبي فنمتعه قليلا ثم نضطره
وقرأ يحيى بن وثاب فإضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الأمر والمراد
الدعاء من إبراهيم دعا ربه بذلك **فإن قلت** فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة **قلت** في قال ضمير إبراهيم أي
قال إبراهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره وقرأ ابن محيصن فأطره
بإدغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لأن الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها
ولا تدغم فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل ربنا تقبل**
منا إنك أنت السميع العليم يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس والأصل لما فوقه وهي
صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله أي أسأل الله أن يقعدك أي يثبتك ورفع الأساس البناء
عليها لأنها إذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز أن
يكون المراد بها سافات البناء لأن كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها
بالبناء لأنه إذا وضع ساف فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز أن يكون المعنى وإذ يرفع إبراهيم ما قعد من
البيت أي استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي أنه كان مؤسسا قبل إبراهيم
فبنى على الأساس وروي أن الله تعالى أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال
لآدم أهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من أرض الهند إليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا
بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجليه
فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم
ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة أظلته ونودي أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بنيا

من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وأسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الأسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في أيام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان إبرهيم يبني وإسمعيل يناوله الحجارة ربنا أي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا إنك أنت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا **فإن قلت** هلا قيل قواعد البيت وأي فرق بين العبارتين **قلت** في إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام ما ليس في إضافتها لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم** مسلمين لك مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له وسلم واستسلم إذا خضع وأذعن والمعنى زدنا إخلاصا أو إذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما أرادا أنفسهما وهاجر أو أجريا التثنية على حكم الجمع لأنها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك ومن للتبعيض أو للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم **فإن قلت** لم خصا ذريتهما بالدعاء **قلت** لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير ألا ترى أن المتقدمين من العلماء والكبراء إذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالأمة أمة محمد عليه السلام وأرنا منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين أي بصرنا متعبداتنا في الحج أو عرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وأرنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذلت لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فإسقاطها إجحاف وقرأ أبو عمرو بإشمام الكسرة وقرأ عبد الله وأرهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر أو استتابا لذريتهما **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم** وابعث فيهم في الأمة المسلمة رسولا منهم من أنفسهم وروي أنه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام أنا دعوة أبي إبرهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الأحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث **ومن يرغب عن ملة إبرهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ومن يرغب إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لأن من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد إلا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ويجوز أن يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا * أجب الظهر ليس له سنام * وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار

أوله: فما قومي بثعلبة بن بكر
أوله: ونأخذ بعده بذناب عيش

كقولهم زيد ظني مقيم أي في ظني والوجه هو الأول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وذلك أنه إذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في إذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته لأن من جمع الكرامة عند الله في الدارين بأن كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه **إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين** إذ ظرف لاصطفيناه أي اخترناه في ذلك الوقت أو انتصب بإضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له أسلم أخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية إلى المعرفة والإسلام قال أسلمت أي فنظر وعرف وقيل أسلم أي أذعن وأطع وروي أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا إلى الإسلام فقال لهما قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة إني باعث من ولد إسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فنزلت **ووصى بها إبرهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** وقرئ وأوصى ووصى في مصاحف أهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله أسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى قوله إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على أن التأنيث على تأويل الكلمة ويعقوب عطف على إبرهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها إبرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على إضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لأنه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة أخبرانا * إنا رأينا رجلا عريانا * بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الإخبار وفي قراءة أبي وابن مسعود أن يا بني اصطفى لكم الدين أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام ووفقكم للأخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا كقولك لا تصل إلا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته **فإن قلت** فأي نكتة في إدخال حرف النهي على الصلاة وليس بمنهي عنها **قلت** النكتة فيه إظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة فكأنه قال أنهاك عنها إذا لم تصلها على هذه الحالة ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد فإنه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل إلا في المسجد وكذلك المعنى في الآية إظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه وأنه ليس بموت السعداء وأن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم ونحوه في الأمر مت وأنت شهيد وليس مرادك الأمر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء إذا مات وإنما أمرته بالموت اعتدادا منك بميتته وإظهارا لفضلها على غيرها وأنها حقيقة بأن يحث عليها **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبرهيم**

وإسمعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون أم كنتم شهداء أم هي المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين إذ حضر يعقوب عليه السلام الموت أي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى
ما شاهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون ما مات نبي إلا
على اليهودية إلا أنهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الإسلام ولما
ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم أم كنتم شهداء ولكن الوجه أن تكون أم متصلة
على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت يعني أن
أوائلكم من بني إسرائيل كانوا شاهدين له إذ أراد بنيه على التوحيد وملة الإسلام وقد علمتم ذلك فما لكم — رضيه
تدعون على الأنبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون أي أي شيء تعبدونه وما
عام في كل شيء فإذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلاً قول العلماء من لما يعقل وما لما لا يعقل ولو قيل من تعبدون
لم يعم إلا أولي العلم وحدهم ويجوز أن يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه
أم طبيب أم غير ذلك من الصفات وإبرهيم وإسمعيل وإسحق عطف بيان لآبائك وجعل إسمعيل وهو عمه من جملة
آبائه لأن العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية
آبائي وقال ردوا علي أبي فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرئ إله إبرهيم
بطرح آبائك وقرئ أبيك وفيه وجهان أن يكون واحداً وإبرهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعاً بالواو والنون
قال وفديننا بالأبينا إلهاً واحداً بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أي
يريد بإله آبائك إلهاً واحداً ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد أو من مفعوله لرجوع الهاء إليه في له ويجوز
أن يكون جملة معطوفة على نعبد وأن يكون جملة اعتراضية مؤكدة أي ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون
التوحيد أو مذعنون **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**
تلك إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى أن أحداً لا ينفعه
كسب غيره متقدماً كان أو متأخراً فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما كسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما كسبتم
وذلك أنهم افتخروا بأوائلهم ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم
وتأتوني بأنسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم **وقالوا**
كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبرهيم حنيفاً وما كان من المشركين بل ملة إبرهيم أي
بل تكون ملة إبرهيم أي أهل ملته كقول عدي بن حاتم إني من دين أي من أهل دين وقيل بل نتبع ملة إبرهيم وقرئ
ملة إبرهيم بالرفع أي ملته ملتنا أو أمرنا ملته أو نحن ملته بمعنى أهل ملته وحنيفاً حال من المضاف إليه كقولك رأيت
وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف إذا مال

ويكا

وكأنا منتهياً إذ علقنا حنيفاً مائلاً عن كل دين وما كان من المشركين تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن
كلا منهم يدعي اتباع إبرهيم وهو على الشرك **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبرهيم وإسمعيل**
وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد
منهم ونحن له مسلمون الخطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون خطاباً للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على
الباطل وكذلك قوله بل ملة إبرهيم يجوز أن يكون على بل اتبعوا أنتم ملة إبرهيم أو كونوا أهل ملته والسبط الحافد
وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر
لا نفرق بين أحد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول
بين عليه **فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو**
السميع العليم بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام
ديناً فلن يقبل منه فلا يوجد إذن دين آخر يماثل دين الإسلام في كونه حقاً حتى أن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا
مهتدين فقيل فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أي فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مساوياً له في الصحة
والسداد فقد اهتدوا وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لأنه حق وهدى وما سواه
باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فإن كان عندك رأي أصوب منه
فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز
أن لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة
مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ أبي بالذي آمنتم به وإن تولوا
عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم إلا في شقاق أي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء أو
وإن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لإظهار رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليهم وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر
إلى حين وهو السميع العليم وعيد لهم أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه أو
وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك
وموصلك إلى مرادك **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون** صبغة مصدر مؤكد منتصب عن
قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها
الصبغ والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر
يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانياً حقاً فأمر المسلمون
بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا أو
يقول المسلمون صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة

كما تقول لمن تعرض للاستخبار أعزن كما يعزن فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن أحسن من الله صبغة يعني أنه يصبغ
عباده بالإيمان ويطهرهم به من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغة الله وقوله ونحن له عابدون عطف
على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة إبراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم
صبغة الله لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي
ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم
ونحن له مخلصون وقرئ أتحاجونا بإدغام النون والمعنى أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي
من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك
جميعا في أنا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده فهم فوضى في ذلك لا يختص
عجمي دون عربي إذا كان أهلا للكرامة لنا أعمالنا ولكم أعمالكم يعني أن العمل هو أساس الأمر وبه العبرة وكما
أن لكم أعمالا يعتبرها الله في إعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة
أي نحن له موحدون نخلصه بالإيمان فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل إخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون
نحن أحق بأن تكون النبوة فينا لأنا أهل كتاب والعرب عبدة أوثان أم يقولون إن إبراهيم وإسمعيل و
إسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون أم تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون أم معادلة للهمزة في أتحاجوننا
بمعنى أي الأمرين تأتون المحاجة في حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء والمراد بالاستفهام
عنهما إنكارهما معا وأن تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون والهمزة للإنكار أيضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون إلا
منقطعة قل أأنتم أعلم أم الله يعني أن الله شهد لهم بملة الإسلام في قوله ما كان إبرهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي
شهادته لإبرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين أحدهما أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة
وهم عالمون بها والثاني أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله
لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه
شهادة مني لفلان إذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما
كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم سيقول السفهاء الخفاف الأحلام وهم اليهود
لكراهتهم التوجه إلى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون
قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم فإن قلت أي فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه
قلت فائدته أن مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس

وان

كان الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي
بيت المقدس لله المشرق والمغرب أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها له يهدي من يشاء من أهلها إلى صراط مستقيم
وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة إلى بيت المقدس وأخرى إلى الكعبة وكذلك جعلناكم أمة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم أمة
وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قول النبي
عليه السلام أنطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر إلا أنه ألحق تاء
التأنيث مراعاة لحال الموصوف وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعوار والأوساط محمية محوطة
ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا وقد اكتني بها عن الرجل
العزب فقالوا أعطيني من سطاتهنه أراد من خيار الدنانير أعطيه أو لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها
أقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء
بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم
فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل
عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا فإن قلت فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود
له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد
وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا
يزكيكم ويعلم بعدالتكم فإن قلت لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا قلت لأن الغرض في الأول إثبات
شهادتهم على الأمم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع
إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة إنما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما
جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة إلى الكعبة ثم أمر
بالصلاة إلى الصخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول إلى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب أن
تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة يعني وما رددناك إليها إلا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام
الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا
الآية ويجوز أن يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وأن
استقبالك بيت المقدس كان أمرا عارضا لغرض وإنما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك
هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس

كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فإن قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالمًا بذلك
قلت معناه لنعلمه علمًا يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمه موجودًا حاصلًا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وإنما أسند علمهم إلى ذاته لأنهم خواصه و
أهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم
موضع التمييز لأن العلم يقع به التمييز وإن كانت لكبيرة هي إن المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت
لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة أو التحويلة أو الجعلة ويجوز أن يكون للقبلة لكبيرة
لثقيلة شاقة إلا على الذين هدى الله إلا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا
أهلًا للطفه وما كان الله ليضيع إيمانكم أي ثباتكم على الإيمان وأنكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم و
أعد لكم الثواب العظيم ويجوز أن يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه أن تركه مفسدة وإضاعة لإيمانكم
وقيل من كان صلى إلى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من إخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع أجورهم
ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج أنه قال للحسن ما رأيك في أبي تراب فقرأ قوله إلا على الذين هدى الله ثم قال
وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته وأقرب الناس إليه وأحبهم وقرئ ليعلم على
البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز أن يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقًا عنها العلم كقولك علمت أزيد
في الدار أم عمرو وقرأ ابن أبي إسحاق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها أن تكون
كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والأصل وإن هي لكبيرة كقولك إن زيد لمنطلق ثم وإن كانت لكبيرة و
قرئ ليضيع بالتشديد قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد أترك القرن مصفرًا
تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن
يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود
فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا إذا
جعلته واليًا له أو فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التي
أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال وأطعن بالقوم شطر الملوك وقرأ أبي تلقاء المسجد
الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا ثم وجه
إلى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال
مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف أي اجعل تولية

الوجه

الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لأن استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام
دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق
من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ليعلمون أنه الحق أي التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه يصلي إلى القبلتين يعملون قرئ بالياء والتاء ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية
ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما
جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان
قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة إنما هو عن مكابرة
وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق وما أنت بتابع قبلتهم حسم لأطماعهم إذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو
ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على
الإضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس أخبر عز وجل عن
كل حزب بما هو عليه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة
شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت أهواءهم بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما أنت
بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلًا بعد وضوح البرهان والإحاطة
بحقيقة الأمر إنك إذًا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال
من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى وتهييج وإلهاب للثبات على الحق فإن قلت كيف قال وما أنت بتابع
قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم
حكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله
عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون أبناءهم لا يشتبه عليهم أبناؤهم
وأبناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا أعلم
به مني بابني قال ولم قال لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز
الإضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار
بأنه لشهرته وكونه علمًا معلومًا بغير إعلام وقيل الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة وقوله كما يعرفون أبناءهم
يشهد للأول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فإن قلت لم اختص الأبناء قلت لأن الذكور أشهر وأعرف
وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق وإن فريقًا منهم استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم الذين قال فيهم و
منهم أميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يجوز أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق وأن يكون مبتدأ خبره من

ويجوز أن يكون اللام للعهد والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق أي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وأن يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه وما لم يثبت أنه من الله كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل فإن قلت إذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك قلت يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون حالا وقرأ علي رضي الله عنه الحق من ربك على الإبدال من الأول أي يكتمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم أو في أنه من ربك ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير ولكل من أهل الأديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة أبي ولكل قبلة هو موليها هو موليها وجهه فحذف أحد المفعولين وقيل هو لله تعالى أي الله موليها إياه وقرئ ولكل وجهة على الإضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها أي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل أمة قبلة تتوجه إليها منكم ومن غيركم فاستبقوا أنتم الخيرات واستبقوا إليها غيركم من أمر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو أن يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أي جهة يصلي إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز أن يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وإن اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت ومن أي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام إذا صليت وإنه وإن هذا المأمور به وقرئ يعملون بالياء والتاء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة إلى الفيصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولأنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها إلا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء فإن قلت أي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول إلى قبلة أبيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة فإن قلت كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لأنهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز أن يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أبي العرب إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وقرأ زيد بن علي ألا الذين ظلموا على أن ألا للتنبيه ووقف

على حجة إن أساءت نيتها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فإنهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا أمري وما رأيته مصلحة لكم ولأتم متعلق اللام محذوف معناه ولإتمامي النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم أمرتكم بذلك أو يعطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشوني لأوفقكم ولأتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون كما أرسلنا إما أن يتعلق بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول وإما بما بعده أي كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب واشكروا لي ما أنعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون أموات بل أحياء أي هم أموات بل هم أحياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل إليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لأمر الله وحكمه أم لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لأن الاسترجاع تسليم وإذعان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي أنه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وإنما قلل في قوله بشيء ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه ما يقل إليه وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وإنما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء أو على الخوف بمعنى وشيء من نقص الأموال والخطاب في ولنبلونكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الأموال الزكوات والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون الصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤوف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد

أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم

وانه ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله ان الصفا والمروة
من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم
الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته
والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين وهما في المعاني كالنجم والبيت في
الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح
عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان روي انهما كانا رجلا وامراة
زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان اهل الجاهلية
اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا
عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير
بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا
فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما
وعن ابي حنيفة انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي رحمهم
هو ركن لقوله عليه الصلاة والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع واد
في قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون كاحبار اليهود كتموا ما انزلنا في التوراة من
البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به
من بعد ما بيناه لخصناه للناس في الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا
الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن
عليهم من الملائكة والمؤمنين من الثقلين الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب
الرحيم واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس
ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وان الذين كفروا
يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن والملائكة
والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد
من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي
الناس المسلم والكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا
خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار وانما اضمر

تفخيما

تفخيما لشأنها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا
او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم اله واحد فرد في الالهية لا شريك له
فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم
اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول
الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات بآية نعرف بها صدقك
فنزلت ان في خلق السموات والارض ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها
وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون
واختلاف الليل والنهار اعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس
بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على
انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما
انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة
لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها
حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر للرياح
تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء لآيات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها
دلائل على عظيم القدرة فيها وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها
اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وقرئ الريح على الافراد ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله اندادا اي من الاصنام وقيل من الرؤساء
الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله
على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه
وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد
حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد ويفزعون
اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم
زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الاههم من حيس عام المجاعة ولو يرى الذين ظلموا
اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد
اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من الثواب والعقاب

دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف
من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار وقولهم
لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى بالتاء على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت
امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة **اذ تبرأ الذين اتبعوا من**
الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اي تبرأ المتبوعون
وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤسا
وراوا العذاب الواو للحال وقد مضمرة اي في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت
بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب من الاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم **وقال الذين**
اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم
بخارجين من النار لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم
كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم
تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا الحسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة
في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص **يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا**
تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة
ولا تتبعوا خطوات الشيطان ولا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض
ليس بماكول وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء
كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي
الخاطي ونحوها الغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به
واستن بسنته انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا خفاء به **انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا**
تعلمون بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء
بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله
مما لا يجوز عليه **فان قلت** كيف كان الشيطان امرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان **قلت** شبه تزيينه
وبعثه على الشر بامر الامر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم
له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله
تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان بطاعتها يعطيها ما اشتهت **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله**
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الضمير للناس

وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء
انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل
قوله تعالى بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه ايتبعونهم
ولو كان اباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من
الدين ولا يهتدون للصواب **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم**
عمي فهم لا يعقلون لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا
كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت
من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي ينعق
بها ويصيح بها ولا تفقه شيئا اخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ
الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم
في اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء
يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق
بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق
المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا
واما نعق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم **يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**
واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا
واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق
ويشكر غيري **انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد**
فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم قرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم
اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر
اخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة **فان قلت** في الميتة ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان **قلت** قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان
القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال
لاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة قال الله
تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله

لانتشار الدواب عند الله الذين كفروا فإن قلت ما أدركهم الحسن يردون شحمه قلت لأن التهم فاعل في فكر
الإنكار تابعاً له وصفة بيده بدليل قولهم لم يمنعوا بيعت أنه شحمه إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا
يزكيهم ولهم عذاب أليم في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه إلا النار
لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي
هي بدل منه قال أكلت دما إن لم أرعك بضرة وقال يأكلن كل ليلة إكافا أراد إلا كان ثمنها إكافا
بسكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء
عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم
بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة
فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد
فما أصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب
غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل
فما أصبرهم فأي شيء صبرهم يقال أصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا أصل معنى فعل التعجب والذي روي عن
الكسائي أنه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم إلي رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له
ما أصبرك على الله فمعناه ما أصبرك على عذاب الله ذلك بأن الله نزل أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل
من الكتب بالحق وأن الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم أهل الكتاب
لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق
كما يعلمون وأن الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم أساطير لفي شقاق بعيد
يعني أن أولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء أن يكفروا ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين البر اسم للخير ولكل فعل
مرضي أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لأهل الكتاب لأن اليهود تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس
والنصارى قبل المشرق وذلك أنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة
وزعم كل واحد من الفريقين أن البر التوجه إلى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما أنتم عليه فإنه منسوخ خارج
من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي
يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة إليه
بر من آمن وقام بهذه الأعمال وقرئ ليس البر بالنصب على أنه خبر مقدم وقرأ عبد الله بأن تولوا على إدخال الباء
على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن بالله على تأويل حذف المضاف أي بر من آمن أو

بتأويل البر بمعنى ذي البر أو كما قالت فإنما هي إقبال وإدبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر
بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله أو القرآن
وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام
الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس
أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه أن تؤتيه
وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على
حب الله وقيل على حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه وقدم ذوي القربى لأنهم أحق قال عليه السلام
صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لأنها صدقة وصلة وقال أفضل الصدقة على ذي الرحم
الكاشح وأطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الإلباس والمسكين الدائم السكون إلى الناس
لأنه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما تقول للص
القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لأن السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم للسائل حق وإن جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل
في ابتياع الرقاب وإعتاقها وقيل في فك الأسارى فإن قلت قد ذكر إيتاء المال في هذا الوجه ثم قفاه بإيتاء
الزكاة فهل دل ذلك على أن في المال حقا سوى الزكاة قلت يحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكاة
أو يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة يعني نسخت وجوبها وروي إن
في المال حقا سوى الزكاة والموفون عطف على من آمن وأخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح
إظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين
والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن
عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى
بعد ذلك فله عذاب أليم عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي
رضي الله عنهما أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى أخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله
النفس بالنفس ولأن تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم
ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه
أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والأنثى ويستدلون بقوله عليه السلام
المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي
أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم

بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام
فنزلت وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك
سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول
الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالب به كما تقول للرجل
قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت
بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى
الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا
تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية
كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى
المفعول به قلت لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى
فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة
في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل
عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه
للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت
لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا
عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع
وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا
مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو
والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى
اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية والعفو
توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ
الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب
شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله صلى الله عليه وسلم
لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون ولكم في
القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا
للحيوة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم
الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب

حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص
كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص
من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص
سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل
القصص القرآن اي لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي
اريكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة
على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك
خيرا الوصية للوالدين والاقربين حقا على المتقين اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا
مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربع مائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد
آخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الآف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا
وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبع مائة فمنعه وقال قال الله تعالى
ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك
ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث و
بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي الامة اياه بالقبول حتى
لحق بالمتواتر وان كان من الآحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع
له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله
من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما
اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز
الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله
سميع عليم فمن بدله فمن غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه
فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما
بريئان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان
الله غفور رحيم فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شايع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع
والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين
الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى
حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم

قال علي رضه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم
وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف
لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال صلى الله عليه وسلم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون
في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان اياما معدودات
فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع ع
خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله
وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم و
معايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء
وثلاثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل
كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام
الآية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر
بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او
على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب
عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مريض لان الله تعالى
لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين
انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او
الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم
ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في
القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان
يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فاته متتابعا
وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة
الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا
يؤتى به الا على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين
لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز
مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية
وقرأ ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم
صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه

بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد
قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه
على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ
ويجوز ان يكون هذا بمعنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار
الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون
وتحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر
ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف
والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي
شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته
كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة
سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف
والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا و
احتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيا النطاسي حذيما
اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم
الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او
على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة
الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل
في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة
لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل
وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت
فما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما
هدى الله به وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال
فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب
على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان

اول البيت
فهل لكم فيها الي فانني طبيب بما اعيا النطاسي حذيما
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الرجل الحاذق ١٢

للتيسير يريد الله أن ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وأمركم بالحنيفية السمحة التي لا إصر فيها ومن
جملة ذلك ما رخص لكم فيه من إباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر
حتى زعم أن من صام منهما فعليه الإعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما
سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر
الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله ولتكملوا علة
الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة
الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبيينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان
وإنما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم
ومعنى ولعلكم تشكرون وإرادة أن تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فإن قلت هل يصح أن يكون ولتكملوا
معطوفا على علة مقدرة كأنه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة أو على اليسر كأنه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد
بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والأول أوجه فإن قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله
والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الإهلال وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فإني قريب تمثيل لحاله في سهولة
إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فإذا دعي أسرعت تلبيته ونحوه ونحن أقرب
إليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم وبين أعناق رواحلكم وروي أن أعرابيا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان و
الطاعة كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون بفتح الشين وكسرها أحل لكم ليلة
الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب و
الجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء
إلى القابلة ثم إن عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره بما فعل
فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت
وقرئ أحل لكم ليلة الصيام الرفث أي أحل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ
النيك وقد أرفث الرجل وعن ابن عباس أنه أنشد وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير ننك لميسا
فقيل له أرفثت فقال إنما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لأنه
لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فإن قلت لم كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفضى
بعضكم إلى بعض فلما تغشاها باشروهن أو لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل أن تمسوهن فما استمتعتم

به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم فإن قلت لم عدي الرفث بإلى
قلت لتضمينه معنى الإفضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبهه
باللباس المشتمل عليه قال الجعدي إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فإن قلت ما موقع قوله هن
لباس لكم قلت هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة
قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم
فتاب عليكم وعفا عنكم تختانونها تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من
الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم و
كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل وابتغوا ما
كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن
لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل وقيل في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم و
حلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس
واتبعوا وقرأ الأعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وهو ما كتب الله لكم من الثواب إن أصبتموها وقمتموها
وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الأبيض أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود والخيط الأسود ما يمتد
معه من غبش الليل شبها بخيطين أبيض وأسود قال أبو دواد فلما أضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط أنارا وقوله
من الفجر بيان للخيط الأبيض واكتفي به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للثاني ويجوز أن تكون من
للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله فإن قلت أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه قلت قوله من الفجر أخرجه من
باب الاستعارة كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فإذا زدت من فلان رجع تشبيها فإن قلت فلم زيد من الفجر حتى كان
تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة قلت لأن من شرط المستعار
أن يدل عليه الحال أو الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا
وخرج من أن يكون استعارة فإن قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت إلى عقالين
أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود فلما أصبحت
غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك وقال إن كان وسادك لعريضا وروي إنك لعريض القفا
إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لأنه
مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وأنشدني بعض البدويات لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله
قد انحص من حسب القراريط شاربه فإن قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي أنها نزلت ولم ينزل
من الفجر فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل و
يشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا أنه إنما عنى بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير البيان

وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد إذ ليس باستعمال لفظ الآية ولا بتشبيه بقيل ذكر الخيطين لا يفهم منه
إذا الآية الحقيقة وهي غير مرادة **قلت** أما من لا يجوز تأخير البيان وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب
أبي علي وأبي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث وأما من يجوزه فيقول ليس بعبث لأن المخاطب يستفيد منه وجوب
الخطاب ويعزم على فعله إذا استوضح المراد به ثم أتموا الصيام إلى الليل والآية دليل على جواز النية بالنهار
في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر وعلى نفي صوم الوصال **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون
في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون** عاكفون في المساجد
معتكفون فيها والاعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله أحل لكم
ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف
وكذلك إذا لمس أو قبل فأنزل وعن قتادة كان الرجل إذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع إلى المسجد فنهاهم الله
عن ذلك وفي الآية دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز
إلا في مسجد نبي وهو أحد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على أنه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في
المسجد تلك الأحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها **فإن قلت** كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله **قلت** من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي أن يتعداه لأن
من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا
يداني الباطل وأن يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا أن يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد
ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب **ولا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون**
ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا أمرها والحكومة
فيها إلى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من أموال الناس بالإثم بشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح
مع العلم بأن المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي
ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه
شيئا فإنما أقطع له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم
ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها أي وتلقوا بعضها إلى الحكام على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم
داخل في حكم النهي أو منصوب بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أنكم على الباطل وارتكاب المعصية
مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه أحق بالتوبيخ **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر
بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم**

تفلحون روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل
الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت
معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال دينهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن
ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وكان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا
ولا دارا ولا فسطاطا من باب فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما
يصعد فيه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر
من اتقى ما حرم الله **فإن قلت** ما وجه اتصاله بما قبله **قلت** كأنهم سألوا عن الحكمة في
نقصان الهلال وتمامه معلوم أن كل ما يفعله الله عز وجل لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال
عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برا ويجوز أن يجري ذلك على
طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج لأنه كان من أفعالهم في الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم
في سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من ترك باب البيت ودخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي أن تكونوا
عليه بأن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت
من أبوابها أي وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين
النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في
ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون **وقاتلوا
في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد
لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون
منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن أنس هي أول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة
من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لأنهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون
لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا أو لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون أن لا
تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت وأطلق لهم قتال الذين
يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال أو بقتال من
نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثلة أو بالمفاجأة من غير دعوة
**واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين**

حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف
سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة
وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة
البلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال
الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل
لقتل بحد السيف اهون موقعا * على النفس من قتل بحد فراق * وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك
اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه
اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او
من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فالمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم
قتلنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان
الا على الظالمين حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا
عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع
على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه او انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم الشهر الحرام بالشهر الحرام و
الحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين
قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال
ذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا
حرمته عليكم والحرمات قصاص اي كل حرمة يجري فيها القصاص فمن هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك
له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم
وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين الباء في بايديكم مزيدة مثلها
في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم
وقيل بتقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك
الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال
والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح
به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الآية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا فلما فشا الاسلام وكثر
اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة
في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا
من قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان
التنضبة والتنفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت
من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا
رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير
توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام * جعل الوقوف عليها
كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود
رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد رحمه الله عليه حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة
حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة
قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع
جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان
يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي
الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد
والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له
اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال له هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر
بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانما قرنتا في الذكر فقال بلغ
فلان اعمرة والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر
فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من
الصلاة والدليل الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان
وستة من شوال في انك تأمره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا
بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال
الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت * عليك ولا ان احصرتك شغول
وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم
وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة كل
منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما منع العدو

وحده وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدى فما تيسر منه
يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية كما تقول في جدية السرج جدى
وقرئ من الهدى بالتشديد جمع هدية كمطية ومطى وهي ما يهدى من النعم الى البيت ثم يجزئ ذبحه
او عمرة ومثلكم اذا اراد ان يحل فما استيسر من الهدى من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدى
المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة
وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا فما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما
استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى الذى
بعثتموه الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب
ابي حنيفة فان قلت فان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طرف الحديبية الذي
الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي
الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية من
صيام او صدقة او نسك فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه وهو
القمل والجراحة فعليه اذا احلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر
او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله
قال احلق رأسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه الآية
وروي انه مرّ به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل
جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي
فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة فاذا امنتم الاحصار يعني
فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج
انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا احل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما
عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى هو هدى المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي
يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجه فمن لم يجد
الهدى فعليه صيام ثلثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو
مذهب ابي حنيفة والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم
والافضل ان يصوم وعند الشافعي لا يصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم
بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرأ ابن ابي عبلة
وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما

فان قلت ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما
جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد
جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تأكيد
آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك
اهتمام بامر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة
ابي فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا
ان الله شديد العقاب ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام
عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الآفاق
فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب
عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان
من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه
في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالفه ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى الحج
اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله
وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات
شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك
ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام
بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران
وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال
فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك
سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب
مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها
مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر انه
قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من
مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة الى آخر الشهر وانما سميت معلومات لانها معلومة عند الناس لا تشكل عليهم وفيه
ان الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزم نفسه بالتلبية او
بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه مفسد له او فلا فحش
من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء

من مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج
أسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنهي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لا
تكون وقرئ المنفيات الثلث بالنصب والرفع وقرأ أبو عمرو وابن كثير الأولين بالرفع والآخر بالنصب لأنهما
حملا الأولين على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه
قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك أن قريشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون
بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد إلى وقت واحد ورد الوقوف إلى عرفة
فأخبر الله أنه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله
صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه وأنه لم يذكر الجدال وما تفعلوا
من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق
البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا
يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء
القبائح فإن خير الزاد اتقاؤها وقيل كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله
أفلا يطعمنا فيكونون كلاً على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل
عليهم فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب يعني أن قضية اللب تقوى الله ومن لم
يتقه من الألباء فكأنه لا لب له ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين فضلاً من ربكم
عطاء منه وتفضلاً وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج وإذا دخل
العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا
بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في أيام الموسم وكانت معايشهم
منها فلما جاء الإسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وأبيح لهم وإنما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر أن
رجلاً قال له إنا قوم نكري في هذا الوجه وإن قوماً يزعمون أن لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال أنتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له
هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا إلا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس
فضلاً من ربكم في مواسم الحج أن تبتغوا في أن تبتغوا أفضتم دفعتم بكثرة وهو من إفاضة الماء وهو صبه
بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث أبي بكر
صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال أفاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع
كأذرعات فإن قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتأنيث قلت لا يخلو التأنيث إما أن يكون

بالتاء التي في لفظها وإما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتأنيث وإنما هي مع الألف التي قبلها
علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لأن هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا
تقدر تاء التأنيث في بنت لأن التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها
قالوا سميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم فلما أبصرها عرفها وقيل إن جبريل حين كان يدور به في المشاعر أراها إياها
فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لأن الناس يتعارفون فيها والله أعلم بحقيقة ذلك وهي من
الأسماء المرتجلة لأن العرفة لا تعرف في أسماء الأجناس إلا أن تكون جمع عارف وقوله فيه دليل على وجوب الوقوف
بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك
الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح
وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة إلى
وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح أنه الجبل لما روى جابر أن النبي صلى الله
عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفاً
حتى أسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريباً منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة وإلا
فالمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر أو جعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر
والمشعر المعلم لأنه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه نظر إلى الناس ليلة جمع
فقال لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعاً لأن آدم اجتمع فيها مع حواء و
ازدلف إليها أي دنا منها وعن قتادة لأنه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز أن يقال وصفت بفعل أهلها لأنهم
يزدلفون إلى الله أي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية أو كافة والمعنى اذكروه ذكراً حسناً
كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وإن كنتم من قبله من قبل
الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وإن هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ثم أفيضوا لتكن
إفاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي
عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف وقولهم نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع
وسائر الناس بعرفات فإن قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم
تأتي بثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين أمرهم بالذكر
عند الإفاضة من عرفات قال ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين وأن إحداهما صواب والثانية خطأ
وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس أي من المزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات وقرئ من
حيث أفاض الناس بكسر السين أي الناسي وهو آدم من قوله فنسي يعني أن الإفاضة

يوم عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم
فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا
فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق فإذا قضيتم مناسككم فإذا فرغتم من
عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم
ومفاخرهم وأيامهم وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون
محاسن أيامهم أو أشد ذكرا في موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش
آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا أو في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى أو أشد ذكرا من آبائكم على أن ذكرا
من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه أكثروا ذكر الله ودعاءه فإن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله
إلا أغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا اجعل إيتاءنا أي إعطاءنا في
الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق أي من طلب خلاق وهو النصيب أو ما لهذا الداعي في الآخرة
من نصيب لأن همه مقصور على الدنيا ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة و
قنا عذاب النار والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم
في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء
أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب أولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا أي نصيب
من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة أو من أجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم
أغرقوا أو لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة و
سمى الدعاء كسبا لأنه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب بما كسبت أيديكم ويجوز أن يكون أولئك للفريقين
جميعا وأن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا
إكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال
قدرته ووجوب الحذر منه روي أنه يحاسب الخلائق على قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي
في مقدار لمحة واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه
لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون الأيام المعدودات أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير في أدبار
الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي
الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الأمر واستعجل
ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون من المستعجل الزلل لأجل الثاني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه أهل مكة يوم
الرؤوس واليوم بعده ينفر إذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة

وعند أبي حنيفة وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز
تقديمه على الزوال عند أبي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فإن قلت كيف قال فلا إثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا
قلت دلالة على أن التعجل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا أو تأخروا فإن قلت أليس التأخر أفضل قلت بلى ويجوز
أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل وقيل إن أهل
الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا
لمن اتقى أي ذلك التخيير ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب
أن أحدهما يرهق صاحبه آثاما في الإقدام عليه لأن ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولأنه هو الحاج على
الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز أن يراد ذلك الذي مر ذكره من أحكام الحج وغيره لمن
اتقى لأنه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله ومن الناس من يعجبك قوله
في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام من يعجبك قوله أي يروقك ويعظم في قلبك
ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الأخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق إذا لقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال يعلم الله أني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت
تحلولي ألسنتهم وقلوبهم أمر من الصبر فإن قلت بم يتعلق قوله في الحياة الدنيا قلت بالقول أي يعجبك ما يقوله
في معنى الدنيا لأن ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما يراد بالإيمان
الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم فكلامه إذا في الدنيا لا في الآخرة ويجوز أن يتعلق
بيعجبك أي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة
أو لأنه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه أي يحلف ويقول الله شاهد على
ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف أبي ويستشهد الله وهو ألد الخصام وهو شديد
الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم
والخصام المخاصمة وإضافة الألد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر أو جعل الخصام ألد على المبالغة وقيل الخصام
جمع خصم كصعاب وصعب بمعنى وهو أشد الخصوم خصومة وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا تولى عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق سعى في الأرض
ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل إذا تولى وإذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض
بإهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث
والنسل على أن الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو أبى يأبى
وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد
أخذته العزة بالإثم من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه أي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية

على الإثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه وأن لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا أو على رد قول الواعظ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد يشري نفسه يبيعها أي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله وأتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الأعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه كافة لا يخرج منكم أحد يده عن طاعته وقيل هو أمر لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها وأن لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على السبت وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم فإن زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات أي الحجج الشاهدة على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق فاعلموا أن الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم إلا بحق وروي أن قاريا قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه وقال أبو السمال إن أتيتكم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور إتيان الله إتيان أمره وبأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءها بأسنا ويجوز أن يكون المأتي به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فإن الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما أظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل أو على الغمام فإن قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام قلت لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الأمر وتم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل وقضاء الأمر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول وبالتأنيث والتذكير فيهما سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب سل أمر للرسول أو لكل أحد وهذا

السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيامة كم آتيناهم من آية بينة على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام ونعمة الله آياته وهي أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم فإن قلت كم استفهامية أم خبرية قلت تحتمل الأمرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير فإن قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها أو جعل إمهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم أي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لأنهم في عليين من السماء وهم في سجين من الأرض أو حالهم عالية لحالهم لأنهم في كرامة وهم في هوان أو هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحق بها منكم فإن قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريكم أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين كان الناس أمة واحدة متفقين على دين الإسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وجل وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول الوجه فإن قلت متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس أنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وأنزل معهم الكتاب يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله

أو الكتاب أو النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما
اختلف فيه في الحق إلا الذين أوتوه إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف أي ازدادوا الاختلاف
لما أنزل عليهم الكتاب وجعلوا المنزل الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم
وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم من الحق بيان لما اختلفوا فيه أي فهدى الله الذين آمنوا للحق
الذي اختلف فيه من اختلف أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم
البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب أم
منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وإنكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على
النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين
اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي
هي أبلغ أم حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الإثبات والمعنى أن إتيان ذلك متوقع
منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا
قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وأزعجوا إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما
أصابهم من الأهوال والأفزاع حتى يقول الرسول إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله
أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة
وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة وتماديه في العظم لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم و
اصطبارهم وضبطهم لأنفسهم فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح
وراءها ألا إن نصر الله قريب على إرادة القول يعني فقيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر
وقرئ حتى يقول بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال لأن أن علم له وبالرفع على أنه في معنى الحال
كقولك شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه إلا أنها حال ماضية محكية يسألونك ماذا ينفقون قل ما
أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله
به عليم فإن قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما أنفقتم من خير وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون
وأجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على
ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها إن الصنيعة لا تكون صنيعة
حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس أنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فأراد أن ينفق
فقال ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هي
في التطوع كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن
تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى أن تكرهوا

الرسول

نهر

شيئا ثم إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فإنما هي إقبال وإدبار
كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وإما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم
وقرأ السلمي بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز أن يكون بمعنى الإكراه على سبيل المجاز
كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وعسى
قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فإن النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم
وما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون ذلك يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل
الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش
فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف
وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن
فيه الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب
السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى وعن ابن عباس
لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام
وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا
لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير أي إثم كبير وعن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام
فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت وأكثر الأقاويل
على أنها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ وأكبر خبره يعني وكبائر
قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ
والبناء على الظن والفتنة الإخراج أو الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز أن يعطف على
الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
ولا يزالون يقاتلونكم إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم و
حتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي يقاتلونكم كي يردوكم وإن استطاعوا استبعاد
لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه إن ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بأنه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع
عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على رده إليه فيمت على الردة فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة
لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة

[illegible] الكشاف ١٢

ومنها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان
رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله
غفور رحيم ان الذين آمنوا والذين هاجروا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي
ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار
هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب يسألونك عن الخمر
والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون نزلت
في الخمر اربع آيات بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم
حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة
للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا
منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله
فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اؤذن
عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت فيه اصبعي لم تتبعني
وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب
وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه
ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن
بعض اصحابه لان اشرب منه قدحا احب الي من ان اشرب شربة هو حرام ولان اخر من السماء فانقطع
قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر العلماء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب
وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكأنها سميت بالمصدر
من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال
يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار
لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم بالشعب
اذ يعقلون بي ما يفعل ايسار بالميسر فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي
الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح
والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين

الا ثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح واساميهن وغد وسفيح ومنيح
للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها
في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها
فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب
له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون
بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد
والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما
اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما ومنادمة الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم
واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى
الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي وقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه
فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق
به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح
لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم
في الدنيا والآخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو
اصلح لكما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع
ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى
لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر
الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم
وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح
لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم
تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد
من المصلح اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا

غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرئ لاعنتكم
ثل اصلاح اليتيم ومعناه ايصال الصالح اليتيم وقرئ لعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك
ثلاثة عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه
طاقتهم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا
المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن
او لا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الكتابيات والحربيات جميعا لان اهل الكتاب
من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون
وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء
قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي
الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال
ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستامره فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد
مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان
المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته
للناس لعلهم يتذكرون اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا
ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناسبة والقتال والله يدعوا الى الجنة يعني اولياء الله
وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم وان
يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة وقرا الحسن والمغفرة
باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في
المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض
يقال حاضت حيضا شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء في حيضهن
فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها
على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن
من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر
اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن
ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود

كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو
يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة
ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلها ثم ليباشرها ان شاء
وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امراتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها
ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة انها قالت
يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن
وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا
القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم و
ان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلاة كامل وذهب الشافعي الى
انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فاتوهن
من حيث امركم الله من الماتى الذي امركم به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى
يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله
يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار
كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك نساؤكم حرث لكم فاتوا
حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين حرث لكم
مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل
بالبذور وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان
تحرثوها من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد
ان يكون الماتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا
حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها من كلام الله
آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتادبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي
ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود فنزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال
الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله ولا
تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح و
التعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع
البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله يعني ان الماتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث

توجه له وتقبيحاً وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء
الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض **فان قلت** ما بال يسئلونك جاء بغير واو ثلاث
مرات ثم مع الواو ثلاثا **قلت** كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف
لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك
كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وعن كذا **ولا
تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم** العرضة فعلة
بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه
ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال
فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الاية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او
اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يمينى فيترك البر ارادة البر في
يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي
هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي
للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس **فان قلت** بم تعلقت اللام في لايمانكم
قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض
بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل
او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا
لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام و
جعل الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم
واصلاح ذات بينهم **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله
غفور حليم** اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد
الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة رحمه الله
هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى
والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام
لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين
الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين

ستدرك منها ان تبروا علة معنى الارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا الان اللام حر

وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة
بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم و
قصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم
للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم قرأ عبد الله
آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم **فان قلت** كيف عدي بمن وهو معدى بعلى **قلت** قد ضمن
في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين او مقسمين ويجوز ان يراد
لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك
اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر
الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز
صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت
بطلقة عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي
فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاءوا في الاشهر بدليل قراءة
عبد الله فان فاءوا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار
النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد
من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة **وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم**
وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة
وعلى قول الشافعي معناه فان فاءوا وان عزموا بعد مضي المدة **فان قلت** كيف موقع الفاء اذا كانت
الفيئة قبل انتهاء مدة التربص **قلت** موقع صحيح لان قوله تعالى فان فاءوا وان عزموا تفصيل
لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم
اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول **فان قلت** ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم
الطلاق مما يعلم ولا يسمع **قلت** الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة
ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة
الشيطان **والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر** والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء **فان قلت** كيف جازت
ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم **قلت** بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء
في احد ما يصلح له كالاسم المشترك **فان قلت** ما معنى الاخبار عنهن بالتربص **قلت** هو خبر في معنى الامر واصل
الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى

بغير العلوق بالرضاع ح ١٤

بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك
الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما
زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن
ثلثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن
على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء
طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء
جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق
الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي
في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرا به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء
من الامة بالحيضة ويقال اقرات المراة اذا حاضت وامراة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان
جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول في قوله تعالى
فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعي انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول
لقيته لثلث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلث وعدتهن الحيض الثلث فان قلت فما تقول في قول الاعشى
لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القرء عندهم في الاعتداد
يعني انه مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه
في الحروب والغارات وانه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها او اراد من
اوقات نسائك فان القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فان قلت فعلام انتصب
ثلثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على
انه ظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي
هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الاخر لاشتراكهما في الجمعية
الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء
فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرا الزهري ثلثة قرو
بغير همز ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها
فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت
وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة
فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن بالله واليوم

الاخر تعظيم لفعلهن وان من امن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وبعولتهن احق بردهن
في ذلك ان ارادوا اصلاحا والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة و
يجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن و
في قراءة ابي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها
قلت المعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان
لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ولهن مثل الذي عليهن
ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات
الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة
مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان
يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المراة تنال من اللذة مثل ما
ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق مرتان فامساك بمعروف او
تسريح باحسان الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على
التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع
البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك و
سعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف
يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم
وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان
اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان
يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة
فقال او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين التطليقتين والثلث بدعة والسنة ان لا يوقع
عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا باس بارسال الثلث
لحديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه
ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت

بعضه وهو يحبها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي و
رأسه شيء والله ما أعيب عليه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بغضا إني رفعت
جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت وكان قد
أصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام **فإن قلت** لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم أن
تأخذوا إن قلت للأزواج لم يطابقه قوله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله وإن قلت للأئمة والحكام فهؤلاء ليسوا
بآخذين منهن ولا بمؤتين **قلت** يجوز الأمران جميعا أن يكون أول الخطاب للأزواج وآخره للأئمة والحكام
ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وأن يكون الخطاب كله للأئمة والحكام لأنهم الذين يأمرون بالأخذ
والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون مما آتيتموهن أعطيتموهن من الصدقات إلا
أن يخافا ألا يقيما حدود الله إلا أن يخاف الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب
الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها
فيما أعطت فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت منه من بذل ما أوتيت من المهر والخلع بالزيادة
على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي أن امرأة نشزت على زوجها فرفعت إلى عمر رضي الله عنه
فأباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده
أقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله وهذا إذا كان
النشوز منها فإن كان منه كره له أن يأخذ منها شيئا وقرئ إلا أن يخافا على البناء للمفعول وإبدال
أن لا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه إقامة حدود الله ونحوه
وأسروا النجوى الذين ظلموا ويعضده قراءة عبد الله إلا أن يخافوا وفي قراءة أبي إلا أن يظنا
ويجوز أن يكون الخوف بمعنى الظن يقول أخاف أن يكون كذا وأفرق أن يكون يريد أظن
**فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا
إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** فإن طلقها الطلاق المذكور
الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه أو فإن طلقها مرة ثالثة بعد المرتين
فلا تحل له من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند إلى المرأة
كما يسند إلى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان أي ذات زوج منهم وقد تعلق من اقتصر
على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور أنه لا بد من الإصابة لما روى
عروة عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة رفاعة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة رفاعة
قالت إن رفاعة طلقني فبت طلاقي وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وإنما معه مثل هدبة
الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته

ويذوق عسيلتك وروي أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت إنه قد كان مسني فقال لها كذبت
في قولك الأول فلن أصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر
رضي الله عنه فقالت أأرجع إلى زوجي الأول فقال قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين قال لك ما قال فلا ترجعي إليه فلما قبض أبو بكر قالت مثله لعمر فقال لئن أتيتني بعد مرتك
هذه لأرجمنك فمنعها **فإن قلت** فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل **قلت** ذهب سفيان والأوزاعي
وأبو عبيد ومالك وغيرهم إلى أنه غير جائز وهو جائز عند أبي حنيفة رضي الله عنه مع الكراهة
وعنه أنهما إن أضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن
المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه
لا إلا نكاح رغبة غير مدالسة فإن طلقها الزوج الثاني أن يتراجعا أن يرجع كل واحد منهما
إلى صاحبه بالزواج إن ظنا إن كان في ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل إن
علما أنهما يقيمان لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله ومن فسر الظن هاهنا بالعلم فقد وهم
من طريق اللفظ والمعنى لأنك لا تقول علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم ولأن الإنسان
لا يعلم ما في الغد وإنما يظن ظنا **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف
أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه**
فبلغن أجلهن أي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر
الإنسان أجل وللموت الذي ينتهي به أجل وكذلك الغاية والأمد يقول النحويون من لابتداء
الغاية وإلى لانتهاء الغاية وقال كل حي مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى أجله ويتسع في
البلوغ أيضا فيقال بلغ البلد إذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وإنما شارف ولأنه قد علم
أن الإمساك بعد تقضي الأجل لا وجه له لأنها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه
فلا سبيل له عليها فأمسكوهن بمعروف فإما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة أو سرحوهن
بإحسان وإما أن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل
يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها
فهو الإمساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن إلى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها
لعقاب الله **ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم
من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم** ولا تتخذوا آيات الله
هزوا أي جدوا في الأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد اتخذتموها هزوا و
لعبا ويقال لمن لم يجد في الأمر إنما أنت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا وإلا فلا تلعب بالتوراة

وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن
جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها
بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن**
ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب
به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن
يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن
واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن
يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل
اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا
يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس
والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة
وان قصائدي لك فاصطنعني كرائم قد عضلن عن النكاح وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن
الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء
بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة
انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا **ذلك يوعظ به من كان**
منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم
لا تعلمون فان قلت لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به **قلت** يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكل احد ونحوه ذلك خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر من ادناس الآثام وقيل ازكى و
اطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما
تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه **والوالدات يرضعن اولادهن حولين**
كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف
لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى
الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما و
ان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف
واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد
كاملين تأكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فيقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما

وقرأ ابن عباس ان يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة و
ان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التأويل **فان قلت** كيف اتصل قوله لمن اراد
بما قبله **قلت** هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم
لمن اراد اتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد
ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون
في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي
يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون
الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر
عليه ولا يجوز استئجار الام عند ابي حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة له او معتدة من نكاح
وعند الشافعي رحمه الله يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق **فان قلت** فما بال الوالدات
مأمورات بان يرضعن اولادهن **قلت** اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب
اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار و
قيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له
وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب
عليهم **فان قلت** لم قيل المولود له دون الوالد **قلت** ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد
للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد للمأمون بن الرشيد فانما امهات الناس اوعية
مستودعات وللآباء ابناء فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر
الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو
ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف
بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان
يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح اكثر القراء و
قرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبناءين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا
تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى
الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب
لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه

ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول
بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده
بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه
ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار
من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار
بمعنى تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها ولا تسيء غذاءه وتعهده
ولا تفرط بما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من
يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد **فان قلت** كيف قيل بولدها وبولده **قلت** لما نهيت
المراة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان
تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما
بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود
له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان
يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي
لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا
رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثته من عصبته مثل الجد والاخ
وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه
وجبت عليه اجرة رضاعه ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على رضاعه وقيل على
الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا
جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز
وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي
اعلم بحال الصبي وقرئ فان ارادا استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها الصبي
لتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف
احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم
يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة
وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم
ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط
للجواز والصحة ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية

وانما هو ندب الى الاولى ويجوز

فيكون

فيكون اصلاحا لشان الصبي واحتياطا في امره فامرنا بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف
متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن
تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن
فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف
اي وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون
آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال
الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة
اشهر وعشرا وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط
يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا
ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض
للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما ينكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن
سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم فيما عرضتم به هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله
ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول
اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي
وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني
في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى
اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **فان قلت** اي فرق بين الكناية والتعريض **قلت** الكناية ان تذكر الشيء
بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر
الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه
يلوح منه ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم
ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنهن وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم **فان قلت** اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن **قلت** هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره
علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى
ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح

قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة
قط الا مواعدة معروفة غير منكرة اي لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون
استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان
نكحتك كان كذا وكذا يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل
لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيا
من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان تواعدها ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح
من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا
نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقدة عقد النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة
العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب
اجله يعني ما كتب وفرض من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه واعلموا ان الله غفور
حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان
تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان
طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا و
فرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف
مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف
ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثم والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون نصف مهر مثلها
اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا تنقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا تنقص من
نصفها على الموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال قدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به
وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها
مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة
الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن
في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات فان قلت
اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني
لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل ومحله نصب ويعفو عطف على محله والذي بيده

عقدة النكاح الولي يعني الا ان يعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة ما رآني ولا خدمته
ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج و
عفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب ابي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان
يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك
المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها
فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها
وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ولا تنسوا الفضل
الفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ويتمروا ولا يستقصوا وقرا الحسن او يعفو الذي بسكون الواو و
اسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرا ابن نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ
ولا تنسوا الفضل بكسر الواو حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او
ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في انفسهن من معروف والله
عزيز حكيم والصلاة الوسطى اي وسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات
لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى
صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب
وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرؤها فاملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلاة
الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين احديهما الصلاة الوسطى اما الظهر
واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم
ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم
يكن صلاة اشد على الصحابة منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وعن قبيصة بن ذؤيب
هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلاث وقرا عبد الله وعلى الصلاة الوسطى وقرات عائشة والصلاة
الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرا نافع الوصطى بالصاد وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين لله في قيامكم و
القنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر
وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء
من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام
او رجلا يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون

في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه
الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن او فاذا امنتم فاشكروا
الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن
تقديره فيمن قرا وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون
اهل وصية لازواجهم وفيمن قرا بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار
تسير او والزم الذين يتوفون وصية وتدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان
قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرا ابي متاع لازواجهم متاعا
وروي عنه فمتاع لازواجهم متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب
لك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج
اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم
حولا كاملا ان ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة
اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في
السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما
ليس بمنكر شرعا **فان قلت** كيف نسخت الآية المتقدمة المتاخرة **قلت** قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي
متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء **وللمطلقات متاع
بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم و
هم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا
يشكرون وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون** وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد
ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن
جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع
نفقة العدة الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من
لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان
طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا
باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم
ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة

واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع آلف كقاعد وقعود
فان قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا **قلت** معناه فاماتهم الله وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على
انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من
غير اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض
للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم
ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك
ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه
من الامر بالقتال في سبيل الله **وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم** فاعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله
المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون** اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض
الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم
كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة
واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم **الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا
ملكا نقاتل في سبيل الله** نبي لهم هو يوشع او شمعون او شمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب
عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التامير على الجيوش
التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا عليهم احدهم يؤمرونه نقاتل قرئ
بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما
تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا **قال هل عسيتم
ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا** وخبر عسيتم الا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني
هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل
على مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في
توقعه كقوله هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة **قالوا وما لنا الا
نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا** وما لنا الا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا
فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا
من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين **فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين** الا
قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود
عن القتال وترك الجهاد **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق**

احدهم ايرام

بالملك منه ولم يؤت سعة من المال طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته و
زعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان اشتقاقه
مدفوع بمنع صرفه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها رحمانا رحيما فهو من الطول
كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له **فان قلت**
ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت **قلت** الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا وقد
انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير
ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم
يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا
فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت **قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم
والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم** قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان العمدة فيه اختيار الله وقد اختاره
عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط
والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها
وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون
جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي انه كان الرجل
القائم يمد يده فينال رأسه والله يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه
للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك
**وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة
ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين** التابوت صندوق التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت
تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا
وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة والبقية رضاض الالواح
وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان
ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومن بعده من انبياء بني اسرائيل يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه
الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت
التابوت من ظهرها فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب
نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار **فان قلت** ما وزن التابوت
قلت لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز

آية ملكه ان احمر

ترك

ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع
اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل
هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرأ ابو السمال السكينة
بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء **فان قلت** من آل موسى وآل هرون **قلت** الانبياء من بني يعقوب
بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكانوا اولاده ومن عقب اخيهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون
والآل مقحم لتفخيم شأنهما **فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم
يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا** فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه
واصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز
ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا
يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب
النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم
نهرا فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني
فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملة اشياعي
ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتداء وما انشده اهل اللغة من
ترك الصديق ايان الحيان شرع عالميا اشد شربه واستعذب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا
كما يروى عن بعضهم بالوحي وقرئ بالسكون **فان قلت** مم استثنى قوله الا من اغترف **قلت** من قوله فمن شرب
منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه قوله فشربوا منه
اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابي والاعمش الا
قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى
فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق من المال الا مسحت او مجلف
كانه قيل لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا **فلما جاوزه هو و
الذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم
من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين** والذين آمنوا هم القليل قال الذين يظنون
يعني الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثواب الله او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله
والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة للكثير الذين انخزلوا والذين

اوله
وان شئت حرمت النساء سواكم

اوله
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع

يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عددهم في الاخبار الدينية عليهم
هولاء ما يبيدون به ومعنى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم
وغلبهم العطش ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل وثبت اقدامنا و
هب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من تقوية القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب فهزموهم
باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه
وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء
وقد مر في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها
جالوت فقتله ثم زوجه طالوت بنته وروى انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق الارض
المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنوا اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع
وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم
لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل
ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم ينصرهم لعم الكفر
ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك آيات الله يعني
القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت
من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك
لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم
من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس تلك الرسل اشارة
الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم
على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى
عليه السلم وقرئ كلم الله بالنصب وقرا اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع
بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر
انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى
الف آية او اكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على
وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه
العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف

واشتهر وتميز من الافعال فيكون افخم من التصريح به وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا
والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد
ابراهيم ومحمدا وغيرهما صلوات الله عليهم من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء
فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله
افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرنا
له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت فلم خص
موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه
التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام
الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما
كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات
الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم
البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ولو شاء الله
مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن
اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد
ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي
يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب
لاتصال الوعيد به من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا
فيه ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا
شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون
اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ
كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الله لا اله الا هو الحي القيوم لا
تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على
اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ والقيام و
القيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم اي لا تأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان
يكون قيوما ومنه حديث موسى انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا فاوحى الله اليهم ان

يوقظه ثلثا ولا يتركه ينام ثم قال الخذ بيدك قارورتين مملوءتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احداهما
على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء
من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات و
الارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء من علمه من معلوماته الا بما شاء الا بما علم و
سع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد
القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما
هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمه ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل
حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي
العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش
دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه
حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي الشان العظيم الملك والقدرة فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية
الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين
فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه
غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه
بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم
قدره فان قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الآية
في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك
وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر
كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه
آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن
آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس
سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام
القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على
توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر

تمامه
ولا ترى للئام الناس حسادا

الاذكار وبهذا تعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه
فان العرانين تلقاها محسدة لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان
على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد
من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام
والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل
للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده و
التيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني
سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال
والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل
بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الله ولي الذين
آمنوا اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على الكفر
امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى
يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك
والشبهة الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت
الم تر تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه
الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه
موضع ما وجب عليه من الشكر على ان آتاه الله الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت
اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك فان قلت كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان
آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده
واذ قال نصب بحاج او بدل من ان آتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفو عن القتل واقتل وكان
الاعتراض عتيدا ولكن ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا
يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة

قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر
والله لا يهدي القوم الظالمين وقرئ فبهت الذي كفر أي فغلب إبراهيم الكافر وقرأ أبو حيوة فبهت بوزن
قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الأصنام وسجنه نمرود ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي
تدعوا إليه فقال ربي الذي يحيي ويميت أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله
بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم أو كالذي معناه
أو أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة تعجب ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل
أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية وقيل الذي مر كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود
في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي وقيل هو عزير أو الخضر أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة
كما طلبه إبراهيم وقوله أنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريق الإحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت
المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الألوف وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد عامًا ه
متض ثم بناه على الظن وروي أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى
الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك و
شرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس روي أن طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا أو
لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه
من السنة على الوجهين لأن لامها هاء أو واو وذلك أن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من الحمأ
المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه
يعني هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر إلى طعامك وهذا شرابك لم يتسنه وقرأ أبي
لم يسنه بإدغام التاء في السين وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز أن
يراد وانظر إليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ
طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل أتى قومه
راكب حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب
فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع إلى منزله فرأى أولاده
شيوخا وهو شاب فإذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له
قال أعلم أن الله على كل شيء قدير وانظر إلى العظام وهي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من إحيائهم
كيف ننشزها كيف نحييها وقرأ الحسن كيف ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها
ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير
قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما

سِنِيِّه

ثم نكسوها

لما أشكل عليه معنى أمر إحياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الأمر وقرأ
عبد الله قيل اعلم فإن قلت فلم كان القائل الله كما قرأ كيف يسوغ أن يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن إذ ذاك
كافرا وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بصيرة في فإن قلت
كيف قال له أولم تؤمن وقد علم أنه أثبت الناس إيمانا قلت ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين و
بلى إيجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال
وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري
فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فإن قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره
ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا
ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم فخذ أربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة
فصرهن إليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن إليك قال ولكن أطراف الرماح تصورها
وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها
وتشديد الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع
أيضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي
بحضرتك وفي أرضك قيل كانت أربعة أجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين بإذن الله يأتينك
سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن فإن قلت ما معنى أمره بضمها إلى نفسه بعد
أن يأخذها قلت ليتأملها ويعرف أشكالها وهيآتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها
غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط
ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم
يصيح بها تعالين بإذن الله فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن كل جثة
إلى رأسها وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه أنه حذف الهمزة ثم شدد كما يشدد في الوقف إجراء
للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم كمثل
حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله تعالى ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى
الأرض وإلى الماء ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل
تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر فإن قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود
في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان
صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فإن قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع

سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله ثلثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف
لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد
عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه
واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا اصطنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرءا اسدى الي صنيعة
وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن ومنه المن اخو المن اي
هدم للآلاء والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق
وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله
ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول هنا لم يضمن ههنا
معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر
وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم قول معروف
رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسئول او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من
جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه
بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له
ثم بالغ في ذلك بما اتبعه يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء
الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كالذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة فمثله
كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم
الكافرين فمثله ومثل نفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب
صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه
صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان تكون الكاف
في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله
كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن
ينفق ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل
فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال
الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحميل
عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال
تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق

المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض
مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان
يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من
انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله
وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها
عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر
عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القطر يكفيها
لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل فكما ان كل واحد
من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع
زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلث واكلها بضمتين
ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر و
له ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون
الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء
كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك
حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم
فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا
نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب مثلا لعمل قال
لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا
مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم و
الله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل
الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت
محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت
تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه
الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت لو كان
كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر يا ايها الذين آمنوا
انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم
بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم

من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب و
المخرج من الارض قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا
المال الرديء منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تُيمموا
بضم التاء ولمه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده ولستم بآخذيه وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا ان
تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال
للبائع اغمض اي لا تستقص كأنك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض
وقرأ الزهري تُغمِضوا واغمض وغمّض بمعنى وعنه تغمَضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة
تُغمَضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه
في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه
الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم
اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفُقر بالضم والفَقَر بفتحتين
والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل و
منع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة
لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او وثوابا عليه في الآخرة يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم
العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كأنه قال فقد
اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي
في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار وما انفقتم
من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه
وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يوفون بالنذور
او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي و
ان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم سيئاتكم والله بما تعملون خبير ما في نعما نكرة
غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقرا
وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل
في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا
وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة
حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدي به كان اظهاره افضل

ويكفر

ويكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انه جملة من
فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل
لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه
ان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم
وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون ليس عليك هداهم لا
يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا
ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما
تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما
تنفقون وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه
مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون
على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسألها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت
وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود
ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله
لكان لك ثواب نفقتك والواجب فجوز ابو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم
لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء
او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي صدقاتكم للفقراء الذين
احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب
الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد
وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على
اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي
انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم
عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق
الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السآل الملحف ومعناه ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل
هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به الذين

اختلف في

ينفقون أموالهم بالليل سرّا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون بالليل والنهار سرّا وعلانية يعمّون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجّلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرّا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن أبي هريرة كان إذا مرّ بفرس سمين قرأ هذه الآية الذين يأكلون الربوا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا وأحلّ الله البيع وحرّم الربوا الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة بالواو وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان أي المصروع وتخبّط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضا من زعماتهم وأن الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جنّ الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات فإن قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبّلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربوا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربوا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض ذلك العقاب بسبب قولهم إنما البيع مثل الربوا فإن قلت هلا قيل إنما الربوا مثل البيع لأن الكلام في الربوا لا في البيع فوجب أن يقال إنهم شبّهوا الربوا بالبيع فاستحلّوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز فكذلك إذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حلّ الربوا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبّهوا به البيع وأحلّ الله البيع وحرّم الربوا إنكار لتسويتهم بينهما ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم وأمره إلى الله يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد إلى الربوا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بيّن على تخليد الفساق وذكّر فعل الموعظة لأن تأنيثها غير حقيقي ولأنها في معنى الوعظ وقرأ أبيّ والحسن فمن جاءته يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وإن كثر إلى قلّ ويربي الصدقات ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب

والنهار صح

ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كفار أثيم تغليظ في أمر الربوا وإيذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا إن كنتم مؤمنين وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا إن كنتم مؤمنين كاملي الإيمان فإن دليل كماله امتثال المأمور به روي أنها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحلّ بالمال والربوا وقرأ الحسن ما بقا بقلب الياء ألفا على لغة طيّ وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون فأذنوا بحرب فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به وقرئ فآذنوا فأعلموا بها غيركم وهو من الأذن وهو الاستماع لأنه من طرق العلم وقرأ الحسن فأيقنوا وهو دليل لقراءة العامة فإن قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم من الارتباء فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فإن قلت هذا حكمهم إن تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان ذو عسرة وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة أو ذو إعسار وقرأ عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وإن كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم أو فالأمر نظرة أي إنظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره أي منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الأمر بمعنى فسامحه بالنظرة وياسره بها إلى ميسرة وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا وقوله تعالى وإقام الصلوة وأن تصدقوا خير لكم ندب إلى أن يتصدقوا برؤس أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل أريد بالتصدق الإنظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقرئ ترجعون على البناء للفاعل والمفعول ويرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله يردون وقرأ أبيّ تصيرون وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحدا وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله

فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا
يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة
داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت
هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير
اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى
مؤجل وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر
والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق
وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح
السلف وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة
له اي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب
فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها
دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق
لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن
الشعبي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت ان
علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها
للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي
عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملال والاملاء
لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة
شيا بالتشديد فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل
سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء
بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان
يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا
شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من
رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد
في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض
على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة

النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل
احداهما ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي
ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه
وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار
ارادة للاذكار فكأنه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط
فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرأ
حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل
احداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا
كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف
منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا
ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا كنى بالسأم
عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان
يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان
الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته
الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل
من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى الا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بني
افعلا التفضيل اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط
من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما الا ان تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب
ولا شهيد فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى
ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا
ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع
على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة
حاضرة كبيت الكتاب بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا
اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز
ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن
الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء

للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر
بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة و
النقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة
مجيئه من بلد وقرا الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل
شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد
الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما
تعملون عليم وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه على سفر
مسافرين وقرا ابن عباس وابي فان لم تجدوا كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا
ابو العالية كتبا وقرا الحسن كتابا جمع كاتب فرهان فالذي يستوثق به رهان وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها و
هو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد
رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة
ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان
يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر
اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض
فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرا ابي فان اومن اي آمنه الناس
ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد حث للمديون على ان يكون عند
ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو
مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فتقول الذي ايتمن او
الذيتمن وعن عاصم انه قرا الذي اتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح
لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم
على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت
هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة
هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها
ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب
رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم
في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم
ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح

وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا
جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر
الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه
نفسه وقرا ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه
او اضمره ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان
ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله
بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد
فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب
فان قلت كيف يقرا الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا و
راويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه
الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرا الاعمش
يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او
بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا راسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء
لحاجة القبيلين الى البيان آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه و
رسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير والمؤمنون ان عطف
على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد
منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرا ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب
اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في
وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا
نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرا عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم
من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك
اي لا نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت و
عليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج

فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته
كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من
حجة وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما
اكتسبت من شر لا يواخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب
قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل و
اجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال ربنا لا تواخذنا
بالنسيان او الخطأ ان فرطنا فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المواخذة بهما
قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه
الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فيكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه
النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ فكان
وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يواخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يواخذ به
فما فيهم سبب مواخذة الا الخطأ والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من
فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس و
قطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد
فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل
حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء
عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل
المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن
عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من
امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل
كلمة قد فعلت وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلى الله عليه وسلم
اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما
الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل فان قلت
هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة قلت لا باس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله
عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخاتمة سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خاتمة سورة البقرة من كنز

تحت العرش وعن عبدالله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة
البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان
المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التي يذكر فيها البقرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن
تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية
بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف
على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين
اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها
لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا
والقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا
زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم
وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين
ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا
جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا
واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها
هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد رحمه الله بالكسر
قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه
وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان التوراة والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما
من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة
لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل
نجوما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس لقوم موسى وعيسى
ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان
كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل
من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما
هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله ان الذين كفروا
بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر
على مثله منتقم ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء

لا إله إلا هو العزيز الحكيم لا يخفى عليه شيء في العالم لم يعبر عنه بالسماء والأرض فهو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن
وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم أي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك
أثلت مالا إذا جعلته أثلة أي أصلا وتأثلته إذا أثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان ربا
كأنه نبه بكونه مصورا في الرحم على أنه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله هو الذي أنزل عليك الكتاب منه
آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات محكمات أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه
متشابهات مشتبهات محتملات هن أم الكتاب أي أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها ومثال ذلك لا تدركه الأبصار
إلى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء أمرنا مترفيها فإن قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس
به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق
الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما
في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات
عند الله ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمه طلب
ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة
إلى معتقده وقوة في إيقانه فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله
وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب
الذين في قلوبهم زيغ هم أهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا
يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق ابتغاء الفتنة طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله
وطلب أن يؤولوه التأويل الذي يشتهونه وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي
يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على
قوله إلا الله ويبتدئ بقوله والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه
من آياته كعدد الزبانية ونحوه والأول هو الوجه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون
بالتأويل يقولون آمنا به أي بالمتشابه كل من عند ربنا أي كل واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابهه
ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر إلا أولو الألباب مدح للراسخين بإلقاء
الذهن وحسن التأمل ويجوز أن يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله إن تأويله إلا عند الله وقرأ أبي ويقول الراسخون
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا
تزيغ فيها قلوبنا بعد إذ هديتنا وأرشدتنا لدينك أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك
نعمة بالتوفيق والمعونة وقيل لا تزغ قلوبنا بأنا أملنا ويقلب القلوب ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن
الله لا يخلف الميعاد جامع الناس ليوم أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس

على

على الأصل إن الله لا يخلف الميعاد ومعناه أن الإلهية تنافي خلف الميعاد كقولك إن الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد
إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار وقرأ علي بضم الواو عند لن
تغني سكونا لليا وهذا من الجد في استثقال الحركة على حرف اللين ومن في قوله من الله مثله في قوله إن الظن لا يغني من الحق شيئا
والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله شيئا أي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد
أي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك أي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا
أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود بالضم بمعنى أهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم
والله شديد العقاب الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله
والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغني
أو بالوقود أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم تقول إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد
كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم وإن فلانا لمحارف كدأب أبيه تريد كما حورف أبوه كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم ما فعلوا
وفعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد
قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا
ببدر قالوا هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى
فلما كان يوم أحد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود
احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا
لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله
قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون فإن قلت أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت
معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم فهو إخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون فهو
الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه
كأنه قال أد إليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل
في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي
الأبصار قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي
عدد المشركين قريبا من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم
ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما أمدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء أي ترون
يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم فإن قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ويقللكم
في أعينهم قلت قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير

فيما بين مخلفين ونظيره من الحمل على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله
وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين
مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما
كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة
لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرا ابن مصرف
يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل
من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس معها
كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره من يشاء كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو **زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك
متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب** المزين هو الله سبحانه للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا
لا نعلم احدا اذم لها من خالقها جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على
الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد
على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا
شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها
على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام
يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة
والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية
ذلك المذكور متاع الحيوة الدنيا **قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد** للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف
فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز
ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به وترتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر
على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات
الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز
الجر صفة للمتقين او للعباد **الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار** والواو
المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وعدمه الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون
قيام الليل فيحسن طلب الحاجة فيه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول

الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم **شهد الله انه لا اله الا هو و
الملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام** شبه دلالته
على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص و
آية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه
قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض
والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا **فان قلت** لم جاز افراده بنصب
الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز **قلت** انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز
في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه
بالذكورة او على المدح **فان قلت** اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث
انا بني نهشل لا ندعي لاب **قلت** قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي
ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي **فان قلت** هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط
الا هو **قلت** لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف **فان قلت** قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل
يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو **قلت** نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة
التي هي زيادة في فائدتها عاملا فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه
عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح **فان قلت** هل دخل قائما بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما
دخل في الوحدانية **قلت** نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة
واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على البدل من هو او خبر مبتدأ محذوف
وقرا ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز
الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله **فان قلت** ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم
حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله **قلت** هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج
الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على
انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى **فان قلت** ما فائدة
هذا التوكيد **قلت** فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله
الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه
ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي
هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله
الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني

بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد وهو
القراآت كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله ان لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله الاسلام وهي معززة
لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله
فان قلت ما المعطوف على هذه القراءة والملائكة واولوا العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل
بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك
الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعدما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال
لا اله الا هو الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل وما
اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله
سريع الحساب الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد
والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا
احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل الكتاب وهذا تحقيق له بغيا بينهم اي ما كان ذلك الا
اختلافا وتظاهرا هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع
كل فريق ناسا يطأون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمن
بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود
واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف
يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ
الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك
فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا
وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي اي
اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد
الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه و
من معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن
للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه والذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى و
الاميين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله
لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طرق البيان والكشف
طريقا الا سلكته هل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وجل فهل انتم منتهون بعدما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر

وفي

وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق
وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة
وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا
انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك
الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون
الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم وقرأ الحسن ويقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون
الذين يامرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ ابي يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم
الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا
عصمة الله وعن ابي عبيدة ابن الجراح رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال
رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين
نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من
ناصرين في الدنيا والآخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فان قلت لم دخلت الفاء في
ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء
فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون اوتوا نصيبا من
الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس
الكتب المنزلة او من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التوراة ليحكم بينهم وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فقال لهم نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على ملة
ابرهيم فقالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا الينا فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد
اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم
استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم
وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من
لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى
فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا
يفترون ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام

قال فدعاهم

فلا يرى كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم كما غرت
أولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كبائرهم فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل
نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فكيف إذا جمعناهم فكيف يصنعون أو فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما أعد لهم
وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والخلاص منه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل
وتطمع بما لا يكون وروي أن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس
الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار وهم لا يظلمون يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة أنفس
تريد ثلاثة أناسي قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء و
تذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض
خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا
الله وبغير ذلك مالك الملك أي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من
تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع ممن تشاء النصيب الذي أعطيته منه فالملك الأول
عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد
أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع
من ذلك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا
وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا
في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية
فقال أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل
أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب
قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت
فإن قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين
وهو الذي أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع و
ضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه تولج الليل في النهار وتولج النهار في
الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال
الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة
على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على
أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب المنزلة أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك

الملك

ونواصيهم

ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا
بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم
الله نفسه وإلى الله المصير نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي
يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فإنه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد
قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان من دون المؤمنين يعني
أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن
يوالي الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فإن
موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال: تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب إلا
أن تتقوا منهم تقاة إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقى تقاة وتقية كقولهم ضرب الأمير
لمضروبه رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة
والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم
الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا
فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته قل إن تخفوا ما في صدوركم أو
تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير إن تخفوا ما في صدوركم من
تبدوه من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض
لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله
ويحذركم الله نفسه لأن نفسه وهي ذاته المميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم
فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان
حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب
ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من
يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم أن العالم
الذات الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف
بالعباد يوم منصوب بتود والضمير في بينه لليوم أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى
لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا ويجوز أن ينتصب يوم بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده و
يرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها

وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودّت قلت
لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة
قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادّة تباعد ما
بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤنه ونحوه فينبئهم
بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه
ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حاله من العلم والقدرة
من الرافة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه
وعن الحسن من رافته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته
كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
والله غفور رحيم محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها و
محبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما
تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم
يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله
يكذبه واذا رايت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما
الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة
مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رايت المني
قد ملا ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملؤا اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله و
قرئ تحبون ويحببكم من حبه يحبه قال احب ابا ثروان من حب تمره واعلم ان الرفق بالجار ارفق
ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا
يحب الكافرين فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول
لهم ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم
آل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن
ماثان وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة وذرية بدل من آل ابرهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني ان الآلين
ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث
وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى ابن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن
داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابرهيم رسول الله عليه السلم وقيل بعضها من بعض في
الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان

بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول امراة عمران ونيتها اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في
بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وامراة عمران هي امراة عمران بن
ماثان ام مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امراة عمران على اثر
قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الاخر يرجحه ان موسى يقرن بابرهيم
كثيرا في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول
فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة
زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته
ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت
بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان
اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة
بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي
انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وبين ان لا يفعل وعن الشعبي مخلصا
للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها قالت
رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم الضمير في وضعتها لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على
تاويل الحبلة او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت
الانثى انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما انث الاسم
في من كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تاويل الحبلة او النسمة فهو ظاهر كانه
قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول قلت
قالته تحسرا على ما رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا
ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما
لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم
الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس
والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره
وقرئ وضعتُ بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى
وليس الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه
وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فان قلت علام عطف قوله واني سميتها مريم

قلت هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت
لم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها
حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان
واغوائه وما روي من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه
الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته وان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا
معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا
من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول
ابن الرومي: لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد * واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم
اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس نخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها
ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها
رزقا فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل
به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى
في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدتها لفتها في
خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت
لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني
اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا
سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون
مصدرا على تقدير مضاف اي فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز
ان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقصى وتعجل بمعنى استقصى واستعجل وهو كثير في كلامهم من استقبل
الامر اذا اخذه باوله ومنه قال القطامي: وخير الامر ما استقبلت منه * وليس بان تتبعه اتباعا * ومنه
المستأنف للامر بمعنى اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية
الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها زكريا بمد زكريا وكفلها زكريا بالتشديد والقصر
ونصب زكريا والفاعل هو الله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي
واكفلها من قوله فقال اكفلنيها وقرا مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب
ربها تدعو بذلك اي فاقبلها يا ربها وربها وانبتها واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد
اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة

ابواب

ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من
يشاء بغير حساب اي كيف او من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب
مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد وقيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو
في المهد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة
لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت
من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال
عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة
على جيرانها ان الله يرزق من يشاء من جملة كلام مريم عليها السلام او هو من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير
لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك
الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له
من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك
وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع
سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله
وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين وقرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل وانما قيل الملائكة على ارادة الجنس
كقولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على ان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرئ
يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء من بشره ويحيى اسم ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف
والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي
به قيل لانه اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر
وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والسيد
الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة قط
ويا لها من سيادة والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل
مع القوم في الميسر قال الاخطل: وشارب مربح بالكاس نادمني * لا بالحصور ولا فيها بسوار * فاستعير لمن لا يدخل
في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا
وانه في الآخرة لمن الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك

يفعل ما يشاء اني يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون كذلك اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك الا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او رأس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة عيسى اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء

من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها اذ يختصمون في شأنها تنافسا في التكفل بها فان قلت ايهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ويعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم وما بعده يأبى حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت على ارادة القول تقديره ويعلمه

ونبيا

الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي حالا ثانيا في أن الرسول والمصدق فيهما معنى
النطق فكأنه قيل وناطقا بأني قد جئتكم وناطقا بأني أصدق ما بين يدي حق التوراة ورسولا عطفا على كلمة
أني قد جئتكم أصله أرسلت بأني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل وأني أخلق نصب بدل من أني قد جئتكم أو
بدل من آية أو رفع على هي أني أخلق لكم وقرئ إني بالكسر على الاستئناف أي أقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فأنفخ فيه
الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير حيا طيارا وقرأ عبد الله فأنفخها
قال كالهبر في تحتي نفخ فيهما وقيل لم يخلق غير الخفاش الأكمه الذي ولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم
يكن في هذه الأمة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفا
من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده بإذن الله دفعا لما
من توهم فيه الألوهية وروي أنه أحيى سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت
كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تدخرون بالذال والتخفيف ولأحل رد على قوله بآية من ربكم أي جئتكم بآية من
ربكم ولأحل لكم ويجوز أن يكون مصدقا مردودا عليه أيضا أي جئتكم بآية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في
شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الإبل والسمك وكل ذي ظفر فأحل لهم عيسى بعضه وكذا أحل الحمر من السمك
والطير ما لا صيصية له واختلفوا في إحلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي
من التوراة أو الله تعالى أو موسى صلوات الله عليه لأن ذكر التوراة دل عليه ولأنه كان معلوما عندهم وقرئ
حرم بوزن كرم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قولي إن الله ربي وربكم لأن جميع الرسل
كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بآيات على البدل من آية وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض **فإن قلت**
كيف جعل هذا القول آية من ربه **قلت** لأن الله تعالى جعله له علامة يعرف بها أنه رسول الله كسائر الرسل
هداه للنظر في أدلة العقل والاستدلال ويجوز أن يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد
أخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والإبراء والإحياء والإنباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير أب ومن كلامي
في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعون فيما
أدعوكم إليه ثم ابتدأ فقال إن الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لإيلاف
قريش فليعبدوا ويجوز أن يكون المعنى وجئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض **فلما أحس عيسى**
منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون
فلما أحس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس وإلى الله من صلة أنصاري مضمنا معنى الإضافة
كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرني أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء أي من أنصاري
ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه نحن أنصار الله أي أنصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه
قيل للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال: فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا يبكنا إلا الكلاب النوابح

وفي

وفي دينه الحواري وهو الكثير الحلة وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدا لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم القيامة
لقومهم وعليهم **ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله و**
الله خير الماكرين مع الشاهدين مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل
مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر ومكرهم
أنهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله أن رفع عيسى وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين
أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب **إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك**
إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم
فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة
وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين إذ قال
الله ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله إني متوفيك أي مستوفي أجلك ومعناه إني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك
إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم ورافعك إلى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا
من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالي على فلان إذا استوفيته وقيل مميتك في
وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وأنت نائم حتى
لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة يعلونهم بالحجة وفي أكثر
الأحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه
وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فأحكم بينكم تفسير الحكم قوله فأعذبهم فأوفيهم أجورهم وقرئ فيوفيهم بالياء
ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
الحق من ربك فلا تكن من الممترين ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه ومن الآيات
خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز أن ينتصب
ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو سببه أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه إن
مثل عيسى عند الله إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى
بآدم **فإن قلت** كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم بغير أب وأم **قلت** هو مثله في أحد الطرفين فلا
يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ولأنه شبه به في أنه
وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة
من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما
استغربه وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لأنه لا أب له قال فآدم أولى
لأنه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا

كان يربي الاكله والاحتياج قال الحريفين اولى لانه طبخ واحرق ثم قال ثم سالها الخلقة من قلب تدع حسدا من طين ثم قال
له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي
هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وحث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ممترين
باب اليقين لزيادة الثبات والطمأنينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم
فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة
الله على الكاذبين فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم
تعالوا هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا
ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة
بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها
واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انهم لما دعاهم الى المباهلة قالوا
حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قال العاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى
ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت
صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى
بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي
خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان
يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا
يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين
وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا
تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا
عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما
حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا جميعا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
عليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص
به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه
حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته
بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستئصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء

لانهم

لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع
انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على
الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى
منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو
احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو
العزيز الحكيم ان هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان
اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق
خبره والجملة خبر ان فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل
اجوز لانه اقرب الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على
الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان تولوا فان الله عليم
بالمفسدين فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به
شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب
قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن
والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون
الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا
فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال
اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا
في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرا الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء
فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم
كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون
من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره يا اهل الكتاب لم
تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون زعم كل فريق من اليهود
والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية
انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى
الفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا

بل هذا الجدال ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم
لا تعلمون ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى يعني
هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والإنجيل فلم
تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين ابرهيم وعن الأخفش ها أنتم هو أأنتم على الاستفهام
فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما
حاججتم فيه وأنتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان
من المشركين ثم أعلمهم بأنه بريء من دينكم وما كان إلا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم أو أراد
بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيرا والمسيح إن أولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا
النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين إن أخص الناس بابرهيم أن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب
للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من أمته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا
على الهاء في اتبعوه أي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم ودت طائفة من أهل الكتاب لو
يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ودت طائفة هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
إلى اليهودية وما يضلون إلا أنفسهم وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم
وإضلالهم أو وما يقدرون على إضلال المسلمين وإنما يضلون أمثالهم من أشياعهم يا أهل الكتاب لم
تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون بآيات الله بالتوراة والإنجيل وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت
به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتكم اعترافكم بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن
ودلائل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم
تعلمون أنها حق يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وأنتم تعلمون وقرئ تلبّسون بالتشديد وقرئ
تلبَسون بفتح الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كقوله [illegible] إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا
وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم
يرجعون وجه النهار أوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار والمعنى أظهروا الإيمان
بما أنزل على المسلمين في أول النهار واكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم
إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين
محمد أول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا
محمدا ليس بذلك المنعوت فظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم وقيل هذا في شأن القبلة
لما صرفت إلى الكعبة قال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها
أول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا إلى الصخرة لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا

وكلمة القوم

إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل
إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ولا تؤمنوا متعلق بقوله أن يؤتى أحد وما بينهما اعتراض
أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين
قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون
المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام أو يحاجوكم عند ربكم عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى
الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فإن قلت
فما معنى الاعتراض قلت معناه أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الإسلام
كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل إن الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا
الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن
رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولأن إسلامهم كان أغيظ لهم وقوله أن يؤتى أحد مثل ما
لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني أن ما بكم من الحسد والبغي أن يؤتى
أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى بزيادة
همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى أحد فإن قلت فما معنى قوله أو يحاجوكم على هذا قلت
معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم
ويجوز أن يكون هدى الله بدلا من الهدى وأن يؤتى أحد خبر إن على معنى قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل
ما أوتيتم أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ إن يؤتى أحد
على إن النافية وهو متصل بكلام أهل الكتاب أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما
أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز أن ينتصب أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه
قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم
لأن قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا يختص برحمته من يشاء والله
ذو الفضل العظيم ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا
يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون عن ابن عباس من إن تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش
ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه إليه ومنهم من إن تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش
دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم والخائنون في القليل اليهود
لغلبة الخيانة عليهم إلا ما دمت عليه قائما إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا

عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها
بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك اشارة الى
ترك الاداء الذي دل عليه لم يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق
علينا عتاب وذم في شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار
بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود
رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في
كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو
تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في
الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة فقال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس
قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة
انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون **بلى من اوفى**
بعهده واتقى فان الله يحب المتقين بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل
فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى
من اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه **فان قلت**
فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله **قلت** اجل لانهم
اذا وفوا بالعهود وفوا اول كل شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول
مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان
يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره
من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء **فان قلت** فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من
قلت عموم المتقين قام مقام الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام ومخيريق والراهب ونظرائهما
من مسلمة اهل الكتاب **ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في**
الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم وبايمانهم وبما حلفوا
به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت
في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال
لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا

لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس
هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في
بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال
من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعته في السوق
فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده
الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه
اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم **فان قلت** اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه **قلت**
اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة
عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع
كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر **وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من**
الكتاب ويقولون هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة
يلوون بالتشديد كقوله لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهم قلبوا الواو المضمومة همزة ثم خففوها
بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **فان قلت** الام يرجع الضمير في لتحسبوه **قلت** الى ما دل عليه يلوون
السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب
وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب
وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التوراة
هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جراتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس
هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم **ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب**
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب
وبما كنتم تدرسون ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى
نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان
نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم
بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف
والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين

مات ابن عباس اليوم مات ربّاني هذه الامة وعن الحسن ربانيين فقهاء علماء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون
الشارع الرباني العالم العامل المعلّم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجب ان تكون
الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه
وكدّ روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا
تنفع بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من علم وتدرسون من درس وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون
على ان ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل ونزل وتدرّسون من التدريس ويجوز ان يكون معناه ومعنى
تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس وفيه
ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه
الا للمتمسكين بطاعته ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم
مسلمون قرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله
ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاصه بالعبادة وترك الانداد ثم
يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا
يستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة
واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله
ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وينصرها
قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم وايأمركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايأمركم للانكار وبعد اذ انتم مسلمون
دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم
على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها
ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق عليه كما
تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق
اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم
كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة ابي وابن مسعود
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي
لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا
وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل
ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معا

اعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه
لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة
فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي
جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول
مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لمّا بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له
وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما
بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لمّا ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى
اصري عهدي وقرئ أُصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشدّ ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز
ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا
على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة
بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون
من الكفار أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون
دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون المتمردون فغير دين الله يبغون
ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي
هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي
ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام وكل واحد
من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك
ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون
جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة
ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا
آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما
أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم
لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه
بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا
من الله لقدر نبيه فان قلت لم عدي أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت
لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال
انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء

بما اتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي
انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها ومن يبتغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام
الوجه لله دينا فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن
يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم
البينات والله لا يهدي القوم الظالمين كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله
من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءهم الشواهد
من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا
مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن
الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت فان قلت علام
عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى
فاصدق واكن وقول الشاعر مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها ويجوز ان يكون الواو للحال
باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم
ان اللطف لا ينفعهم اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم
الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحارث بن
سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة
فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل
توبتهم واولئك هم الضالون ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة
ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه
ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين
وصدهم عن الايمان وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا
نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيفما ازداد
كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل
توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون
في جملة من لا تقبل توبتهم فان قلت فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل قلت قد اوذن
بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام

مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك
فله درهم فان قلت فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم
وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد
للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على الكفر بامتناع
قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة
حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل الياس من الرحمة
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك
لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين ذهبا نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون
نفسا رجال فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية
ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله
ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يزاد في نحو قولهم مثلك
لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن يقبل من احدهم ملء الارض
ذهبا على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء مل الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل
لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله
انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة
فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ
ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه
وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن
زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله
تعالى قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما
جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي انه نزل به ضيف فقال
للراعي ايتني بخيرها فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال
ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في
مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في من شيء للتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيبا تحبونه او خبيث

فان الله بكل شي عليم بكل شي تنفقونه فيجازيكم بحسبه كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشي حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل اشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل ذلك باذن الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شي قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه واستعظموا ما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابرهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ولمن تبعه ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة من قرا وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الله السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته الاكه فخله حتى يبك بكه وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين مقام ابرهيم عطف بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلام من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله

كان آمنا جملة مستأنفة إما ابتدائية وإما شرطية قلت أجزأت ذكرهما من حيث المعنى لأن قوله ومن دخله كان آمنا
دل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن داخله ألا ترى أنك لو قلت فيه آية بينة من
دخله كان آمنا صح لأنه في معنى قولك فيه آية بينة أمن من دخله فإن قلت كيف كان سبب هذا الأثر قلت فيه
قولان أحدهما أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه
وقيل إنه جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسمعيل انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته
على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي
أثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك
بدعوة إبراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب وعن
عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند أبي حنيفة رضي الله عنه من
لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنا فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى
ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل آمنا من النار وعنه صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم
القيامة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال
يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب
يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة
ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع بدل من الناس وروي أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه أكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر
القوة ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا
يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك إذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع
فقيل له في ذلك فقال إن كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق إليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج
والضمير في إليه للبيت أو للحج وكل ما أتى إلى الشيء فهو سبيل إليه وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد منها
قوله ولله على الناس حج البيت يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج عن عهدته ومنها
أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد أحدهما أن الإبدال تثنية للمراد و
تكرير له والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن
كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت إن شاء
يهوديا أو نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل

على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وإن لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان
لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط
الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فإنهم قالوا الحج إلى مكة غير واجب وروي أنه لما نزلت
قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال إن الله كتب
عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نحجه
فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فإنه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة
وروي حجوا قبل أن لا تحجوا حجوا قبل أن يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل أن تنبت في
البادية شجرة لا تأكل منها دابة إلا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا
وقرئ حج البيت بالكسر قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون والله شهيد
الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال أن الله شهيد على أعمالكم فمجازيكم عليها
وهذه الحال توجب أن لا تجترئوا على الكفر بآياته قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها
عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون قرأ الحسن تصدون من أصده عن سبيل الله عن دين حق علم
أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الإسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد
الدخول فيه بجهدهم وقيل أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب
ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فإن قلت كيف تبغونها
عوجا وهو محال قلت فيه معنيان أحدهما أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أن فيها عوجا بقولكم إن شريعة
موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني أنكم تتعبون أنفسكم
في إخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم وأنتم شهداء أنها سبيل الله التي
لا يصد عنها إلا ضال مضل أو وأنتم شهداء بين أهل دينكم عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم
أمورهم وهم الأحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا
من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله
وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر
شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه
ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار
فأمر شابا من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الأشعار وكان يوما اقتتلت
فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح
السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال أتدعون الجاهلية

وانا بين اظهركم مبداذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والّف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما
كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجيب والمعنى
من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين
اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على
الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد
افلحت كأن الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لأن المعتصم بالله متوقع للهدى
كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون**
حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا
في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى
وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله
عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن معناه ولا تكونوا على حال سوى
حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني الا وانت على حصان فلا تنهاه
عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا
تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته
لعلكم تهتدون** واعتصموا بحبل الله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي
من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا
لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او اجتمعوا على التمسك
بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه
ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا
ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية
متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة
التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن
والعداوة والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا
اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل
هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهم العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان

اطفاله

اطفأ الله ذلك بالاسلام والّف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على
ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته
الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير و
التأنيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة
فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار **قلت** لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم
التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين
الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون** ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر
فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر
وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه
عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه
صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن
علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة
يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان
الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان
واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح
فان قلت ما طريق الوجوب **قلت** قد اختلف فيه الشيخان فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم العقل لا
السمع وحده **فان قلت** ما شرائط النهي **قلت** ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر
الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا
يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث **فان قلت** فما شروط الوجوب
قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه
انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة **فان قلت** كيف يباشر الانكار **قلت** يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب
لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا **فان قلت** فمن يباشره **قلت** كل مسلم تمكن منه
واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تارك الصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما

اوله
وتشرفها بالقرب الذي تداوعته

والإنكار باليد والقتال فللإمام وخلفائه أولى لأنهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها فإن قلت فمن يؤمر وينهى قلت
كل مكلف وغير المكلف إذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما
يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها فإن قلت هل يجب على مرتكب المنكر أن ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لأن
ترك ارتكابه وإنكاره واجبان عليه فبتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وإن
لم تفعلوا وعن الحسن أنه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا أقول ما لا أفعل فقال وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان
لو ظفر بهذه منكم فلم يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر فإن قلت كيف قيل يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف
قلت الدعاء إلى الخير عام في التكاليف من الأفعال والتروك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام
ثم عطف عليه الخاص إيذاناً بفضله كقوله والصلاة الوسطى **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد
ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعة هذه الأمة وهم المشبهة
والمجبرة والحشوية وأشباههم **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم
بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم أو
بإضمار اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من
الظلمة فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور
بين يديه وبيمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته وأظلمت
وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل وأهله أكفرتم فيقال لهم أكفرتم
والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتاب وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم برسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والأنصار وتسود وجوه بني قريظة
والنضير وقيل هم المرتدون وقيل أهل البدع والأهواء وعن أبي أمامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على
درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى تحت أديم السماء الذين
قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الإسلام فكفروا
ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال إن بأرضك منهم كثيراً فأعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لإعراضهم عما
أوجبه الإقرار حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى **وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله
هم فيها خالدون** ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد فإن قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله
ففي رحمة الله قلت موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا
يموتون **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين ولله ما في السموات وما في الأرض**

وإلى الله ترجع الأمور تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء
المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلماً فيأخذ أحداً بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب
محسن ونكر ظلماً وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح
والرضا بها **كنتم خير أمة أخرجت للناس** كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام وليس
فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفوراً رحيماً ومنه قوله تعالى
كنتم خير أمة وقيل كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به أخرجت
أظهرت **تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم
المؤمنون وأكثرهم الفاسقون** وقوله تأمرون كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس
ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إيماناً بالله لأن من آمن ببعض ما يجب
الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه فكأنه غير مؤمن بالله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً والدليل
عليه قوله ولو آمن أهل الكتاب مع إيمانهم بالله لكان خيراً لهم لكان الإيمان خيراً لهم مما هم عليه لأنهم إنما آثروا
دينهم على دين الإسلام حباً للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا
ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر **لن يضروكم إلا أذى وإن
يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون** لن يضروكم إلا أذى إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول
من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر ثم لا ينصرون
ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم و
تضليلهم وتهديدهم بأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبالى به مع أنه وعدهم الغلبة
عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل فإن قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون
قلت عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت
فأي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيداً بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع
كان نفي النصر وعداً مطلقاً كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون
منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال بني قريظة و
النضير وبني قينقاع ويهود خيبر فإن قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كأنه
قيل أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في الرتبة
لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار فإن قلت فما موقع الجملتين أعني

المؤمنون ولن يضروكم قلت هو كلام وارد على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب كما يقول القائل وعلى
ذكر فلان فإن من شأنه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله و
حبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله و
يقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير إلا
معتصمين أو متمسكين أو ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الأحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة
الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عز لهم قط إلا هذه الواحدة
وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية وباءوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت
على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك إشارة إلى ما ذكر
من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم أن الكفر
وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وأن سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم
أغرقوا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الضمير في ليسوا لأهل الكتاب أي ليس أهل الكتاب مستوين وقوله من أهل الكتاب
أمة قائمة كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة أمة قائمة
مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم ويتلون يتهجدون بتلاوة القرآن في ساعات
الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم وقيل عنى صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا
يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا
الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية
يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك
من الصالحين يؤمنون بالله ويتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لأمة أي أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص
ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيرا
وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة
في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي وأولئك الموصوفون
بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد
بالصالحين المسلمين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين فلن يكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا
بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيضه فإن قلت لم عدي إلى مفعولين وشكر
وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن

تحرموا جزاءه وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على
أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا و
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت
حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون الصر الريح الباردة نحو
الصرصر قال لا تعدلن أتاويين تضربهم نكباء صر بأصحاب المحلات كما قالت ليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحمير
ولم يغلب الخصم الألد ويملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر فإن قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت
فيه أوجه أحدها أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد
على المبالغة والثاني أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ومن قولك إن ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كاف
شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله
بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله وشبه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك
عقوبة لهم على معاصيهم لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ فإن قلت فلم قال ظلموا أنفسهم ولم يقتصر بقوله أصابت
الحرث إذا أصابت حرث قوم قلت لأن الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية لا منفعة لهم فيه لا في
الدنيا ولا في الآخرة فأما حرث المؤمن فلا يذهب على الكلية لأنه وإن كان يذهب صورة إلا أنه لا يذهب معنى
لما فيه من حصول الأعواض لهم في الآخرة والثواب بالصبر على ذهابه فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا
في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا
بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل
إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما
ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا
بها مستحقة للقبول أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا
أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن أنفسهم يظلمونها ولا يجوز
أن يراد ولكنه أنفسهم يظلمون على إسقاط ضمير الشأن لأنه إنما يجوز في الشعر يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم
أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه
بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار شعار
والناس دثار من دونكم من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز أن يتعلق بلا تتخذوا وبطانة على الوصف

بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا يقال ألا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين
في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد ودوا
ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصلها انهياض العظم بعد جبره اي
تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم
انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم
من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الآيات
الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم
فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه
قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدأ واحسن منه وابلغ ان تكون مستأنفات
كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا
لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات
الصدور ها للتنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبره اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم
ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته
والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك
يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في
حقكم ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل و
البنان والابهام قال الحارث بن ظالم المري واقتل اقواما لئاما اذلة يعضون من غيظ رؤوس الاباهم قل
موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الا
سلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور
المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج
منها فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من
عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان
شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون
فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون
قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار
بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كأنه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم
وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط

الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط
معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة
بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة
تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا
واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف
الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره
يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم
بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء
اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك فان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما
محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذ غدوت
من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه
الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار
يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا
اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم و
رماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء
الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها
خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة
فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم
احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئسما صنعنا
نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي
ان يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت
للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا
قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال
لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ لهم
مقاعد للقتال مواطن ومواقف ومقامات في مقعد ومقام حتى اجروا مجرى الاماكن واستعمل المقعد والمقام في معنى
المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع

لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون
إذ همت بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو
حارثة من الأوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون
في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا
وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا
لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
رضي الله عنه أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس
كما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه
كما قال عمرو بن الإطنابة أقول لها إذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي حتى قال معاوية عليكم
بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني إلا قول عمرو بن الإطنابة ولو كانت عزيمة
لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما تفشلان
ولا تتوكلان على الله فإن قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا
به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله
فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها
والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أمرهم بأن لا يتوكلوا
إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في
حال قلة وذلة ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون وأذلة
جمع قليل والذلة جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف
الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان
معهم إلا فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل
ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله
في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى
تشكرونها فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة
آلاف من الملائكة منزلين إذ تقول ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان من إذ غدوت على أن
يقوله لهم يوم أحد فإن قلت كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط
الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم
تنزل فيه الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا

على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى ألن يكفيكم إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة وإنما جيء بلن
الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر بلى إن
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين بلى إيجاب
لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال إن تصبروا وتتقوا يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسومين
للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى وجاء فلان
ورجع من فوره ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله الأمر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت
فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول خرج من ساعته
لم يلبث والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يريد
أن الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي يعني منزلين النصر
ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة
على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب
خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت وما جعله الله
إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين
كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين وما جعله الهاء لأن يمددكم أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة
إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم
وما النصر إلا من عند الله لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذكر الإمداد بهم تقوية
لرجاء النصرة والطمع في الرحمة وربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي
النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان
يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا
خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده إذا ضرب
كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول أبي الطيب لأكبت حاسدا وأرى عدوا هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله
ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر إلا من عند الله ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون
أو يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الأمر شيء اعتراض والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب
عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم وقيل
أو يتوب منصوب بإضمار أن وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الأمر أو على شيء أي ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة
عليهم أو تعذيبهم أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل أو بمعنى إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي

على نفي لحرب لكمنعار هم نحو الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشتفي منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص
يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من
ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم عن الحسن رحمه الله
يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب
وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير من
لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون
خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء
على الذنب الصغير يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون
لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله
زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واتقوا النار التي اعدت
للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون كان ابو حنيفة رحمه الله عليه يقول هي اخوف آية في القرآن
حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق
رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآيات وامثالها لم يحدث نفسه بالا
طماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا لا يخفى
على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضى الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه و
سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون
في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين في مصاحف اهل المد
ينة والشام سارعوا بلا واو وقرأ الباقون بالواو ومسارعة قراءة ابي وعبد الله وسارعوا ومعنى المسارعة الى المغفرة
والجنة الاقبال على ما يستحقان به عرضها السموات والارض اي عرضها كعرض السموات والارض كقوله عرضها
كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص
العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات و
سبع ارضين لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان
ينفقوا في كل الاحوال ما قدروا عليه من قليل او كثير كما يحكى عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة
رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة او لا يمنعهم حال فرح
وسرور ولا حال محنة وبلاء عن المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانه لا يدع الاحسان الا
فافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال

للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة اذا ملأها وشد فاها وكظم البعير اذا لم
يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها
فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي
ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد
وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا
كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء
المذكورون وان تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله
فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين والذين عطف على
المتقين اي اعدت للمتقين والتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون الذين مبتدأ خبره اولئك
فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا
وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا
عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها
لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب
من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان
العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد و
تنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم
والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم
يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم
سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي
منصب عليهما معا والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه
قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقين وتائبين
ومصرين وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه
قال اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك
واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل اوحى الى موسى ما اقل حياء من يطمع
في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب

وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله تعالى يوم
القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها • ان السفينة لا تجري على اليبس • والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر
العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين** قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقايعه كقوله تعالى سنة الله في
الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل **هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين** هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم و
الاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتبيينا للمكذبين فهو زيادة
تبصير وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما
يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى الملخص من امر المتقين والتائبين وقوله
ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين
عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا
ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم
بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان
ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هو بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلى
في العاقبة فان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي يعني ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة
الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم
الله ويبشركم به من الغلبة **ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس و
ليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين** قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بضم القاف وهما لغتان
كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرئ قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد
والطرد والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم
بالقتال فانتم اولى بان لا تضعفوا ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك
يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم **فان قلت** فكيف قيل قرح مثله وما
كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين **قلت** بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون
وتلك الايام مبتدأ والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام
تبلى كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء

منه من ابيات الكتاب • فيوما علينا ويوما لنا • ويوما نساء ويوما نسر • وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان
انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا
رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه
لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال لكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذا وخسرنا والمداولة مثل المعاودة
فالسيرة الباقية فلا تزال متداولة في الناس بين تقتيل وسماع • يقال ادالت بينهم الشيء تداولوه وليعلم الله الذين
آمنوا وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا
ذلك وهو من باب التمثيل يعني فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا
فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا
منهم الثبات والثاني ان يكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت و
ليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى وليبصرهم ان العبد
ما يجري عليه من المصائب فلا يشعر ان لله في ذلك المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم
بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة بما يبتلي به صبركم
من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض و
معناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب **وليمحص
الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين** والتمحيص التطهير والتصفية ومحق الكافرين اهلاكهم يعني ان كانت الدولة
على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه
منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيها ضربا
من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم
يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم
الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف
وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون
ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون ولقد كنتم تمنون خوطب به
الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة
الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه
في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه

وأنتم تنظرون أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم فإن قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقاً لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشدك الله من غاز وقد رشدا وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فأقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمداً وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلي عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبياً لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل فقال إن كان قد قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه أفإن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به يجب أن يجعل سبباً للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه فإن قلت لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل قلت لكونه مجوزاً عند المخاطبين فإن قلت أما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة ألا ترى أنهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس وإذلالهم والانقلاب على الأعقاب الإدبار عما كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله من أمر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه فلن يضر الله شيئاً يعني فما ضر إلا نفسه لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين المعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله فأخرج مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله فيه تمثيلاً ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض نفساً إلا بإذن من الله وهو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم أن الحذر لا ينفع وأن أحداً لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوّض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه وإسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل كتاباً مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتاباً مؤجلاً مؤقتاً له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد نؤته منها أي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين قرئ قاتل وقتل وقتّل بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائناً معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الأول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضماً لها واستقصاراً والدعاء بالاستغفار منها مقدماً على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين إن تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة

ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم
ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال اصابهم
غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل
هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا
يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل
اطيعوا الله مولاكم سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم
النار وبئس مثوى الظالمين سيلقي وقرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين
الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا
ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم
فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا
آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت كأن هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك
حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر و
عصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم
ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر
والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب
الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا
وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة
واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون
جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم اي يقتلونهم
قتلا ذريعا حتى اذا فشلوا اذ جبنوا وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا
ههنا وقال بعضهم لا تخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر
دون العشرة وهم المعنيون بقوله تعالى ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا
فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى
هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها
ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرطتم من عصيان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل
على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء

رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت بم يتعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز
ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم
في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون اذ تصعدون
نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد
في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون
في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلوون بواو واحدة
وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا
رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم
كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين
صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما
متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة
والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع
ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي فآساكم في الاغتمام
وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه
لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم
من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم و
طائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان
الامر كله لله انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا
النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما احد الا يميل تحت حجفته
عن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع
قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والامنة الامن وقرئ امنة
بسكون الميم كأنها المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حالا منه مقدمة عليه
كقولك رأيت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه
جمع آمن كبار وبررة يغشى وقرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين
وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم و
المسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباث غير الحق في حكم المصدر و
معناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون

بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية
كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل
ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه هل لنا من الامر من
شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو قل ان الامر كله لله
ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في
انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم
والله عليم بذات الصدور يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر
من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم
ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا
قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه انه يقتل ويصرع في هذه المصارع
وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون الى مضاجعهم
وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون
لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم
وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من
شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان الرأي ان نقيم ولا نبرح كما كان رأي
عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز وجل
قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال
وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضجعهم بالباء وليبتلي الله ليمتحن ما في صدور المؤمنين
من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص
فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى
او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فان قلت
كيف صح ان يقع ما هو مسألة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك
جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من
يخفون والاجود ان يكون استئنافا ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض
ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا

ذنوبا

ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم
اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا بهم وقال الحسن
استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرتهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم
ويجاهدوا على حال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم
لتوبتهم واعتذارهم والله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا
وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك
حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير وقالوا لاخوانهم لاجل اخوانهم كقوله وقال
الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا
فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى وفي قراءة الحسن والزهري غزى وقرئ بتخفيف الزاي
على حذف التاء من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك
حين يضربون في الارض فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم
على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده
ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى قلت
معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم
عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء
كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدونه ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي
ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما شاء وعن خالد بن الوليد انه قال
عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء والله
بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك
لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين
عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل
الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن
ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اي يجمع الكفار لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع
الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل

شأن لمن الحيّ وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل
على الله إن الله يحب المتوكلين ما مزيدة للتأكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ومعنى
فيما نقمهم شأنهم لعتاب ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وأسلم
بالمباثة بعدما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك
لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله إتماما للشفقة
عليهم وشاورهم في الأمر يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم
والرفع من أقدارهم وعن الحسن قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبي هريرة ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله بمشاورة أصحابه
لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الأمر فإذا عزمت فإذا وطنت نفسك على شيء بعد
الشورى فتوكل على الله في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ولا من تشاوره
وقرئ فإذا عزمت بضم التاء أي فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا
إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل
المؤمنون إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي ينصركم
وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك
فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه أو من بعد الله بمعنى ليس لكم من يجاوز الله من بعد خذلانه وبإباءة المجاوزة وفيها
عتيد وعيد وإن يخذلكم من أخذله إذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله
والتأييد وتحذير من المعصية وفيما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل
والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وما صح لنبي أن يغل شيئا من الغنيمة على الأوجه
أخذه لا إذا أخذه في خفية يقال غل الجاني إذا أسرق من الغنيمة شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول ومنه
ليس على المستعير غير المغل ضمان ومنه لا إغلال ولا إسلال ويقال أغله إذا وجده غالا كقولك أبخلته وأجبنته
يعني وما كان لنبي أن يغل وما صح له ذلك يعني أن النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فمعنى
راجع إلى معنى الأول لأن معناه وما صح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا وفيه وجهان أحدهما
أن يبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته بأن النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به

فظن

فظن به ذلك وإن لا يسترب به أحد كما روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله
أخذها وروي أنها نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله
من أخذ شيئا فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد إليكم ألا
تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية إخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل ولا
نقسم لكم والثاني أن يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي أنه بعث طلائع فغنمت
غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بالسوية وسمي
حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الأمر وقرئ أن يُغل من أغل بمعنى غل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة
يأتي بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وروي ألا لا أعرفن أحدكم يأتي
ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن
بعض جفاة الأعراب أنه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال إذن أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز
أن يراد به بما احتمل من وباله وتبعته وإثمه فإن قلت هلا قيل ثم يوفى ما كسبت ليتصل به قلت جيء بعام
دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ وأثبت لأنه إذا علم أن كل كاسب
خيرا أو شرا مجزي فموفى جزاءه علم أن الغال مع عظم ما اكتسب لم يظلموا أي يعدل بينهم في الجزاء
كل جزاؤه على قدر كسبه أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم
درجات عند الله والله بصير بما يعملون هم درجات أي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله
أنشبت المنية شتى بينهم بحالهم ثم دبج السوابغ وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم و
منازل المعاقبين أو التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم
على حسبها لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين لقد من الله على المؤمنين على من آمن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه من أنفسهم من جنسهم
عربيا مثلهم وقيل من ولد إسماعيل كما أنهم من ولده فإن قلت فما وجه النعمة عليهم في أن كان من أنفسهم قلت
إذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة
فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه والوثوق به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم كقوله وإنه لذكر لك ولقومك
وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من أنفسهم من أشرفهم لأن عدنان ذروة
ولد إسماعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش
ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به أبو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها
وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر

الحمد لله الذي

وجعلنا حضنة بيته وسُوّاس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان
ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر
جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في
قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد
ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة
سائر الجوارح الملابسة للمحرمات والخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكاة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة
بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشأن والحديث كانوا من قبل لفي
ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه **اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو**
من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين
منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه
وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع **فان قلت** علام عطفت الواو
هذه الجملة **قلت** على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف
كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله من عند انفسكم وقوله
من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه
لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان
يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى **وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين**
وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون
وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخلية الكفار
وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون
وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال
اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا
ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم
الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما
روي ان عبد الله بن ابي انخذل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم
تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسره وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت

داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا
اراد اكثر سوادهم ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون
ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأي
عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك
اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما
قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان
تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم
ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم
خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض
من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات و
انا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته **الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا**
عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين
نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم
او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم
في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من القعود
ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه قل ان كنتم صادقين في
انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير
مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة فلا بد لكم
من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا **فان قلت** فقد كانوا صادقين في انهم
دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين **قلت** معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون
سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل
لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه
آخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما
قتلوا مقاتلين وقوله فادرؤا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرؤا جميع
اسبابه حتى لا تموتوا **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين**
بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ولا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله

او لا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن
الذين قتلوا انفسهم امواتا **فان قلت** كيف جاز حذف المفعول الاول **قلت** هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف
المبتدأ في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب
على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر
الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما
آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين
معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف
طير خضر تدور في انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون
باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا
بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ان لا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى
ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم
الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد
الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير
فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب **يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا**
يضيع اجر المؤمنين كرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر
النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله
بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة
عبد الله والله لا يضيع **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا**
منهم واتقوا اجر عظيم الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح روي
ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا
يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من
المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في
قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير
قالت لي عائشة ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير **الذين قال لهم الناس ان الناس قد**
جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الذين قال لهم الناس ان الناس

قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم
ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان
يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام
جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرأة
فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم
في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد
وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون
الخروج فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون
حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار حتى وافوا بدرا و
اقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع
ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون
المثبطون والآخرون ابو سفيان واصحابه **فان قلت** كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده **قلت**
قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال
ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه **فان قلت** الام يرجع المستكن
في فزادهم **قلت** الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا
او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده **فان قلت** كيف زادهم نعيم او
مقوله ايمانا **قلت** لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك
اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو
طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله
ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر انه كان
ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله اي
محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك
فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو **فانقلبوا**
بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم فانقلبوا فرجعوا من بدر
بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل
عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم

ما أفاد به هؤلاء وندمهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** الشيطان خبر ذلكم بمعنى إنما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف أولياءه جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم أو أبو سفيان ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى إنما ذلكم قول الشيطان أي قول إبليس لعنه الله يخوف أولياءه يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **فإن قلت** فإلام رجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير **قلت** إلى الناس في قوله إن الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به إن كنتم مؤمنين يعني أن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون أحدا إلا الله **ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم** يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام **فإن قلت** فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد **قلت** معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك ألا ترى إلى قوله إنهم لن يضروا الله شيئا يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة أي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك أبلغ ما ضر به الإنسان نفسه **فإن قلت** هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة وأي فائدة في ذكر الإرادة **قلت** فائدته الإشعار بأن الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى إن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم **إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم** إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان إما أن يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف إليهم وإما أن يكون عاما للكفار والأول خاصا فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام أو على العكس وشيئا نصب على المصدر لأن المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر **ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين** الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وأنما نملي لهم خير لأنفسهم بدل أي ولا تحسبن أنما نملي للكافرين خير لهم وأن مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية معناه ولا تحسبن أن إملاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف **فإن قلت** كيف صح مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد **قلت** صح ذلك من حيث إن التعويل على البدل والمبدل منه في حكم الملغى ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على

متاعك

متاعك ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بأن وما في حيزه والإملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو إمهالهم وإطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم إنما نملي لهم ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيرا لهم فقيل إنما نملي لهم ليزدادوا إثما **فإن قلت** كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا لله تعالى في إملائه لهم **قلت** هو علة للإملاء وما كل علة بغرض ألا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وإنما هي علل وأسباب فكذلك ازدياد الإثم جعل علة للإملاء وسببا فيه **فإن قلت** كيف يكون ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب **قلت** لما كان في علم الله المحيط بكل شيء أنهم مزدادون إثما فكان الإملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الأولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان وقوله إنما نملي لهم خير لأنفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه أن إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة **فإن قلت** فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة **قلت** معناه ولا تحسبوا أن إملاءنا لزيادة الإثم وللتعذيب والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم** اللام لتأكيد النفي على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميزه وفي رواية عن ابن كثير يميز من أماز بمعنى ميز **فإن قلت** لمن الخطاب في أنتم **قلت** للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وأنه لا يتركهم مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي وما كان الله ليؤتي أحدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند إخبار الرسول بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي إليه ويخبره بأن في الغيب كذا وأن فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الإخلاص فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز أن يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فإن ذلك

بما استأثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يميز فيعرف صحيحها من فاسدها مطلعا
عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه
وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون
الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكفار ان كان محمد صادقا
فليخبرنا بمن يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو
شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير
ولا يحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء
وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول
عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو
فصل وقرأ الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي
امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه
يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم في
مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث
السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه
في سبيله ونحوه قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة
الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله
تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما
كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من
العقاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت
كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم
الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم
وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام
الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سأل القرض
فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قوله يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة

فهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب

ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق
وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود
ويقال ذوقوا ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم و
ذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله
وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات
في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن
الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم
رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين عهد الينا امرنا في التورية
واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما
كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى
باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن و
سائر الآيات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين سائر الآيات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاءوهم بالبينات
الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاءوهم ايضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان
الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت
معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا
فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير في مصاحف اهل الشام
وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من تكذيب قومه وتكذيب اليهود كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح
عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقرأ اليزيدي ذائقة الموت على
الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل
به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم
ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم من القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها
يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور فمن زحزح عن النار للتبعيد والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة
فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يغاير ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب
السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس

ما يغنيان عن غائله وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس
به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد
بن جبير إنما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ **لتبلون في أموالكم وأنفسكم
ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا
فإن ذلك من عزم الأمور** خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد
والصبر عليها حتى إذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز
منها نفسه والبلاء في الأنفس القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وفي الأموال الإنفاق
في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من أهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من أراد الإيمان
وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الأشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص
ومن بني قريظة والنضير فإن ذلك فإن الصبر والتقوى من عزم الأمور من معزومات الأمور أي مما يجب العزم عليه
من الأمور أو مما عزم الله أن يكون يعني أن ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم أن تصبروا وتتقوا **وإذ أخذ الله ميثاق
الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس
ما يشترون** وإذ أخذ الله واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب أكد عليهم إيجاب
بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل إذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه فنبذوا
الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه
جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه وكفى به دليلا على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا
يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة وحطام دنيا
أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب إليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن طاوس أنه قال لوهب إني أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال و
الله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على
علمه ولا يحل لجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ
على أهل العلم أن يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لأنهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا
إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن **لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا
تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم** لا تحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المفعولين
الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن
فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على أن الفعل للرسول
وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني على أن الفعل للذين يفرحون والمفعول الأول محذوف

على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد و
معنى بما أتوا بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى إنه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا و
يدل عليه قراءة أبي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى أعطوا وعن علي رضي الله عنه بما أوتوا ومعنى بمفازة من العذاب
بمنجاة منه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه
وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم
أي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق
عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما أوتوا بما أوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا
من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين إبراهيم حيث ادعوا
أن إبراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه وقيل إنهم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
قفل اعتذروا إليه بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا إليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما
أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم
يفعلوه على الحقيقة لإبطانهم الكفر ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب و
يحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والأرض **ولله ملك السموات
والأرض والله على كل شيء قدير** فهو يملك أمرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم **إن في خلق
السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** لآيات لأدلة واضحة على الصانع وعظيم
قدرته وباهر حكمته لأولي الألباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون إليهما
نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب وأجلهما
في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك
وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنه قلت لعائشة رضي الله عنها أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجب أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي
ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله إني لأحب قربك وأحب هواك
قد أذنت لك فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي
حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت
الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا
أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي
ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل
يتسوك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول إن في خلق السموات والأرض ويحكى أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا عبد الله

ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك فقال
ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من ذاك الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا
عذاب النار يذكرون الله ذكرا دائبا على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب
احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما
قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في جميع الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى
جنب تومئ ايماء وهذه حجة للشافعي رضي الله عنه في اضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة رحمه الله
يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين
يتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما
تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام
ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى
الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا و
خالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب
الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل
الفكرة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل
اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم
مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون
قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين و
ادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى
ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق
السموات والارض اي فيما خلق منهما ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما
خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه ونظيره قوله
فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق واللام اشارة الى من يدخل

النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان
ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار تقول سمعت
رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا
عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة
في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم
من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد
للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او الكفاية لبعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق
على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت
من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه
للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول دعا الى الله
ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار
مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب ربنا وآتنا
ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد على رسلك على هذه صلة للوعد في
قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان
وهو الرسول وقوله آمنوا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا
على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على
الاعداء فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما يحفظ
عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجأ الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع
علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجأ الذي هو سيما العبودية فاستجاب
لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من
ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري
من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب يقال استجاب له واستجابه
فلم يستجبه عند ذاك مجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد
من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله
او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال
فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء
فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال

اوله
وداع دعا يا من يجيب الى الندى

السيرة الفائقة وهي المهاجرة عن أوطانهم فارّين إلى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا إلى الخروج من ديارهم
التي ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف وأوذوا في سبيلي من أجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا
وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتّلوا على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما
للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى إثابة أو تثويبا من عند الله لأن قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم في معنى
لأثيبنهم وعنده حسن الثواب أي مختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد
يريد اختصاصه به وملكه وإن لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل إليه ويتضرع وتكرير
من باب الابتهال وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة
تكاليفه وقطع لأطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا إليه بالعمل بالجهل والغباوة
وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه
ما أراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر أنه استجاب لهم إلا أنه أتبع
ذلك رافع الدعاء وما استجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد
متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد أي لا
تنظر إلى ما هم عليه من السعة في الرزق والمضطرب ودرك العاجل وإصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى
من تبسطهم في الأرض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم أهل مكة وقيل
هم اليهود وروي أن ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون إن
أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فإن قلت كيف جاز أن يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان أحدهما أن مدرة القوم ومتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه
مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لا يغرنكم والثاني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد
عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين
وهذا في النهي نظير قوله في الأمر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر
للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لأن التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب
ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي ذلك متاع قليل وهو التقلب
في البلاد قلّته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل في
نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم
إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وبئس ما مهدوا لأنفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار النزل والنزل ما يقام للنازل قال أبو الشعر الضبي
وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه إما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف

والعامل

وما انزل اليكم

والعامل اللام ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم
خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والأعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن
القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا
يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب وإن من أهل الكتاب
عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام ونفر من مسلمة أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة
وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا وقيل في أصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية
بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم اخرجوا
فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له
فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخول لام الابتداء على اسم
إن لفصل الظرف بينهما كقوله وإن منكم لمن ليبطئن وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين لله
حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم
أولئك لهم أجرهم عند ربهم أي ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعده في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين ويؤتكم كفلين
من رحمته إن الله سريع الحساب لعلمه بكل شيء وعلمه بما يستوجبه كل عامل من الأجر ويجوز أن يراد أن ما
يوعدون لآت قريب سرعة كل الوعد يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا أعداء الله في الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا
يكونوا أقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته
وصعوبته ورابطوا أقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل
صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها
آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء يا أيها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من أصل
واحد وهو نفس آدم أبيكم فإن قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان أحدهما أن يعطف على
محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم
من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعها وبث منهما نوعي جنس
الإنس وهما الذكور والإناث فوصفها صفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني أن يعطف على خلقكم

ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم لأنهم من
جملة الجنس المفرّع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر **فإن قلت**
الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويبعث عليها
فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها **قلت** لأن ذلك
مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه
يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها
والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم
فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرّعة من أرومة واحدة
فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها
زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق **واتقوا الله الذي تساءلون
به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** تساءلون به تتساءلون به فأدغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح
التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف و
أنشدك الله والرحم أو تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال و
تراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا أو غير مهموز وقرئ والأرحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين
إما على واتقوا الله والأرحام أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود
تساءلون به وبالأرحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل كاسمه والجار
والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال
لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام
زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة
هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر * فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا *
فاذهب فما بك والأيام من عجب * والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والأرحام كذلك على معنى
والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرون بأن لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله و
الرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الله الذي تتساءلون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها أو و
اتقوا الله الذي تتعاطفون بإذكاره وبإذكار الرحم وقد آذن عز وعلا إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه
بمكان كما قال أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه وإذا سألك بالرحم
فأعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها
الواصل بشّت به وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله صلى الله عليه وسلم تخيروا

لنطفكم

لنطفكم فقال يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال ألم تسمع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام
وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب
الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله **وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا** اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا
عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات
فإن قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى **قلت** فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لأن اليتيم من وادي
الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس
فيقال أيائم ثم يتائم على القلب والحق أن هذا الاسم يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه
قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفون
غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم أبي طالب إما
على القياس وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له وأما قوله صلى الله عليه وسلم
لا يتم بعد الحلم فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار **فإن قلت** فما معنى
قوله وآتوا اليتامى أموالهم **قلت** إما أن يراد باليتامى الصغار وبإتيانهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء و
الأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة
وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا سالمة غير محذوفة وإما أن يراد الكبار
تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه إشارة
إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى
والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله
إليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته فلما
قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الأجر وبقي الوزر فقالوا يا
رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت أجر الغلام وبقي الوزر
على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم
من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض فتأكلوه مكانه أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال
اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال
والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة * فيا كرم السكن الذين تحملوا * عن الدار والمستخلف المتبدل *
أراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو أن يعطي رديئا ويأخذ جيدا وعن السدي أن يجعل

شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقاً له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معاً حقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم الحق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمّع بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان طلاق ام ايوب لحوب فكأنه قيل انه كان ذنباً عظيماً كبيراً وقرأ الحسن حَوباً بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوباً وقرئ حاباً ونظيره الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً** لما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضاً ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضناً بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم الا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايائم ويتائم وقرأ النخعي تَقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهاباً الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرّفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثاً ثلاثاً واربعاً اربعاً فان قلت الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين

او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان يأخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤوا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤوا متفقين فيها محظوراً عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأساً فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدةٌ بالرفع على ان المقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري ان اقل تبعة واقصر شغباً واخف مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل وقرأ ابن ابي عبلة او من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولاً اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابياً حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءاً وانت تجد لها في الخير محملاً وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهداً بانه كان اعلى كعباً واطول باعاً في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقاً واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات فان قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صَدْقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صَدُقاتهن وصُدْقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صُدْقة بوزن غُرفة وقرئ صُدُقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صُدْقة كقولك في ظُلْمة ظُلُمة نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلاً ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقاً بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء

صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن على طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين
طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده
وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن
ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل
للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج
به مالك اي تعظمه الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قل اؤنبئكم بخير من
ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع
البهق فقال اردت كان ذلك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء
صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين لانه في الاصل اصدق بجزمه ما لم يكن
بالفاء نصبه عطف واكن على اصل اصدق لان الفاء عارض كانه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها
لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن
طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا
فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب منه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امرأته شريحا
في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان
طبن لكم عن شيء قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن
وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امرأته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها
فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الآية التي
بعدها فلا تاخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة
ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضى به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم
الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امرأته فقال الله تعالى ان
طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك
ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى
هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على
تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في
بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير ينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث
لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام

ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل
لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا
مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما
صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا
معروفا السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف
فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم
فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم
جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم و
قرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك
هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولأن اترك مالا يحاسبني الله عليه
خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن
غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا فقال لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا
فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك
وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال
فلا يأكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امرأة يعلم انه
يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم و
عن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل
عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف
وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا
تبينتم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح
عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والتناسل والايناس الاستيضاح فاستعير للتبيين واختلف في
الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء
منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي
الابتلاء ان تتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء وتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان
الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة رحمه الله ينتظر الى

خمس وعشرين سنة لان مدة البلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة
معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم
يؤنس وعندنا لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من
الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت
كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها
الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة
شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت
بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرا ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم قال
احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان
يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم
اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم
كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين ان
يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعف من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا
على اليتيم وابقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما
في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله
قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان
كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في
الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابرهيم لا يلبس الكتان والحلل
ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد
منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد
يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب
واخذ القوت ولا يجاوزه فاذا ايسر قضاه واذا اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت
نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت
واستعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم
وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق

مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه
الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا كافيا في الشهادة عليكم بالدفع
والقبض او محاسبا فعليكم بالصدق واياكم والكذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا الاقربون هم المتوارثون من ذوي
القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل من ما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى
اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد
كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة وروي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امرأته ام كحة وثلاث بنات
فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال
ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس
شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين
والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا
معروفا واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون
وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من
رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تأديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار
كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله عنها
حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآية الميراث كالوصية
وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يلطفوا
لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم
وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب
فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا
يقولون لهم بورك فيكم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله
وليقولوا قولا سديدا لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم
من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم
ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل
هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا
فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز

ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى و
المساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان
والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم
انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب
كافلهم وكاسبهم كما قال القائل لقد زاد الحيوة الي حبا * بناتي انهن من الضعاف * احاذر ان يرين البؤس بعدي
وان يشربن رنقا بعد صاف * وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من
الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم يا بني ويا
ولدي ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس و
كان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث
ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما
ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته
في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى ياكلون
نارا ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج
من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ وسيصلون بضم
الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من نيران مبهمة الوصف يوصيكم الله في اولادكم للذكر
مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف و
لابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان
ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ
الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله
للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما
كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور
دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن
حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان
قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في
حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان ياخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه
حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم

فحذف

فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا
ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة
ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرأ
زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت
قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف
قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين
حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء فان قلت هل يصح ان يكون
الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل
فان كن نساء ولم يقل وان كانت امرأة قلت لان الغرض ثم خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن
مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها
وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد
ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى
تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر
الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين
حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على
حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد
فلهن ما للاثنتين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين
امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما
منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون
لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت ولكل واحد
منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل
لابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فان قلت فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس
واي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا
كالذي تراه في الجمع بين المفسر والمفسر والسدس مبتدأ وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن
ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في
ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس فان لم يكن له ولد وورثه
ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين فان قلت

قدم حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فقال فان لم يكن له ولد فلامه الثلث فاي فائدة في قوله
وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس
مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس
والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون
ثلث المال قلت فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم لحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة
ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة
وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امراة لو تركت زوجا
وابوين فكان للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى
ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا
يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس
وعنه انهم ياخذون السدس الذي يحجبون عنه الام فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع
خلاف التثنية قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية
وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر في
قوله وجعلنا ابن مريم وامه من بعد وصية يتعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل
قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها وقرئ يوصى بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول
مخففا فان قلت ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس
الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية
مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان
اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها
والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب آباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم من الله ان الله كان عليما حكيما ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم اي لا
تدرون من انفع لكم من آبائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله
فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا
وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في
الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب
الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان
ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض

على ما

على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب
تجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب
نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان
يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله
كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم
يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع
مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون
بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين فان كان لهن ولد منكم
او من غيركم جعلت المراة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء
في الربع والثمن وان كان رجل يعني الميت يورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان
رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف
والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول به فان قلت ما الكلالة قلت تطلق على ثلاثة على من لم يخلف
ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث
المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب
القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة
الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد
من ذوي قرابتي ويجوز ان تكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فان قلت فان جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام
تنصبها قلت على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها فان قلت فان جعلت يورث على البناء
للمفعول من اورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما
الى من يرجع حينئذ قلت الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما
في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة على هذا الوجه قلت نعم لانك اذا قلت
السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر رضي الله عنه انه سئل
عن الكلالة فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة
ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا
على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت
من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين

وأن للإخوة كل المال فلم يعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا أنه يعني بهم
الإخوة للأم وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة الأخياف والأعيان وأولاد العلات
وغيرهم فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار
وصية من الله والله عليم حليم غير مضار حال أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك أن يوصي بزيادة
على الثلث أو يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في
الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن الضرار في الدين أن يوصي بدين ليس عليه ومعناه الإقرار وصية من الله
مصدر مؤكد أي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز أن يكون منصوبة بغير مضار أي لا يضار وصية
من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالأولاد وأن لا يدعهم عالة بإسرافه في الوصية
وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالإضافة والله عليم بمن جار أو عدل في وصيته حليم
عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فإن قلت في يوصي ضمير الرجل إذا جعلته الموروث فكيف تعمل إذا جعلته الوارث
قلت كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لأنه علم أن التارك والموصي هو الميت فإن قلت فأين ذو الحال
فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل يوصى بها علم أن ثم موصيا
كما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم أن ثم مسبحا فأضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار
حالا عما يدل عليه يوصى بها تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها
وله عذاب مهين تلك إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لأن
الشرائع كالحدود المضروبة المؤقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحق يدخله وقرئ
بالنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال
فإن قلت هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لأنهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك
خالدين هم فيها وخالدا هو فيها واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم
فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يأتين الفاحشة يرهقنها
يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها
في القبح على كثير من القبائح فأمسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن
في أول الإسلام ثم نسخ بقوله الزانية والزاني الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه
معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب
الخروج من البيوت والتعرض للرجال أو يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل
السبيل هو الحد لأنه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فإن قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كأنه

قيل حتى يميتهن الموت قلت يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة قل يتوفاكم
ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا
فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما
وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله فإن تابا وأصلحا وغيرا الحال فأعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ و
المذمة فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالإيذاء
ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الإمام والحد فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما
وقيل نزلت الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذان بالهمز وتشديد النون
إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله
عليما حكيما التوبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته وغفر له يعني إنما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء
بجهالة في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة لا مما تدعو إليه
الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب
ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله تعالى حتى إذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل
فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل
الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق
ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فإن قلت ما معنى من في قوله
من قريب قلت معناه التبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت
زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب من بعيد فإن قلت ما فائدة
قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله لهم قلت قوله إنما التوبة على الله إعلام بوجوبها عليه
كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بما وجب عليه وإعلام بأن الغفران
كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم
الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما ولا الذين يموتون
عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه
لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف
إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار أولئك أعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله
عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة فإن قلت من المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفساق من أهل القبلة
أم الكفار قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق لأن الكلام إنما وقع

في ان التائبين والاعراض عنهما ان ما بأسهما ويحتمل قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن
العالمين وقوله عليه السلام فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ومن ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات
وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت يا ايها الذين آمنوا لا يحل
لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة
وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا كانوا
يبلون النساء بضروب من البلاء ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او
اخ او حميم عن امرأة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تأخذوهن
على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان
تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة
والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز و
شكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب
الخلع ويدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع
وقيل كانوا اذا اصابت امرأة فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع
حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك
بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة و
الاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في
الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت
عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه
الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم
احديهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا القنطار المال العظيم من قنطرت
الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد
وعن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا
او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة
اوقية فقامت اليه امرأة فقالت له يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احديهن قنطارا
فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امرأة ليست من
اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير و

انتصب

انتصب بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعدت عن القتال جبنا
وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا والميثاق الغليظ حق
الصحبة والمصاحبة كأنه قيل وأخذن بكم ميثاقا غليظا اي بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته
وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي
عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا
بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم و
ناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كأنه قيل
هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا يحل لكم بالتاء
على ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة من ابان بمعنى تبين
او بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويحتمل النصب بالرفع على انه في موضع الحال وآتيتم احديهن بوصل همزة احدى
كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي لا يحل لكم
ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت اي فرق بين تعدية ذهب بالباء وبينها بالهمزة قلت اذا عدي بالباء
فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت الا ان يأتين ما هذا
الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كأنه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت
ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان يأتين بفاحشة فان قلت من اي وجه صح قوله فعسى ان
تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه
خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا
وساء سبيلا فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤهم قلت هو كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه
فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التأبيد نحو
قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم
وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن
فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف
ان الله كان غفورا رحيما معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله و
قرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة
اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع و بعده

فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه
وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز
ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز
ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطؤ الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في
الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها
فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة
الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة
فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر الا ترى انك اذا قلت وامهات نسائكم اللاتي
دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة و
ليس بصحيح ان يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي
يستوجب التعليق به ما لم يعرض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال
كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني
وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد
اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان
يتزوج امها وعن عمر وعمران بن حصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما
ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي رضي الله عنه وابن عباس وزيد وابن عمر و
ابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا
هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها
واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمى ولد
المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما
فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم
وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله
بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون
على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي

بكم

كناية

كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام
الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن
مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر قالوا
المراد بالنظر النظر الى الفرج وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده
بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها
ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم
لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش
الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج
في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطفا على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة
النكاح لان التحريم في الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما
اية وحرمتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن
ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله
عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين والمحصنات القراءة
بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات
ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة
المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق * وذات حليل انكحتها رماحنا * حلال لمن يبني بها لم تطلق * كتاب
الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف قوله
واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل
عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الرفع والجمع اي هذه فرائض الله عليكم
ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة
ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم و
تفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة
وتحصين النفس عن الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت
يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا
من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي
فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله
كان عليما حكيما فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فاتوهن

أجورهن عليه فأسقط الراجع إلى ما لأنه لا يلبس كقوله إن ذلك لمن عزم الأمور بإسقاط منه ويجوز أن يكون ما في معنى
النساء ومن للتبعيض أو البيان ويرجع الضمير إليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن أجورهن مهورهن لأن المهر
ثواب على البضع فريضة حال من الأجور بمعنى مفروضة أو وضعت موضع إيتاء لأن الإيتاء مفروض أو مصدر
مؤكد أي فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر أو تهب له من كله أو تزيد لها
على مقداره وقيل فيما تراضيتم به من مقام أو فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة
على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة أو يومين أو أسبوعا بثوب أو غيره
ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا أوتى برجل تزوج
امرأة إلى أجل إلا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس إني
كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة وقيل أبيح مرتين وحرم مرتين وعن
ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته
وقال اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات
فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض
فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان الطول
الفضل يقال لفلان على فلان طول أي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال لقد زادني حبا لنفسي أنني
بغيض إلى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم ما خلا منه بطائل أي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في
الجسم لأنه زيادة فيه وفضل كما أن القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة
يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة قال ابن عباس من ملك ثلاثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الإماء
وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رحمه الله وأما أبو حنيفة فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الأمة
ويفسر الآية بأن من لم يملك فراش الحرة على أن النكاح هو الوطء فله أن ينكح أمة ويؤيده رواية عن ابن عباس رضي الله عنه
أنه قال ومما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم
المؤمنات الظاهر أنه لا يجوز نكاح الأمة الكتابية وهو مذهب أهل الحجاز وعند أهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الأمة
المؤمنة أفضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على أن الإيمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع أنه
ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه أفضل فإن قلت لم كان نكاح الأمة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع
الولد الأم في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولأنها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان
راجع إلى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين ومعنى من فتياتكم أي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم من
المخالفين في الدين فإن قلت فما معنى قوله والله أعلم بإيمانكم قلت معناه أن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين
أرقائكم في الإيمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة والمرأة أفضل في

الإيمان من الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا إلا فضل الإيمان لا فضل الأحساب والأنساب وهذا تأنيس بنكاح الإماء
وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض أي أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الإيمان لا يفضل
حر عبدا إلا برجحان فيه فانكحوهن بإذن أهلهن اشتراط لإذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول أبي حنيفة رحمه الله عليه إن
لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذن الموالي لا عقدهم وآتوهن أجورهن بالمعروف وأدوا إليهن مهورهن
بغير مطل وضرار والحاج إلى الاقتضاء والتعنيف فإن قلت الموالي ملاك مهورهن لا هن والواجب أداؤها إليهم لا
إليهن فلم قيل وآتوهن قلت لأنهن وما في أيديهن مال الموالي فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالي وعلى أن
أصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف الأخدان الأخلاء في السر كأنه قيل غير مجاهرات بالسفاح
ولا مسرات له فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي
العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم فإذا أحصن بالتزويج وقرئ أحصن فعليهن نصف ما على المحصنات
أي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لأن الرجم لا يتنصف ذلك
إشارة إلى نكاح الإماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الإثم الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم
بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم وقيل أريد به الحد لأنه إذا هويها خشي أن
يواقعها فيحد فيتزوجها وأن تصبروا في محل الرفع على الابتداء أي وصبركم عن نكاح الإماء متعففين خير لكم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن
الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم يريد الله ليبين لكم أصله يريد الله أن يبين لكم
فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت في لا أبا لك لتأكيد إضافة الأب والمعنى يريد الله أن يبين لكم
ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق
التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم إلى الطاعات إن قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب
عليكم ويكفر لكم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما
والله يريد أن يتوب عليكم أن تفعلوا ما تستوجبون به أن يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا
ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود
وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما حرمهن الله قالوا فإنكم تحلون بنت
الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت يقول يريدون أن تكونوا زناة
مثلهم يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا يريد الله أن يخفف عنكم بإحلال نكاح الأمة وغيره
من الرخص وخلق الإنسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما أيس الشيطان
من بني آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء فقد أتى علي ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو بالأخرى وإن
أخوف ما أخاف علي فتنة النساء وقرئ أن يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقال ابن عباس وعلى

الانسان ضعيفا على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه
الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان
تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما
يفعل الله بعذابكم **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض**
منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة
والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون
التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون
تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة
بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الا
يجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين
ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله
بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتّلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل
معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم
يكلفكم تلك التكاليف الصعبة **ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله**
يسيرا ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر
ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء و
الضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي نارا اي نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا
لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم**
سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من
المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم
ونجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة
انما وصفتا بالكبيرة والصغيرة باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما والتكفير اماطة المستحق من العقاب
بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي
رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة
وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة
اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وعنه الى سبعين وقرئ نكفر بالياء ومدخلا بضم الميم

وفتحها

وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا**
وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما ولا تتمنوا نهوا عن
التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن
حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد
اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة
للبسط او القبض كسبا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه
التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون
لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على
الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت** كان
أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله على كل شيء شهيدا مما ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك او لكل
قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلناهم موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف
والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او لكل احد جعلنا موالي مما
ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان
والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع
خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدين
ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول
دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك
وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا
حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده
وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي رحمه الله عليه وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم
وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم **الرجال قوامون على النساء**
بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله
قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قوما لذلك والضمير في بعضهم
للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء
وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال

سطر ١٢

بالعقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة
الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في
الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق
والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن
من اموالهم في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته
حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته
كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص
واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا
في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب
الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن
حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان
نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب
لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما
حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب و
اوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي
حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة
لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن واللاتي تخافون نشوزهن
فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله
كان عليا كبيرا نشوزها ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج في المضاجع قيل
اي لا تداخلوهن تحت اللحف او هو كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي
يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز
امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على
الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا
يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء
بنت ابي بكر كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدنا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها
ويروى عن الزبير ابيات ولولا بنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ
والتجني والمعنى توبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك

المشجب الذي يعلق عليه الثياب

النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم وروي
ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصره رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود
لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شأنه
وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق ان تعفوا عمن يجني عليكم اذا رجع وان خفتم شقاق بينهما
فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا
شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله
بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين
ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء حكما من اهله رجلا مقنعا رضا يصلح لحكومة العدل و
الاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن
اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك و
مقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت فهل لهما الجمع بينهما والتفريق ان
رأيا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا
واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امرأة
وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين اتدريان ما عليكما
ان عليكما ان رأيتما ان تفرقا فرقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة
فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن
يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والالف في ان يريدا للحكمين وفي يوفق الله بينهما
للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما
واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل
الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة
الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا اصلاح
ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء
مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا
وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل
وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي
القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي

جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي وانشد للعباس تيمي • لا يجتوينا مجاور ابدا •
ذو رحم او مجاور جنب • وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك
اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مصلى او مجلس
او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه فعليك ان تراعي ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الا
حسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التياه الجهول الذي
يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون
النون الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدأ
خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين
وبضمتين اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي امثال
العرب ابخل من الضنين بنائل غيره • وان امرأ ضنت يداه على امرئ • بنيل يد من غيره لبخيل • ولقد رأينا ممن بلي
بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كأنما
نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون
لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمانهم نعمة الله وما آتاهم
من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى نعمته
عليه وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر
نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله
وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فساء قرينا تنبيها على ان الحامل لهم على البخل
والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم
الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما وماذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان و
الانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت
وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزأة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان
المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا
عظيما الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ادخل يده في الترا

فرفعه

فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو
نقص من الاجر ادنى شيء او ضوعف العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لا لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته
في القدرة وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ
بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة
غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تعالى ليعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى
ليعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها
من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد
والتخفيف من اضعف وضعف وقرأ ابن كثير يضاعفها بالرفع فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و
جئنا بك على هؤلاء شهيدا فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم
بما عملوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض
ولا يكتمون الله حديثا لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم
يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون
على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله
حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم
عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى
بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام
التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى كاستوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم و
ايديكم ان الله كان عفوا غفورا روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب تقدم احدهم ليصلي بهم
فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء
شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا
تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه لا تقربوا مواضعها

عن المساجد كقوله صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم
كقوله وَرَانُوا بِسُكْرِهِمْ كرى الرقود وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى
لان السكر علة تلحق العقل فاشبه الموت والهلاك وسكرى بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين
على ان يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم
سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة
احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا
تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز
ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين
فان قلت كيف تصح صلوتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا
الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد
جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار
كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم ياذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في
المسجد فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق
الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه تعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا
الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون و
اهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان
كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله
فان قلت فما تصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتاتى في الصخر
الذي لا تراب عليه قلت قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد
من العرب من قول القائل مسحت براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان
للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين
ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين
والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب
الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا
من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما

على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم
آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط فيعل من
تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة
ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا الم تر من رؤية
القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم
احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون
سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا يكفيهم ضلالهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء
بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم
ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا
تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون
سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا
واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا من الذين هادوا بيان
للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وقوله وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان
والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله و
نصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدا على ان يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين
هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت
فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن
مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم
طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه
اما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم
من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه
كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف
وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقولهم غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل
الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا
على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك
لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع

كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمع فلان
فلانا اذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا
يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به
الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى
الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه
من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا
سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء و
يجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرأ ابي وانظرنا من الانظار
وهو الامهال فان قلت الام يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا
واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم
عن الطافه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا اي ضعيفا ركيكا لا يعبا به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او
اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد آمنوا يا ايها الذين
اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم
كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان نطمس وجوها ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم
فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها
للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها
فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال
القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات
الشام يريد اجلاء بني النضير فان قلت لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه
لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم او نجزيهم بالمسخ
كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو
منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان
كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن
فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين
ان لم يؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما
عظيما فان قلت قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة

فاوجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي و
المثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك
على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء
تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل
ما لا يصح كونه الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا الذين يزكون
انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل
جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله
ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من
زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل
في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه
او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم
بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون
اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من
ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا
كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين آثامهم
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا
هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا
الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين
خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب
وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت و
الطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب
ماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري
الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة و
آتيناهم ملكا عظيما وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان تكون لهم
نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك فاذا

فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير او المراد
بالملك انهم ملوك اهل الدنيا وانما يملكه الله كقوله قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق
وهذا وصفهم بالشح واحسن الجوابات نظيره من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا
من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا
وقرا عبد الله فاذا لا يؤتوا على اعمال اذا عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون
الناس نقيرا اذا ام يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على انكار الحسد
واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا الزام
لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع
ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل
استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية
فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا فمن اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث
آل ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل
ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم
نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما بدلناهم
جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة
وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم
كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم
ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده
بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ظليلا صفة
مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب
فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف
الفيء تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا
بصيرا ان تؤدوا الامانات الى اهلها الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار
وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة
وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه

يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه
المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمن لعلي اكرهت
وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرا عليه الآية فقال عثمن اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب
للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان تكون منصوبة موصوفة
بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص
بالمدح محذوف اي نعم ما يعظكم به ذاك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا لما امر الولاة باداء
الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق
لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله
ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين
ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم
ان مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا
خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري
فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينيون الذين يعلمون الناس الدين ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر
فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله ورسوله اي
ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى
معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة
فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى الكتاب ولا الى السنة انما
يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم
اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن عاقبة وقيل احسن
تاويلا من تاويلكم انتم الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا روي ان بشرا
المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما

احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال
اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما
مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم
يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله على التحاكم اليه تحاكما
الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقرئ بما انزل وما انزل على البناء
للفاعل وقرأ عباس بن الفضل ان يكفروا بها ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
وقرأ الحسن تعالُوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية
وكما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعالى
فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالِي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي
والوجه فتح اللام فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا
الا احسانا وتوفيقا كيف تكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون
امرا ولا يوردونه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك
حين يصابون يعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين
الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون
عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه
وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين
خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة
عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغا في وعظهم بالتخويف والانذار فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم قلت
بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا
وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل و
النفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم
الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف ويتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم
الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا
انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشر

من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي
الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث
اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول
فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت
جاؤك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك
من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله واستغفرت لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اي لتاب عليهم
ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما
لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فلا وربك معناه فوربك كقوله
فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب
القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يأبى ذلك استواء النفي والاثبات فيه و
ذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط و
منه الشجر لتداخل اغصانه حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق من
امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك سلم
لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة
تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق و
اليهودي وقيل في شأن الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان
كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر
واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله
صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال
الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه
رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة
منه فقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس
اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود

وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن من أمتي رجالا الإيمان أثبت في
قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم
يفعل بنا ذلك وقيل نزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن هؤلاء ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم
أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا
لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ولو أنا كتبنا
عليهم أن اقتلوا أنفسكم أي لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم
حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه إلا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه
وقرئ إلا قليلا بالنصب على أصل الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا ما يوعظون به من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم
وآجلهم وأشد تثبيتا لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه وإذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون
لهم أيضا بعد التثبيت فقيل وإذا لو تثبتوا لآتيناهم لأن إذا جواب وجزاء من لدنا أجرا عظيما كقوله ويؤت
من لدنه أجرا عظيما في أن المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجرا لأنه تابع للعمل إيجابا لا
تشبيها به ولهديناهم ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل
من الله وكفى بالله عليما الصديقون أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كأبي بكر الصديق
رضي الله عنه وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة أقرب
عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده وحسن أولئك رفيقا فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك
رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه
وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز أن يكون مفردا
بين به الجنس في باب التمييز وروي أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن
أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكي ذلك
عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والفضل
الله خبره والمعنى أن ما أعطي المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم تبعا

لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من أطاعه أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه
وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات
أو انفروا جميعا وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن
معهم شهيدا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للأعداء والحذر والحذر بمعنى كالإثر والأثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف
كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من
أنفسكم فانفروا إذا نفرتم إلى العدو ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية أو انفروا جميعا أي مجتمعين كوكبة
واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء اللام في لمن للابتداء ودخلت في
قوله إن الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه
صلة من والضمير الراجع منها إليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين
منهم والمنافقين لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى أبطأ
كعتم بمعنى أعتم إذا أبطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال أبطأ علي فلان وأبطأ علي وبطؤ نحو ثقل وتثاقل
وأبطأ بك فيعدى بالباء ويجوز أن يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو
وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبي وهو الذي ثبط الناس يوم أحد فإن أصابتكم مصيبة من قتل أو هزيمة
ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز
فوزا عظيما فضل من الله من فتح أو غنيمة ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من لأن قوله
لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله
وهو يا ليتني والمعنى كأنه لم يتقدم له معكم موادة لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر
وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر أنه تهكم لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدهم حسدا
لهم فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فأفوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم
الكون معهم والفوز في معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فأنا أفوز في ذلك
الوقت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو
يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما يشرون يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني
من بعد برد كنت هامه فالذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق
ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون
الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى إن صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل
الثابتون المخلصون ووعد الله المقاتل في سبيل الله ظافرا أو مغلوبا بإيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله
وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا

أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا والمستضعفين
فيه وجهان أن يكون مجرورا عطفا على سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله
خلاص المستضعفين لأن سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه
والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى
الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقي بعضهم إلى الفتح حتى
جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولي ونصرهم أقوى النصر ولما خرج
استعمل عتاب بن أسيد على مكة فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى
كانوا أعز بها من الظلمة فإن قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين
إرغاما لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا
لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة بإخراجهم في الاستسقاء وعن ابن
عباس كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الأحرار والحرائر وبالولدان
العبيد والإماء لأن العبد والأمة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على
الإناث كما يقال الآباء والإخوة فإن قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية إلا أنه مسند
إلى أهلها فأعطي إعراب القرية لأنه صفتها وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها
ولو أنث فقيل الظالمة أهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لأن الأهل يذكر ويؤنث فإن قلت هل يجوز من هذه القرية
الظالمين أهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا أهلها على لغة من يقول أكلوني البراغيث ومنه وأسروا النجوى الذين ظلموا
الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان
إن كيد الشيطان كان ضعيفا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا بإخبارهم أنهم إنما يقاتلون
في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم إلا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين
إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة و
آتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب كفوا أيديكم أي أمسكوها عن القتال وذلك
أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال
بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الإخطار بالأرواح وخوفا من الموت كخشية الله
من إضافة المصدر إلى المفعول فإن قلت ما محل كخشية الله من الإعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون
أي يخشون الناس مثل أهل خشية الله أي مشبهين لأهل خشية الله أو أشد خشية بمعنى أو أشد خشية من أهل
خشية الله وأشد معطوف على الحال فإن قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون

خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت أبى ذلك قوله أو أشد خشية لأنه وما عطف عليه في حكم واحد ولو
قلت يخشون الناس أشد خشية لم يكن إلا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لأنك لا تقول خشي فلان
أشد خشية فتنصب خشية وأنت تريد المصدر لأنك لا تقول خشي لأن أشد خشية إنما تقول أشد خشية فتجرها
وإذا نصبتها لم يكن أشد خشية إلا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم إلا أن تجعل الخشية خاشية وذات خشية
على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله
ويجوز على هذا أن يكون محل أشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها
لولا أخرتنا إلى أجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق
قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون أدنى شيء من
أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في
بروج مشيدة وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل
من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع أينما تكونوا وهو أينما كنتم كما حمل ولا ناعب
على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي
سيبويهي ويجوز أن يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا أي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حروب
أو غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه أينما تكونوا والبروج الحصون
مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة
بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وإنما الشاعر فارضها وإن تصبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى و
بلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال إن الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وإن تصبهم نعمة من
خصب ورخاء نسبوها إلى الله وإن تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا هي من عندك وما كانت إلا
بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن
معك وروي عن اليهود لعنت أنها تشاءمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها
وغلت أسعارها فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون
يفقهون حديثا فيعلمون أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ما أصابك من حسنة
فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ثم قال ما
أصابك يا إنسان خطابا عاما من حسنة أي من نعمة وإحسان فمن الله تفضلا منه وإحسانا وامتنانا وامتحانا
وما أصابك من سيئة أي من بلية ومصيبة فمن عندك لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما أصابكم من

مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة
يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس
جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس وقوله قل يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع
الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يأمر
الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته بامتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه فكانت طاعته
بامتثال ما طاعة لله وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا
تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا
كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا
عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون طاعة فاذا
برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله و
كفى بالله وكيلا ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعنا
طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ويجوز قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال
له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشأني حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان
على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول
خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم اظهروا الرد لا القبول والعصيان
لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرونه والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل
يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته
في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم فلا
يحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شأنهم فان الله
يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل
لان تأنيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا تدبر الامر تأمله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه
ثم استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه لو يجد فيه اختلافا كثيرا لكان اكثره
مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن
معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى
صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغا

وتناصر

وتناصر صحة معانيه وصدق اخباره علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد
سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان وفوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ لا يسأل عن
ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت ليس اختلافا عند المتدبر واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ثم ناس من ضعفة
المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله
عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله و
الى اولي الامر منهم كبراء الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به
الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون
من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار
فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه
اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون
من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين
يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي
الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال اذاع به في الناس حتى كانه
بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه بسكون
اللام كقوله فان اهجه يضجر كما ضجر بازل من الادم دبرت صفحتاه وغاربه والنبط الماء يخرج من البئر اول
ما تحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدا
بير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو
ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا فقاتل
في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا
واشد تنكيلا لما ذكر في الاي قبلها تثبطهم عن القتال الحقها ثم الطاعة واستمالهم خلالهما قال فقاتل في
سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك
لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج و
كان ابو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما
معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون
على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك وحرض المؤمنين وما عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف

عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب منه والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب * وذي ضغن كففت النفس عنه * وكنت على اساءته مقيتا * وقال السموأل * الي الفضل ام علي اذا حوسبت * اني على الحساب مقيت * واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا الاحسن منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها او اجيبوها بمثله ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله عليه من قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تيمم لرد السلام وقالوا يسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم فانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبدأ اليهودي بالسلام فاذا بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه

وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت اليه حاجة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة رحمه الله عليه لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا لا اله الا هو خبر المبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقبح صارف عن الاقدام عليه من قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا او اخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى عنده من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل للكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما وروي ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شأن قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالكفار واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال لحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقيل ركسهم وركسوا فيها ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم

وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فتكونون عطف على تكفرون ولم ينصب على جواب التمني لجواز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا توالوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة لمن عهدها بدأ ومآلا فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين فاقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو من انسابهم والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم فيهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون او بدلا او استينافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم و حاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير كافين فذلك معنى التسليط وقيل معناه التقوية والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم **ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا**

الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ستجدون آخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم **وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا** وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود فيها ان يقتل مؤمنا ابتداء من غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطأ فان قلت بم انتصب خطأ قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطأ وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ والمعنى ان من شأن المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحرث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحرث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه مكرها ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحرث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارثا

من بيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له
وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما
الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمرني ان أورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية
غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك
خلاف قول الجماعة فان قلت على من يجب الرقبة والدية قلت على القاتل الا ان الرقبة والدية تحملها عنه
العاقلة فان لم يكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن فهي في ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية
ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف
صدقة وقرأ أبي الا ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق ان يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل
وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم
اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة
فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما من قوم عدو لكم من قوم
كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ
وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين
فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل
الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام
شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه
او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه
ولعنه واعد له عذابا عظيما هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ
ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا
لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك
دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك
في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة
مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرأون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث
العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم
مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله

سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع وأي حسم
ولكن لا حياة لمن تنادي فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل فيها وهو
تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم
غير التائب فليأت بدليل مثله يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم
لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله
عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا
بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل السلام الذي هو
تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك
اسلم لم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي
مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال
لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله
الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون
عرض الحياة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث
عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له
لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم
واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان
والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في
المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد
حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل
وكونوا محترزين محتاطين في ذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله
باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا
رحيما غير اولي الضرر وقرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر
صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه
فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله

وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلكم قال العلماء بتقديرات لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد الحقها الله ومدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل لهم ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على الحال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا توفاهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا

كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب

وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل رفع الكاف منقول عن الهاء كانه اراد ان
يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله من عنزي سبني لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله
والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط اذا
وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي
في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه
لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا
كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا
او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله واذا
ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا الضرب في الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي
حنيفة مسيرة ثلثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو
سار مسيرة ثلثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلثة ايام لم يقصر وعند الشافعي رحمه الله
ادنى مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر
والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي رحمه الله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في
السفر وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت
مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان
عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر
رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت
الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح
ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب
انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرئ
تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى
كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة
منهم معك وليأخذوا اسلحتهم واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف عليه ان
يؤمهم كما امهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم
معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان
للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام
فيه فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة ان يصلي
الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء العدو و
تاتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف بازاء العدو وتاتي الاخرى فتصلي بها ركعة وتتم صلوتها ثم تقف
بازاء العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة
وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلوة لان الامام يصلي عنده بطائفة ركعة
وتقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم
بعضده ولتات طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتات طائفة اخرى
لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم و
امتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم
مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وقرئ امتعاتكم
فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي
فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا ماخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان
مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة
ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر
لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فان قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا قلت
الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذله
وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال
فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا
اطمأننتم حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق
والانزعاج ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا باوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كنتم
خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي في ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في

المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها الى ان يطمئن و
قيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة
احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ اليه فاذا ا
طمأننتم فاذا اقمتم فاقيموا الصلوة فاتموها ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في
ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون اي ليس ما تكابدون
من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه و
يتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم
على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الأعرج ان تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا
تألمون وقوله فانهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فانهم تيلمون كما تيلمون وروي ان هذا في بدر الصغرى كان بهم
جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم بانه مما يصلحكم انا
انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر
الله ان الله كان غفورا رحيما روي ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان
في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة
فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال
دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان
يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل و
ان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق
اهله فسقط الحائط عليه فقتله بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن احدكم قضيت
بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا
لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني
لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي ولا تجادل عن الذين يختانون
انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله انكم
كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم
فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا
له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن
قط ولا تجادل عنه فان قلت لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب

المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشكك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر
رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان
الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون
ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم
ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه
الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا
سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون
بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف انه بريء فان قلت كيف سمي
التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول
الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوريكه الذنب على اليهودي ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في
الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ها انتم هؤلاء ها للتنبيه
في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء انت حاتم تجود
بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن
طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه اي عن طعمة وكيلا
حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
رحيما ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف
الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة
لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما فانما يكسبه على
نفسه وكان الله عليما حكيما فانما يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء ومن يكسب
خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا خطيئة صغيرة او اثما كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى
طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل
رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة و
علمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ولولا فضل الله عليك ورحمته اي عصمته والطافه وما اوحى
اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم
بان الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما
يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم

من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في
يهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما لا خير في كثير من نجواهم من متناجي
الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز
ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف
وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى
الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا
يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول والعصر
ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب اليه
وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر
الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك
فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن
سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم
وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وجل جمع بين اتباع
سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول
نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله
بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان الله لا يغفر لمشرك بتكرير للتاكيد وقيل كرر لقصة
طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب
الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة على الله ولا مكابرة
له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا
الحديث يشهد لقول من فسر من يشاء بالتائبين دونهم ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا
مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة وعن الحسن
لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله
وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ أنثا جمع انيث او اناث مثل ثمار وثمر واثنا بالتخفيف والتثقيل
جمع وثن كقولك اسد واسد واسد وقلبت الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها اوثانا

وان

وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا لانه الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم
له عبادة لعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا
مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعمائة
وتسعين الى النار ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق
الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم
الشيطان الا غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ولامنينهم الاماني الباطلة من طول
الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك فليبتكن
آذان يشقونها بالبحيرة كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم
الانتفاع بها وتغيير خلق الله فقء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح
في البهائم واما في بني آدم فمحظور وعند ابي حنيفة رحمه الله يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة
فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة
هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله
وقيل التخنث والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن
اصدق من الله قيلا تأكيد ثالث بليغ فان قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان
الكاذبة وامانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تحقق
وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص خلاف مواعيد الشيطان ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب
من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى
وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا في انه يتحقق وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب
بامانيكم ولا باماني اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وذلك كما اهل الكتاب معهم
شاركهم في الايمان بوعد الله عن مسروق والسدي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر
في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله
وكذبوا لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل
نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزل
ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا
وولدا انما لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة
ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات

فقد ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا ابطل الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل
وان من اصلح عمله فهو الفائز ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال
على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت
الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من عمل كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في
تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة في بعض الاحوال والثانية
لتبيين الابهام في ومن يعمل فان قلت كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان ذكره عند احد الفريقين ذكر
عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين معلوم
انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب
فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل ومن احسن دينا
ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا اسلم وجهه لله اخلص
نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا
حال من المتبع او من ابرهيم كقوله بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها
الى دين الاسلام واتخذ الله ابرهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله
والخليل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او
يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية
لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من
الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن
لها معنى وقيل ان ابرهيم عليه السلم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان
ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من
الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت
واستنبه ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذه فقالت امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي
الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ولله ما في السموات
وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ما في السموات والارض فطاعته واجبة
عليهم وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو
اصلح لها ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء

اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى
بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في
معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم
مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة
في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها
ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على
القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان
يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في
الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين
الآخرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة
وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة ايامى ياء لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله لهن اي ما فرض لهن
من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت
دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك
وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا
في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء
كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين
وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا
لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما
ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون
خبيرا خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وامارته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه
ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها
ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى
اخرى او غير ذلك فلا بأس بهما في ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر
في اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة
او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة
من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امرأة اراد زوجها ان يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت

لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال لئن كان هذا يصلح لي فهو احب الي فاقرها او يهب له
بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها والصلح خير من الفرقة او من
النشوز والاعراض وسوء العشرة او من الخصومة في كل شيء او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من
الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا
لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمها وبغير قسمها
والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم
وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي
الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيجازيكم عليه وكان عمران بن
حطان الخارجي من ادم بني آدم وامرأته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك
حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله
الجنة عباده الشاكرين والصابرين **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل**
فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما ولن تستطيعوا ومحال ان
تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم
تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا
يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك
يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا
يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة
والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن
فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل الى المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير
رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل
كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست ذات بعل ولا مطلقة قال اهل هي لا ايمة او
تطلق او تمسك او يعني ذلك تعليق وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان
يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عائشة الى كل ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمر مثل
هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان

فاذا كان عند احديهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى
من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم **وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله**
واسعا حكيما وقرئ وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه
وعيشا اهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر **ولله ما في السموات وما في الارض**
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا من قبلكم متعلق
بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ان اتقوا بان اتقوا
او يكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا فان لله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم واياكم
امركم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف
النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين
لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته
وارضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم
جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير
لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله **ان يشأ يذهبكم**
ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا ان يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم
ويأت بآخرين ويوجد اناسا آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد
قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان
يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت باخرين يوالونه ويروى انها لما
نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس **من كان**
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد
بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه اخسهما لان
من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب
الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط **يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء**
لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان
تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل
حتى لا تجوروا شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على

على انفسكم او آبائكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا
او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها
ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او آبائكم او اقاربكم وذلك ان يشهد على من
يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا
لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا
ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان
حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل
عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل
فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وهو شاهد على ذلك
وقرأ عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى
كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا
ان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان
تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازاتكم
عليه يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا يا ايها الذين
آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوا والكتاب الذي انزل من قبل المراد به
جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل
على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن
سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين
بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير
ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب
كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا
فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل قلت كانوا مؤمنين
بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح
ايمانا به لان طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به
لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز
وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا

فان قلت

فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله
ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر
بالايمان به جميعا ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي
للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي يعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص
الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازديادا للكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما
يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا ديدنهم قلوب
قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى
وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث
هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا نرى الفاسق
الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة وقيل هم
اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر
المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون
عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ
بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا والذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمالئون الكفرة ويوالونهم ويقول
بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد لاوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود
وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم
اي نزل عليكم ان الشأن كذا والشأن ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل
او في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين
يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في
مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون
نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن
من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثلهم اي في الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين
والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى ما دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها
كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فان قلت لم يكونوا مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض
قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا

يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون عليهم وهؤلاء لم ينكروا ما هم عليه
فكان ترك الانكار لرضاهم الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم و
ان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم
يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا الذين يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما
صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين
فاسهموا لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المسلمين بان
ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبنا مما اصبتم
وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء فان قلت
لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين
امر عظيم تفتح لهم ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا
يذكرون الله الا قليلا يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم
وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل
من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته
فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم
يطفا نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان
كسكارى في سكران اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة
يراؤن الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا
يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة
من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وكم ترى
من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة و
لكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراآة وهي مفاعلة
من الرؤية قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى
التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق وروى ابو زيد رايت
المرأة المرآة الرجل اذا امسكتها لتريه وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرؤنهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم
اي يبصرونهم اعمالهم ويراءونهم كذلك مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا مذبذبين اما حال من قوله ولا يذكرون عن واو يراءون اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او

نصيبا

نصب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون و
حقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان
الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال
بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رأيهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله
متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا ماضين
على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء منسوبين الى هؤلاء
فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء فيسمون مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين
في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا مبينا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق
وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن
وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا و
اصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
الدرك الاسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت
لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله وبدل ان تابوا من النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم
في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه
فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم
فيه ويساهمونهم فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب
ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه
فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقيل لحذيفة
رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام
فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد
عمم وقلد واعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا
عليما ما يفعل الله بعذابكم اتتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما يفعل
الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر
نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم
وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه

لنافع فيشكر شكراً ابهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكراً متصلاً فكان الشكر متقدماً
على الايمان وكأنه اصل التكليف ومداره لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا
عَلِيمًا إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا الا من ظلم الا جهر من ظلم استثنى
من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة
فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوماً فلم يطعموه فاصبح شاكياً فعوتب على الشكاية فنزلت
وقرئ الا من ظَلَم على البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من
ظلم مرفوعاً كأنه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو
ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان
على وجه الانتصار بعدما اطلق الجهر به وجعله محبوباً حثاً على الاحب والافضل عنده والادخل في الكرم
والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تسبيباً للعفو ثم عطفه عليهما اعتداداً به وتنبيهاً على منزلته
وان له مكاناً في باب الخير وسيطاً والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله
كان عفواً قديراً اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا جعل الذين آمنوا
بالله ويكفرون برسله او آمنوا بالله وبعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله وبرسله جميعاً لما ذكرنا من العلة ومعنى
اتخاذهم بين ذلك سبيلاً ان يتخذوا ديناً وسطاً بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ
بين ذلك سبيلاً اي طريقاً وسطاً في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان
ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقاً اي هم الكاملون في الكفر وحقاً تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله
حقاً اي حق ذلك حقاً وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفراً حقاً
ثابتاً يقيناً لا شك فيه وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعداً قلت ان احداً عام
في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت احداً فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني فلان والا
بنات فلان والمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء سوف يؤتيهم
اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخراً يَسْأَلُكَ
أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ
جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَ
آتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه

وسلم ان كنت نبياً صادقاً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتاباً الى فلان وكتاباً الى فلان
بانك رسول الله وقيل كتاباً نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي
يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه
منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وانما وجد من آبائهم في ايام موسى وهم النقباء
السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عياناً بمعنى ارنا
نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امراً جائزاً لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سأل
ابراهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالماً ولا رماه بالصاعقة فتباً للمشبهة ورمياً
بالصواعق وآتينا موسى سلطاناً مبيناً تسلطاً واستيلاء ظاهراً عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى تابوا
عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ
بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا
بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجداً ولا تعدوا في السبت
وقد اخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد
ولا تعدوا بادغام التاء في الدال فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ
قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ
عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ
وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ
يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فان قلت
بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت اما ان يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا
واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم واما التوكيد
فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء
وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير
فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع
الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقاً به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله
خلق قلوبنا غلفاً اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم وكمذهب المجبرة اخوانهم فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع
عليها لا ان تخلق غلفاً غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه
ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاماً تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد

ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم **فإن قلت** ما معنى المجيء بالكفر معطوفاً على ما فيه ذكره سواء عطف
على ما قبل حرف الإضراب أو على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم **قلت** قد تكرر منهم الكفر
لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف
على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف
وبجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم
وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية **فإن قلت** كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين
لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله
قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ويجوز أن يضع الله الذكر
الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعاً لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه وتعظيماً لما أرادوا بمثله
كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهداً وروي أن رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمه
فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير
فأجمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن
يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان
رجل ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى وألقي شبهه على المنافق
فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم إنه إله لا يصح قتله وقال بعضهم إنه قد قتل
وصلب وقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان صاحبنا فأين عيسى وقال بعضهم رفع إلى السماء
وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا **فإن قلت** شبه مسند إلى ماذا إن جعلته مسنداً إلى المسيح
فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر **قلت** هو مسند إلى الجار والمجرور وهو
لهم كقولك خيل إليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول لأن قوله إنا قتلنا يدل عليه
كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه إلا اتباع الظن استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم
يتبعون الظن **فإن قلت** قد وصفوا بالشك والشك أن لا يترجح أحد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح
أحدهما فكيف يكونون شاكين ظانين **قلت** أريد أنهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن إن لاحت لهم أمارة
فظنوا فذاك وما قتلوه يقيناً وما قتلوه قتلاً يقيناً أو ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم إنا قتلنا
المسيح أو يجعل يقيناً تأكيداً لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقاً أي حق انتفاء قتله حقاً وقيل هو من قولهم
قتلت الشيء علماً ونحرته علماً إذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لأنه إذا نفى عنهم العلم نفياً كلياً بحرف الاستغراق ثم قيل
وما علموه علم يقين وإحاطة لم يكن إلا تهكماً بهم **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون
عليهم شهيداً** ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن

به ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم وإن منكم إلا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن
قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله يعني إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت
التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال إني أوتى
بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت
الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبياً فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبي وتقول للنصراني
أتاك عيسى نبياً فزعمت أنه الله أو ابن الله فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان متكئاً فا
ستوى جالساً فنظر إلي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها
من عين صافية أو من معدنها قال الكلبي فقلت له ما أردت إلى أن تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال أردت
أن أغيظه يعني بزيادة اسم علي لأنه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة فإن
أتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله
سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة أبي إلا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على
معنى وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم لأن أحداً يصلح للجمع **فإن قلت** ما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم
قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بأنهم لا بد لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة وأن ذلك لا ينفعهم بعثاً
لهم وتنبيهاً على معاجلة الإيمان به في أوان الانتفاع به وليكون إلزاماً للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة
يكون عليهم شهيداً يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى
وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي أنه ينزل من السماء
في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك الله في زمانه
المسيح الدجال وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
بالحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز أن يراد أنه لا يبقى أحد
من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به على أن الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما أنزل له
ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم وقيل الضمير في به يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم **فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا
وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً** فبظلم من الذين هادوا
فبأي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة
والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الألبان و
كلما أذنبوا ذنباً صغيراً أو كبيراً حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ناساً
كثيراً أو صداً كثيراً بالباطل بالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب **لكن الراسخون في**

العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون
بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام و
أضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم أو المؤمنون من
المهاجرين والأنصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة
وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف وربما
التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه
أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن
عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقاً يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما أنزل إليك
أي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الأنبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن
دينار والجحدري وعيسى الثقفي إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا
إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان و
آتينا داود زبوراً إنا أوحينا إليك جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً
من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا وقرئ زبوراً بضم الزاي جمع زبر
وهو الكتاب ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً
ورسلاً نصب بمضمر في معنى أوحينا إليك وهو أرسلنا ونبأنا وما أشبه ذلك أو بما فسره قصصناهم وفي قراءة أبي و
رسلٌ قد قصصناهم عليك من قبل وقد سلم عن إبراهيم ويحيى بن وثاب أنهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير
أنه من الكلم وأن معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً رسلاً مبشرين ومنذرين الأوجه أن ينتصب على المدح
ويجوز انتصابه على التكرير فإن قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة
التي النظر فيها موصل إلى المعرفة والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة ولا عرف أنهم
رسل الله إلا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد
مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميماً
لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولاً فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له لكن
الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً قرأ السلمي لكنّ الله يشهد بالتشديد
فإن قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء
وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله إنا أوحينا إليك قال لكن الله يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون ولكن الله يشهد وقيل لما نزل
إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار

المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بأنه حق وصدق فإن قلت بم يجابون لو قالوا بم
يعلم أن الملائكة يشهدون بذلك قلت يجابون بأنه علم بشهادة الله لأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته
لأن شهادتهم تبع لشهادته فإن قلت ما معنى قوله أنزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه أنزله ملتبساً
بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة
المفسرة لأنه بيان للشهادة وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة وقيل أنزله بما علم من مصالح
العباد مشتملاً عليه ويحتمل أنه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشيطان برصد من الملائكة والملائكة يشهدون
بذلك كما قال في آخر سورة الجن الآية التي في قوله وأحاط بما لديهم والإحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيداً وإن لم يشهد
غيره لأن التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقاً قل أي شيء أكبر شهادة قل الله إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
قد ضلوا ضلالاً بعيداً إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق
جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً إن الذين كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي أو كان
بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة ولا ليهديهم طريقاً
لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم أو لا يهديهم يوم القيامة إلا طريقها يسيراً أي لا صارف له عنه
يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وكذلك انتهوا خيراً لكم
انتصابه بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيراً لكم أي اقصدوا
وأتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الإيمان والتوحيد وإن تكفروا فإن لله ما في السموات و
الأرض وكان الله عليماً حكيماً يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن
مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا
خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً
لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولوداً لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن
مقداره حيث جعلوه إلهاً ولا تقولوا على الله إلا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرأ جعفر بن محمد إنما المسيح
بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح
الله وروح منه لذلك لأنه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحي وإنما اخترع
اختراعاً من عند الله وقدرته خالصة ومعنى ألقاها إلى مريم أوصلها إليها وحصلها فيها ثلثة خبر مبتدأ محذوف
فإن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس
الحياة فتقديره الله ثلثة وإلا فتقديره الآلهة ثلثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح و
مريم ثلثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب

والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله
بالله عز وجل من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء
وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله اوفق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد سبحه من ان يكون
له ولد وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات
وما في الارض بيان لتنزيهه عما نسب اليه بمعنى ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء
انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو
الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم و
يزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله
وليا ولا نصيرا لن يستنكف لن يانف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة
المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل و
من في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني
لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية
فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون
من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم
منزلة ومثاله قول القائل • وما مثله ممن يجاري حاتم • ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره • لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي
الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى يعترف بالفرق البين بينهما وقد علي رضي الله عنه عبدا اسود على الصغير ويروى ان وفد نجران قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله
قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع
استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو
اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة
كقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان
المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت
الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة
او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على
الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال فسيحشرهم بمعنى الشيئين وكثيرها وبالنون فان قلت التفصيل

طابق

طابق للتفصيل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم
يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل
عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله و
اعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا ايها الناس قد
جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين
الحق او رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز فاما الذين آمنوا و
اعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما وهو طريق في رحمة منه وفضل
في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو
يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء
فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم روي انه آخر ما نزل من
الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا
فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع
في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على
الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن
يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وام دون التي لام لان الله فرض لها
النصف وجعل اخاها عصبة وقال فللذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها
وبين اخيها وهو يرثها والاخ يرث الاخت جميع مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان
الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي
الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض
باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة
ويجوز ان يدل حكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند
انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان
ذكر انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على الآخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع
في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالا
خوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك لما اضمر من لكان تانيث الخبر كذلك

وجمع ضمير من ترث في كانتا وكانوا لكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا الحكم الذي
ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانما تصدق
على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين
يتجاوز عنهم ه سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم
حرم ان الله يحكم ما يريد يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه الموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد
الحبل ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي
عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ونحوها العقود على
ويتحرزون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم
مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت وما بعده البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام
للبيان نحو الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم
من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة
الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم
الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه
الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد
كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا يحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد
من الاحكام ويعلم الحكمة والمصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا
الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا الشعائر
جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي
هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام الحج والهدي ما اهدي
الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة
وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيرها وآمين المسجد الحرام قاصديه وهم الحجاج والعمار
واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما
يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيه وجهان
احدها ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص مزيد التوصية بها
لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد
الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي مبالغة الهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان يحلوها

كما قال ولا يبدين زينتهن نهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين البيت ولا تحلوا قوما قاصدين
المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا ان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما
لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس وابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة
وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا
احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد
والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا
يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام
على الاضافة وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم
شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل
واذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال
حل المحرم واحل واحرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو
كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل التعدية بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة
عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم
بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم
بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على انه شرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم
ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء
الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول العفو والانتصار
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم
يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم و
اتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا كان اهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة
التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي رفع
الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت والتي تردت
من جبل او في بئر فماتت والتي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته

وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن أبي عمرو والسبْع بسكون الباء
وقرأ ابن عباس وأكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون
اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به إليها تسمى الأنصاب والنصب واحد قال الأعشى وذا النصب المنصوب لا تنسكنه
لعاقبة والله ربك فاعبدا وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصْب بسكون الصاد وأن تستقسموا بالأزلام وحرم عليكم
الاستقسام بالقداح كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً أو أمراً من معاظم الأمور ضرب
بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها أمرني ربي وبعضها غفل فإن خرج الآمر مضى لطيته وإن
خرج الناهي أمسك وإن خرج الغفل أجالها عوداً فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لا
يقسم له بالأزلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة ذلكم فسق إشارة إلى الاستقسام
أو إلى تناول ما حرم عليهم لأن المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فإن قلت لم كان استقسام المسافر و
غيره بالأزلام لتعرف الحال فسقاً قلت لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم
من في السموات والأرض الغيب إلا الله واعتقاد أن إليه طريقاً وإلى استنباطه وقوله أمرني ربي ونهاني
ربي افتراء على الله وما يدريه أنه أمره أو نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وإن كان أراد بالرب الصنم فقد
روي أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم فأمره ظاهر اليوم لم يرد به يوماً بعينه وإنما أراد الزمان الحاضر وما
يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالأمس شاباً وأنت اليوم أشيب فلا تريد بالأمس
اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم
وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم
يئسوا منه أن يبطلوه وأن ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعدما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم أن يغلبوه
لأن الله عز وجل وفى بوعده من إظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار
وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعدما كانوا غالبين واخشوني وأخلصوا لي الخشية أكملت لكم دينكم كفيتكم أمر
عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد إذا كفوا من ينازعهم الملك
ووصلوا إلى أغراضهم ومباغيهم أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف
على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد وأتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار
الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان أو أتممت نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين
والشرائع كأنه قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت لكم نعمتي بذلك لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام ورضيت لكم
الإسلام ديناً يعني اخترته لكم من بين الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الإسلام ديناً
فلن يقبل منه فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم فإن قلت
بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لأن

تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه
فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لإثم غير منحرف إليه كقوله غير باغ ولا عاد فإن الله
غفور لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما
علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب في
السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا أحل لهم وإنما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوه لأن يسألونك بلفظ
الغيبة كما تقول أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لأفعلن وأحل لنا لكان صواباً وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أي شيء
أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها
فقيل أحل لكم الطيبات أي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب الله أو سنة أو قياس مجتهد وما
علمتم من الجوارح عطف على الطيبات أي أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو تجعل ما شرطية وجوابها
فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين
والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف
واشتقاقه من الكلب لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه أو لأن السبع
يسمى كلباً ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله الأسد أو من الكلب الذي هو بمعنى
الضراوة يقال هو كلب بكذا إذا كان ضارياً به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فإن قلت ما فائدة هذه
الحال وقد استغني عنها بعلمتم قلت فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح نحريراً في علمه مدرباً فيه موصوفاً
بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية أو استئناف وفيه فائدة جليلة وهي أن على كل آخذ علماً أن لا يأخذه إلا من أقتل
أهله علماً وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل فكم من آخذ
أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله مما علمكم الله من علم التكليب لأنه إلهام من الله ومكتسب بالعقل أو مما
عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وأن لا
يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وأفعل وفعّل يشتركان كثيراً والإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه لقوله صلى
الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه إذا أكل البازي فلا
تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدب بالضرب ولم يشترطوا في سباع الطير
ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلاً ولم يفرق بين السباع والطير وعن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة
رضي الله عنهم إذا أكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله
واذكروا اسم الله عليه قلت إما أن يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته أو إلى ما علمتم
من الجوارح أي سموا عليه عند إرساله اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم و
طعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن

اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو
في الآخرة من الخاسرين طعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى
وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ
الشافعي رضي الله عنه وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه
اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤون
الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب في اخذ الجزية
منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر
الله ويذبح فلا باس وقال ابو ثور وان امره بذلك في الصحة فلا باس وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان
تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم والمحصنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن
بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن
واما الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة هن كالمسلمات خلافا للشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات
ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد
اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء ولا متخذي اخدان صدائق والخدن يقع على الذكر و
الانثى ومن يكفر بالايمان بشرائع الاسلام وما احل الله وحرم يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا
فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم
تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من
حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون اذا قمتم الى الصلوة كقوله
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز
ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهي قصده اليه وميله
وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم ان الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا
يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الا
عادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب
للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ
الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه
الى شيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء
على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين

واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب صح

خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤون لكل صلوة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان يتوضأ لكل
صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه
فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب
ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة الواحدة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء
لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل
فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت
الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال
ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه
قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله
الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل و
اخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا
برؤسكم والمراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق المسح براسه فاخذ
مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه
اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان رسول الله وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الراس فالجماعة
وارجلكم بالنصب يدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت الارجل
من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على
الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن
ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية من قريش فرأى
في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية
جابر ويل للعراقيب وعن عمر انه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه
وعن عائشة رضي الله عنها لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت
احدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح
وعن الحسن انه جمع بين الامرين وعن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى
وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله
فاموا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب

الموزون بحسب اللفظ الموزون عند الانسان

اصحابه

اذا عزمتم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم
واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم
بذات الصدور واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو
الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر
والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان يا ايها الذين آمنوا
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى
واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون عدى يجرمنكم بعلى لاستعماله متضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا
يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا فحذف مع ان مع قوله صلى الله عليه وسلم ادّ من
ائتمنك على تلك ملتقيع لانه بمعنى اجل وقرئ شنآن بسكون النون ونظيره في المصادر لئان والمعنى لا يحملنكم بغضكم المشركين
على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم
من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او نحو ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم اولا
ان يحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استانف فذكر لهم
وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه
لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة
من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم لهم مغفرة واجر
عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم
او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول او يجعل
وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا
وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقونه
عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى
الثواب يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف
ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون روي ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه قاموا الى صلوة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم
فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا
لها فنزل جبرئيل بصلوة الخوف وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي
رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم

اجلس

اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه
فامسك الله يده ونزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني فقال الله قالها
ثلاثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه
وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى
الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ولقد اخذ الله ميثاق بني
اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم
برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات
تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد
هلاك فرعون امرهم الله بالسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم
دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه
بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا
من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد
نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا وابن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء
والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها اني معكم اي ناصركم وعزرتموهم
نصرتموهم وقويتموهم بمنعكم اياهم من العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال
عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتوقير بمعنى واحد منه لانه نصرتك نصرا مؤزرا اي قويا و
قرضا حسنا ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويامرونهم
بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له وهذا الجواب ساد
مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم فان قلت من كفر قبل ذلك
ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة
المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية
يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا
قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم
وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او املينا لهم ولم نعاجلهم
بالعقوبة حتى قست وقرا عبد الله قسية اي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب
والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على

على النبي عليه الصلاة والسلام وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من
الافتراء على الله تعالى وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا مليا مما ذكروا به من التورية او من
ذكر محمد او عاشتهم عن التورية اعتقادا لحظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التورية وزلت اشياء منها عن
حفظهم عن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيبا اوفى مما
امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا تزال تطلع اي هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها
اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك
بك على خائنة على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل
راوية للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع وقرئ على خيانة منهم الا
قليلا منهم وهم الذين آمنوا منهم فاعف عنهم بعث على محو العتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن
مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا
به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
اخذنا ميثاقهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل و
بافعال الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم انما سموا
انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية
وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه
الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يا اهل الكتاب
خطاب اليهود والنصارى مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا
يخبر به اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة الا افتضاحكم وهتك ستركم مما لا بد من بيانه وكذلك
الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين يعني القران لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز يهدي
به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم
من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض
جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير هو قولهم ان الله هو المسيح
معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل لم يصرح به احد ولكن

منهم

مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته
ومشيته شيئا ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وفيه دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد ولذا
عطف من في الارض على المسيح وامه اشعارا بانهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر
وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى عليه السلام ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير
على يد عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغيرها فيجب ان ينسب اليه ولا يثبت الى البشر
المجري على يديه وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر
ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير ابناء الله
اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة
نحن انبياء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال المؤمن من آل فرعون لكم الملك اليوم فلم يعذبكم
بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودة
على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير صادر عنكم القبائح ولا مستحقين للعقاب ولو كنتم احباءه لما
عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله تعالى يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب من يشاء
وهم العصاة يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير يبين لكم ايا ما يعهد المبين وهو الدين و
الشرائع وحذفه لظهوره ما ورد الرسول لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون
المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اي يبين لكم على فترة متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من
ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم
وقيل كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل اربعمائة وبضع وستون سنة
وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلثة من بني
اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم بان الرسول بعث اليهم حين انطمست
آثار الوحي احوج ما كانوا اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة
فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين حيث جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث
في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك
تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له
مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم
ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها [illegible]

العظام وقيل اراه غالي بنيانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم
فتنقلبوا خاسرين الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض
الاردن وقيل سماها الله لابراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس
قرار الانبياء ومسكن المؤمنين كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا
على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا
ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم
امر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن
ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي
الذي يجبر الناس على ما يريد قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا
دخلتموه فانكم غالبون قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون من الذين يخافون الله ويخشونه
كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان تكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم
بنو اسرائيل وهم الجبابرة وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها
فلا تخافوهم وادخلوا عليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم
عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم
وعيد الله بالعقاب فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف
لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى
بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهداه من صنع الله
لموسى في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المؤيس وابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا
فيها بيان للابد فاذهب انت وربك يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني يريد
معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة
بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسالوا بها رؤية الله
جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابه بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون خرا لوجههما قدامهم لشدة ما ورد
عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا
اليهود والذين اشركوا لما عصوه ومرجوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق
يثق به الا هرون عليه السلام قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين

قال رب اني لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب
التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله و
عن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء
ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد واخي في اعرابه وجوه ان يكون منصوبا عطفا على نفسي او على الضمير في
اني بمعنى ولا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل انا لا املك
الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في
نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه الرجلان المذكوران
قلت كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال
قومه وتلونهم فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع
منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يواخيني على ديني فافرق فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق
وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب
او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين قال فانها محرمة عليهم اربعين
سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا
يملكونها فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط
ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا
مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي ان موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا
واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره بقتال
الجبابرة فصدقوه وتابعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبابرة واخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم
يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشات نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا
الجبابرة ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين
لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين
حتى اذا امسوا واصبحوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل
يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله
فان قلت فكيف كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم
وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتادب ويتثقف ولا يقطع
عنه معروفه واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام قلت اختلف في ذلك
فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان

ذلك دونها ايضا ومثلا نا لاعقوبة كالنار لابرهيم وملكه العذاب وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى
بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا
تأس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء فقيل انهم احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم واتل عليهم نبأ
ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل
الله من المتقين هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر
وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما تقبل تزوجها
فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني
اسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين والغرض
التعجيب من الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ويبغون عليه او اتل عليهم
وانت ناطق صادق واذ نصب بالنبأ اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي
اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة
كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي تقرب
يعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله
لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت من قبل
نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي
هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن
متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد
كنت وكنت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي
اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه
ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت وقال مجاهد وغيره اني اريد
ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين اي اريد ان تحتمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك
فان قلت كيف يحمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع
في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته يريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعجم ويحتمل قوله
صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه ومثل اثم
صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكاف دافع عن عرضه الا ترى الى
قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج عن حد المكافأة واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه
واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان قلت

هو مقدر فهو يتحمل بسبب الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي بقتلي
واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار قلت كان
ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده
العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجر من استحقاق العقاب فان قلت لم جاء
الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا يفعل ما
يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله
فاصبح من الخاسرين فطوعت له نفسه فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت
وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته
ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة
حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه
قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين بعث الله غرابا يبحث ويثير التراب
الملتبس قيل لما قتله لم يدر ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في
جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره
ودفنه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتا اعجزت وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه
فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك
وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ليريه
الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوأة اخيه عورة
اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال يا لقومي للسوأة السوأى
العظيمة فكنى بها عنها فاواري بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين
في موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه
للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل
نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا من اجل
ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله اجلا ومنه قوله واهل خباء صالح ذات بينهم
قد احتربوا في عاجل انا آجله كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من جنيت فعله واوجبته ويدل
عليه قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من اجل ذلك
القتل كتبنا وجرى كتبنا على بني اسرائيل ومن لابتداء الغاية اي ابتداء الكتب ونشأ من اجل ذلك ويقال فعلت
كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل ان الله قد فضلكم وقرئ من اجل ذلك

بحذف الهمزة وفتح النون لإلقاء حركتها عليها وقرأ أبو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فإذا خفف كسر النون
ملقيا الكسرة الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص أو فساد عطف على نفس بمعنى أو بغير فساد
في الأرض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن أحياها ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة من قتل أو غرق أو حرق أو
هدم أو غير ذلك فإن قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لأن كل إنسان يدلي بما يدلي به الآخر
من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فإذا قتل فقد أهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق إذن بين
الواحد والجميع في ذلك فإن قلت فما الفائدة في ذكر ذلك قلت تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز
الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصور قتلها بصورة
قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي أراد إحياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله
والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم أرأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطمع
أن يكون عملك يوازي ذلك فيغفر لك كلا إنه شيء سولته لك نفسك والشيطان فكذلك إذا قتلت واحدا ولقد جاءتهم
رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل
بالآيات لمسرفون مشركون في القتل لا يبالون بعظمته إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض
فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في
الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم محاربته
ويسعون في الأرض فسادا مفسدين أو لأن سعيهم في الأرض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون
في الأرض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز أن يكون مفعولا له أي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان
بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين
فأوحى إليه أن من جمع بين القتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أفرد القتل قتل ومن أفرد أخذ المال قطعت يده
لأخذ المال ورجله لإخافة السبيل ومن أفرد الإخافة نفي من الأرض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان
أو مسلما ومعناه أن يقتلوا من غير صلب إن أفردوا القتل أو يصلبوا مع القتل إن جمعوا بين القتل والأخذ قال
أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن حتى يموت أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إن أخذ المال
أو ينفوا من الأرض إن لم يزيدوا على الإخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي أن الإمام مخير بين هذه العقوبات
في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند أبي حنيفة وعند الشافعي النفي من بلد إلى بلد لا يزال يطلب
وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم إلى دهلك وهو بلد في أقصى تهامة وناصع وهو بلاد
الحبشة خزي ذل وفضيحة إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم
الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة وأما حكم القتل والجراح وأخذ المال فإلى الأولياء
إن شاءوا عفوا وإن شاءوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه أن الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق

قبل

قبل توبته فدرأ عنه العقوبة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله
لعلكم تفلحون الوسيلة كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله من
فعل الطاعات وترك المعاصي وأنشد للبيد أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ألا كل ذي لب إلى الله واسل
إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل
منهم ولهم عذاب أليم ليفتدوا به ليجعلوه فدية لأنفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى
النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا
أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك ولو مع ما في حيز خبر أن فإن قلت لم وحد الراجع في
قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت هو نحو قوله فإني وقيار بها لغريب أو على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة
كأنه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز أن تكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع إليه فإن قلت فبم ينصب المفعول
معه قلت بما يستدعيه لو من الفعل لأن التقدير لو ثبت أن لهم ما في الأرض يريدون أن يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قال أبو واقد تمنوا أن يخرجوا منها إرادة من خرج ويشهد لقراءة العامة قوله
بخارجين وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون
من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة و
ليس بأول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين
أظهر أعضاده من قريش وأنضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الأمة وبحرها ومفسرها بالخطاب الذي لا
يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا وبرفعه إلى عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية ما فيها مرية والسارق
والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم والسارق والسارقة رفعهما على
الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل فيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما ووجه آخر وهو أن
يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا أيديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لأن المعنى والذي سرق والتي سرقت
فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول تضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة
لأجل الأمر لأن زيدا فاضربه أحسن من زيد فاضربه أيديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف
وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم والسارق في الشريعة
من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند
أبي حنيفة وعند مالك والشافعي ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك في درهم جزاء
ونكالا مفعول لهما فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم فمن تاب من السراق
من بعد ظلمه من بعد سرقته وأصلح أمره بالتفصي عن التبعات فإن الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة
وأما القطع فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي في أحد قوليه تسقطه ألم تعلم أن الله

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقد يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من التنفير عنه ولا يسقط عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحيوة ولكم في القصاص حيوة فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلت لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا متعلق بقالوا وبافواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما تفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل والضلال وروي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله صلى الله

عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يمنحهم من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال الله تعالى يمحق الله الربا فالربا سبيله وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشى على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فياكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤوا حكموا وان شاؤوا اعرضوا وقيل منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند ابي حنيفة رحمه الله ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلقاء بان يعادوه ويضاروه فامنه الله منهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم فان قلت فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب قلت اما ان ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره فان قلت لم انث التوراة قلت لكونها

نظيرة لمؤماة ودوية أو مجوزها في كلام العرب فإن قلت علام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك إنا أنزلنا
التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما
استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا
قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما
استبهم من الأحكام الذين أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه
لا للتفصلة والتوضيح وأريد بإجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم
في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل منها وقوله والذين أسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون والـ
أحبار الزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا
من كتاب الله بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة أي بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير و
التبديل ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون
بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم وإبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون
والأحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء
ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله
حفظه وأن يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم فيها
وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والأصدقاء ولا
تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضاء الناس
كما حرفت أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما أنزل
الله مستهينا به فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف
والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل
الله فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه
الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل
الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون والظالمون والفاسقون وصف
لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن حكموا بغيرها وعن ابن عباس الكافرون والظالمون و
الفاسقون أهل الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لأهل الكتاب من جحد حكم الله
كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود والفاسقون
في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة أنتم أشبه الأمم سمتا ببني إسرائيل لتركبن طريقهم

حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا وفي مصحف أبي وأنزل الله على بني إسرائيل
فيها وفيه وإن الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل أن النفس لأن المعنى
وكتبنا عليهم فيها النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع
عليه الكتابة والقراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ إن النفس بالكسر لكان
صحيحا أو للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها أن النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق وكذلك العين
مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات
قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة
فنزلت فمن تصدق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله
من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل
فهو كفارة للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أبي فهو كفارته له يعني فالمتصدق
كفارته أي الكفارة التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فأجره على الله وقفيته
مثل عقبته إذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه إلى الثاني بزيادة الباء فإن قلت فأين المفعول
الأول في الآية قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لأنه إذا قفى به على أثره فقد
قفى به إياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة فإن
صح عنه فلأنه أعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا عطف على محل فيه هدى
ومحله النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله
مصدقا وأن ينتصبا مفعولا لهما كقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وللحكم بما أنزل الله
فيه من الأحكام فإن قلت فإن نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم قلت أصنع
به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فأقدر وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إياه
وقرئ وليحكم على لفظ الأمر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة أبي وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن
موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل وقيل إن عيسى صلى
الله عليه كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة وظاهر قوله
وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وإن ساغ لقائل أن
يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين
يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق فإن قلت
أي فرق بين التعريفين في قوله وأنزلنا إليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب قلت الأول تعريف العهد
لأنه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لأنه عنى جنس الكتب المنزلة ويجوز أن يقال هو للعهد لأنه لم يرد به

ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا و
رقيبا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هومن عليه بان حفظ
من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل او الحفاظ
في كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمأزوا رادين ومنكرين ذلك ولا
تتبع نهى ولا تحرف فلذلك عدي بمن كانه قيل ولا تحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم شرعة و سكم ب
منهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي ما
تجري قرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين يجرون عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرائع
من قبلنا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها
مذعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما
اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم
استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم
وعاملكم ومفرطكم في العمل وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما
انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون
فان قلت كان الحكم بينهم معطوف على ماذا قلت على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك
ان احكم على ان ان موصلة بالامر لانه فعل كسائر الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم
ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويصرفوك وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا
وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود
وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم
ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم
انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان
هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولي واسرافهم في ارتكابه ومثل البعض
في هذا الكلام ما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شأنها وفي هذا الابهام
كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو في معنى البعضية فكذلك اذا صرح
بالبعض وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في
الكفر افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان
احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعيير اليهود
بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهالة لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله
وعن الحسن هو عام في كل من يبغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل
طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء وقرأ السلمي افحكم
الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة في
اهذا الذي بعث الله وعن الصفة في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب
زيد وقرأ قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيره من حكام الجا
فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام اللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام
في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون ان لا اعدل من الله ولا احسن
حكما منه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم
فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم و
تعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله اولياء بعض اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في بعضهم م
الكفر فالمؤمن بدينه خلاف دينهم ولهذا لا يتولاهم ومن يتولهم منكم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد
في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما ومنه قول
عمر رضي الله عنه لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم
اذ اقصاهم الله وروي انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه يبقى م
قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين
ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتا لهم فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم
يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم
نادمين يسارعون فيهم يتكشفون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يأمنون ان تصيبهم دائرة من
دوائر الزمان اي صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله
عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم
واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع
فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن
بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحري ان يكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل او امر من عنده امر
النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون فيه

للتأمل فعل كفى النصيحة الذين طبع الله في قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب
ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا
خاسرين ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على أن يأتي وبالرفع على أنه كلام مبتدأ أي ويقول الذين آمنوا
في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام كأنه قيل فماذا يقول
المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا فإن قلت لمن يقولون هذا القول قلت
إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما منّ الله عليهم من التوفيق في الإخلاص أهؤلاء الذين
أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وإما أن يقولونه لليهود لأنهم حلفوا لهم
بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم حبطت أعمالهم من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم
التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله
عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجيبا من سوء حالهم يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين قرئ من يرتد ومن يرتدد
وهو في الإمام بدالين وهو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة
ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا
تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله إلى معاذ بن جبل وإلى
سادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيّته فقتله وأخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسُرّ المسلمون
وقبض رسول الله من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب
من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
فحاربه أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية
وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي وإسلامي وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله
خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فزارة قوم
عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم
مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي تزوجت مسيلمة الكذاب وفيها يقول
أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري أمت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب
كندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله
عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم نصّرته اللطمة وسيّرته إلى بلاد الروم
بعد إسلامه فسوف يأتي الله بقوم قيل لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري

فقال

فقال القوم هذا وقيل هم أهل اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا أيام
القادسية وقيل هم الأنصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب بيده على عاتق سلمان وقال هذا
وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس محبة العباد لربهم طاعته
وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم
ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم
طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة السفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف
وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة
في المردان الذين يسمونهم شهداء الله وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا
ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب
شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة فإن قلت أين الراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن
معنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك أذلة جمع ذليل
وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة
فإن قلت هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين قلت فيه وجهان أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف
كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين
خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وجل أشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحال
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ولا يخافون
لومة لائم يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين
لليهود لعنت فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم
وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وأن تكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة
في سبيل الله وأنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير
المحماة لا يرعهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم أحد من اللوام وذلك
إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من
يشاء ممن يعلم أن له لطفا واسع كثير الفواضل والألطاف عليم بمن هو من أهلها إنما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم
ذكر من تجب موالاتهم بقوله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ومعنى إنما وجوب اختصاصهم بالموالاة فإن قلت
قد ذكرت جماعة فهلا قيل إنما أولياؤكم قلت أصل الكلام إنما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة

ثم نظم في سلك اثباتها له اثباتها لرسول الله وللمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين
آمنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على
البدل من الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا او
واطأت قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو فيه للحال اي يعملون ذلك في حال الركوع
وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكوة بمعنى يؤتونها
في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه
كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون لعلي رضي الله
عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل
فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان
وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التأخير وهم في الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها ومن يتول الله
ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون فان حزب الله من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه
فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم
ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا
يغالب يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد اظهرا
الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل
باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان
كان اهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا
وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة ابي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرهم
ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة اعداء الدين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا و
لعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون اتخذوها الضمير للصلوة او للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة
اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فـ
تطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب
لا بالمنام وحده لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم قل يا اهل الكتاب
هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون
وقرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة
كلها وان اكثركم فاسقون فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها ان يعطف على

ان آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كأنه قيل وما تنكرون منا الا
مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي واعتقاد انكم
فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز
ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم و
اتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي انه اتى رسول الله نفر من اليهود
فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما
نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم وقرأ نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر
ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بمحذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الا
والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة و
كسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل
منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل ذلك اشارة الى المنقوم
ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على
قولك هو من لعنه الله كقوله قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثابة
ومثوبة ومثوبة فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة
على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك
بينهم في العقوبة قلت كان اليهود يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر
عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كأنه قيل
ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت
عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ
في الحذر والفطنة قال ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد
وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد
واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت
بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله
فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني
انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه
معبود من دون الله ولان عبادتهم العجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت
وعن ابن عباس رضي الله عنه اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطا

وقيل يجعل منهم القردة أصحاب السبت والخنازير كفار أهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا إخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم أولئك الملعونون الموصوفون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله وفيه مبالغة ليست في قولك أولئك شر وأضل لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز **وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون** نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الإيمان نفاقا فأخبره الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال وليعلموا أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله متوقعا لإظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا أي قالوا ذلك وهذه حالهم **وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون** الإثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الإثم والعدوان الظلم وقيل الإثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم إلى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون** لبئس ما كانوا يصنعون كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لأن كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فإذا فرط في الإنكار كان أشد حالا من المواقع ولعمري إن هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنه هي أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا** غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لأنهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى إنه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله إذ أصبحت بيد الشمال زمامها ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الأعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عبثت به **فإن قلت** قد

بوابل

صح أن قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت أيديهم ومن حقه أن يطابق ما تقدمه وإلا تنافر الكلام وزل عنه سننه **قلت** يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم ونحوه قول الأشتر بقيت وفري وانحرفت عن العلى ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة يغلون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز كما يقول سبني سب الله دابره أي قطعه لأن السب أصله القطع **فإن قلت** كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد **قلت** المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا إلى بخلهم ونكدا إلى نكدهم أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الأحدوثة التي تخزيهم وتمزق أعراضهم **فإن قلت** لم ثنيت اليد في قوله بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة **قلت** ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي أن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه وليزيدن أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله **وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين** وألقينا بينهم العداوة والبغضاء فكلمتهم أبدا مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما أوقدوا نارا كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا أحكام التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس ويسعون ويجتهدون في الكيد للإسلام ومحو ذكر رسول الله من كتبهم **ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم** ولو أن أهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالإيمان لكفرنا عنهم تلك السيئات فلم نؤاخذهم بها ولأدخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه إعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وأن الإيمان لا ينجي ولا يسعد إلا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فأين الأطناب **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون** ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله وما أنزل إليهم من ربهم

ولقيت أضيافي بوجه عبوس [illegible] ١٢

سجح أي سهلة وناقة سرح ١٢

ويسعون ل

فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط عليهم

كتب الله لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها فكأنها أنزلت إليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وقد كانوا قد قحطوا
وقوله لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة أوجه أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات
الأرض وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من
رؤوس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله
وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى
التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه والروم **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل**
إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين
بلغ ما أنزل إليك جميع ما أنزل إليك وأي شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه وإن لم
تفعل وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ إذاً ما كلفت من أداء الرسالات ولم
تؤد منها شيئا قط وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا
كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لإدلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد
والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنه إن كتمت آية لم تبلغ
رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله إلي إن لم تبلغ
رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت **فإن قلت** وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته
قلت فيه وجهان أحدهما أنه إذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولا كان
أمرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل إن لم تبلغ منها أدنى شيء وإن كان كلمة واحدة فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي
هو كتمانها كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكأنما قتل الناس جميعا والثاني أن يراد وإن لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان
الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلي إن لم تبلغ
رسالاتي عذبتك والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من أعدائك فما عذرك في
مراقبتهم **فإن قلت** أين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته **قلت** المراد أنه يعصمه من القتل
وفيه أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما أشد تكليف الأنبياء عليهم السلام وقيل نزلت بعد يوم أحد
والناس الكفار بدليل قوله إن الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك
وعن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا أيها الناس
فقد عصمني الله من الناس **قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم**
وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين لستم على شيء
أي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه وفي أمثالهم
أقل من لا شيء فلا تأس فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك وفي المؤمنين

عنى عنهم **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا**
خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها
وخبرها كأنه قيل إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهدا
له وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك **فإن قلت** هلا زعمت أن ارتفاعه
للعطف على محل إن واسمها **قلت** لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول إن زيدا وعمرو منطلقان **فإن قلت** لم لا يصح
والنية به التأخير فكأنك قلت إن زيدا منطلق وعمرو **قلت** لأني إذا رفعته رفعته عطفا على محل إن واسمها و
العامل في محلهما هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما ينتظمهما إن
في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بإن لأعملت فيهما رافعين مختلفين
فإن قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو **قلت** هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة
على جملة قوله إن الذين آمنوا إلخ ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها **فإن قلت** ما التقديم والتأخير إلا لفائدة
فما فائدة هذا التقديم **قلت** فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما
الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين إلا لأنهم صبؤوا
عن الأديان كلها أي خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة من قومه
حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما **فإن**
قلت فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا **قلت** لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لأنه
لا إزالة فيه عن موضعه وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ويجري هذه الجملة مجرى الاعتراض
في الكلام **فإن قلت** كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن **قلت** فيه وجهان أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا
بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه **فإن قلت** ما محل
من آمن **قلت** إما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر إن
وإما النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه أو من المعطوف عليه **فإن قلت** فأين الراجع إلى اسم إن
قلت هو محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة
كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون وهو من صبوت لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا
أدلة العقل والسمع وفي قراءة أبي والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا و
الذين هادوا والصابئون **لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول**
بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وأرسلنا إليهم رسلا
ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف
أي رسول منهم بما لا تهوى أنفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع **فإن قلت** أين

جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون نائب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن
ان تقول ان اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون فكانه قيل كلما
جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين
ماضيا وبالآخر مضارعا قلت جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال
الشنيعة للتعجيب منها وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم
والله بصير بما يعملون قرئ ان لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا
تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان فان قلت كيف دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم
لقوته في صدورهم منزلة العلم فان قلت فاين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند
والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلاء وعذاب في الدنيا و
الآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية
بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي
رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل
من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر مبتدأ محذوف اي اولئك كثير منهم لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد
حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم
في انه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او
افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي حرم دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه
وما للظالمين من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه
ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم
احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن
الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم من في قوله
وما من اله الا اله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قوله لا اله الا الله والمعنى وما من اله
قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا
منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم قلت في اقامة
الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة اخرى
وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا منهم انهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة

عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس
التي يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز ان يكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا
من النصرانية افلا يتوبون فيه معنى الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب
من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون ما هو الا رسول من
قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاءوا بآيات من الله كما اتى بامثالها
ان ابرأ الله الاكمه والابرص واحيا الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وان
خلقه من غير ذكر فلا انثى وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم
فما منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف
به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تمييز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما
في قوله كانا ياكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا
من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر
كغيره من الاجسام كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم انى يؤفكون كيف
يصرفون عن استماع الحق وتامله فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعني
انه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وان اعراضهم عنها اعجب منه قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا و
الله هو السميع العليم ما لا يملك هو عيسى اي شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في
الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر
من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث
جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع
العليم متعلق بما تعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون
العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر
قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا
عن سواء السبيل غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان
حق وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش عن اباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل
والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل
اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه

وعطف عليه *لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ* قال الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة و لما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي ذلك بما عصوا اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سببا لمسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب فان قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء قلت من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيا فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه *تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ* ترى كثيرا منهم هم منافقو اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله *وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ* ولو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون *لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ* وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا

اي علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وادله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب بعيد من النجاة من اكبر وان كانت في نصراني ووصفهم الله برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل اتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا فان قلت بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا قلت بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى التي اختصت المؤمنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب فان قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع قلت معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانما تفيض بانفسها اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت اي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق قلت الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدا ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرؤا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول *يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ* ربنا آمنا المراد انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك *وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ* وما لنا لا نؤمن انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك او اريد وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال فان قلت ما العامل في الحال الاولى والثانية قلت العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت ما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما

بالدخول في الإسلام لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين **فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين** قال الحسن فأثابهم الله بما قالوا أي بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص من قولك هذا قول فلان أي اعتقاده وما يذهب إليه **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** طيبات ما أحل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأفطر وأصوم وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذج وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال إن المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود أن رجلا قال له إني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن أنه دعي إلى طعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذج فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذج ويقول لا أؤدي شكره قال أفيشرب الماء البارد قيل نعم قال إنه جاهل إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذج وعنه أن الله تعالى أدب عباده فأحسن أدبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا أوليا لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون** وكلوا مما رزقكم الله أي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان** اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يراه كذلك وليس كما ظن وهو قول أبي حنيفة رحمه الله عليه بما عقدتم الأيمان بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي أن الحسن سئل عن لغو

اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف **فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون** فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها من أوسط ما تطعمون من القصد لأن منهم من يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر وهو عند أبي حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر أو صاع من شعير لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي مد لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون الياء والأهالي اسم جمع لأهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي في جمع أرض وقولهم أهلون كقولهم أرضون بسكون الراء وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معدي كرب تشبيها للياء بالألف أو كسوتهم عطف على محل من أوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة وأسوة في أسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس كانت العباءة تجزي يومئذ وعن ابن عمر إزار أو قميص أو رداء أو كساء وعن مجاهد ثوب العورة وعن ابن عباس جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان وقال سعيد بن المسيب ثوبان يمانيان أو كأسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم **فإن قلت** ما محل الكاف **قلت** الرفع تقديره أو طعامهم كأسوتهم بمعنى كمثل طعامهم إن لم تطعموهم الأوسط أو تحرير رقبة شرط الشافعي الإيمان قياسا على كفارة القتل وأما أبو حنيفة وأصحابه فيجوزون تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل **فإن قلت** ما معنى أو **قلت** التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب فمن لم يجد إحداها فصيام ثلاثة أيام متتابعات عند أبي حنيفة تمسكا بقراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع إلا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة أيمانكم ولو قيل تلك كفارة أيمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الأشياء أو لتأنيث الكفارة والمعنى إذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال إذا لم يعص بالحنث واحفظوا أيمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا أراد الأيمان التي الحنث فيها معصية لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك يبين الله لكم آياته أعلام شريعته وأحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** أكد تحريم الخمر

والميسر وجوهاً من التاكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجساً كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما
من عمل الشيطان والشيطان لا ياتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح
واذا كان الاجتناب فلاحاً كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع
التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعات اوقات الصلوة
وقوله فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه
الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا فان قلت الام يرجع الضمير في قوله
فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شان الخمر والميسر او تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال
رجس من عمل الشيطان فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام ثم افردهما آخراً قلت لان الخطاب مع
المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر
والميسر واظهار ان ذلك جميعاً من اعمال الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة بين من
عبد صنماً واشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب الخمر او قامر ثم افردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر
الخمر والميسر وقوله وعن الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلوة خصوصاً واطيعوا
الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين واحذروا وكونوا حذرين
خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد واحذروا ما عليكم في
الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما
كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين
رفع الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا
على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء
المعاصي واحسنوا اعمالهم او احسنوا الى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة
يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم
في اي شيء طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه
الصفة ثناء عليهم وحمداً لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح
وقد علمت ان ذلك امر مباح فتقول ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمناً محسناً تريد ان زيداً
تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم و
رماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله

[illegible] الازلام [illegible] يستقسمون بها

بالصيد

بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذاً بايديهم وطعناً برماحهم ليعلم الله
من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى
فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل و
صغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال و
انما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف ثباتهم عندما هو اشد منه وقرأ
ابراهيم يناله بالياء يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما
قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم حرم محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه
او عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيداً وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد
او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيداً فهو مخطئ   محظورات الاحرام يستوي فيها العمد
والخطأ فما بال التعمد مشروطاً في الآية   لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار
وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد
والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد و
وردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطأ شيئاً اخذاً باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان
فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعاً بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة الصيد يقوم
حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاماً
فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعاً من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوماً فان فضل ما لا
يبلغ طعام مسكين صام عنه يوماً او تصدق به وعند محمد والشافعي رحمهما الله مثله نظيره من النعم فان لم
يوجد له نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة رحمه   فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وقوله تفسير
للمثل وبقوله هدياً بالغ الكعبة   قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هدياً او طعاماً او يصوم كما خير الله
تعالى في الآية فكان قوله من النعم بياناً للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى
بالقيمة هدياً فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالا
طعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما
اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئاً لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم
ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياماً كيف خير بين الاشياء الثلاثة
ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء
مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيداً ثم من ضرب زيد وقرأ
السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعم

بكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه يحكم به مثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه
دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة وعن قبيصة أنه أصاب
ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم أمره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم أمير المؤمنين
حتى سأل غيره فأقبل عليه ضربا بالدرة وقال أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل
منكم فأنا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم أراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل
أراد الإمام **هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره**
عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل
لأن الصفة خصصته فقربته من المعرفة أو بدل عن مثل فيمن نصبه أو عن محله فيمن جره ويجوز أن ينتصب حالا عن
الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لأن إضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فأما التصدق
به فحيث شئت عند أبي حنيفة وعند الشافعي في الحرم **فإن قلت** بم يرفع كفارة من ينصب جزاء **قلت** يجعلها خبر مبتدأ
محذوف كأنه قيل أو الواجب عليه كفارة أو يقدر فعليه أن يجزي جزاء أو كفارة فيعطفها على أن يجزي وقرئ أو
كفارة طعام مساكين على الإضافة وهذه الإضافة مبينة كأنه قيل أو كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة
بمعنى خاتم من فضة وقرأ الأعرج أو كفارة طعام مسكين وإنما وحد لأنه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على
الجنس وقرئ أو عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما أن عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام وعدله ما
عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لأن كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور
بمعنى المفعول به كالذبح والذبح ونحوهما الحمل والحمل وذلك إشارة إلى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله
رجلا والخيار في ذلك إلى قاتل الصيد عند أبي حنيفة وأبي يوسف وعند محمد إلى الحكمين ليذوق متعلق بقوله
فجزاء أي فعليه أن يجازي أو يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في
العاقبة من عمل سوء لثقله عليه ومنه قوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا أي ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة
فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الإحرام قبل أن تراجعوا رسول الله وتسألوه عن جوازه وقيل عما
سلف لكم في الجاهلية منه لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد إلى قتل الصيد
وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله منه فينتقم خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك
دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن
عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح أنه لا كفارة
عليه تعلقا بالظاهر وأنه لم يذكر الكفارة **أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم**
صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل و
طعامه وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك

وحده عند أبي حنيفة وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد منه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوانات البحر و
أن تطعموه متاعا لكم مفعول له أي أحل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له إسحاق ويعقوب
نافلة في باب الحال لأن قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب يعني أحل لكم طعامه
تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر
وحرم عليكم صيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كطير الماء عند
أبي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن أبي هريرة
وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير أنهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يدل ولم يشر
وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح له ما صيد لأجله
فإن قلت ما يصنع أبو حنيفة بعموم قوله صيد البر **قلت** قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما لأن ظاهره أنه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لأنهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم
ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقرأ ابن عباس وحرم عليكم صيد البر أي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال من
دام يدام **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد** البيت الحرام عطف
بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم ونهوضا
إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم وعن عطاء بن
أبي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة
لأن لاختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله وقيل عني به جنس الأشهر الحرم والهدي و
القلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لأن الثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر **ذلك لتعلموا أن الله يعلم**
ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم
ذلك إشارة إلى جعل الكعبة قياما للناس أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا أن الله يعلم
كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما أمركم به وكلفكم شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها
ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ما على الرسول إلا البلاغ تشديد في إيجاب القيام
بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط
قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون
البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله وإن كان قريبا عندكم ولا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروا الكثرة على الطيب
القليل فإن ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه
وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديئهم فاتقوا الله وآثروا الطيب وإن قل

على الخبيث وإن كثر ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه المجبرة إذا افتخروا بالكثرة كما قيل وكاثر بسعد إن سعدا كثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا وكما قيل لا يدهمنك من دهمائهم عدد فإن جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عن الإيقاع بهم وإن كانوا مشركين يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة للأشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم إن أفتاكم بها وكلفكم إياها غمتكم وشقت عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فأعرض عنه رسول الله حتى أعاد مسألته ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن أي وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضوا أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته فإن قلت كيف قال لا تسألوا عن أشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها قلت الضمير في سألها ليس براجع إلى أشياء حتى يجب تعديته بعن وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها لا تسألوا أي قد سأل هذه المسألة قوم من الأولين ثم أصبحوا بها أي بمرجوعها أو بسببها كافرين وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو في قوله أولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار

وتقديره أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الإسلام فقيل لهم عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها في طريق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذا من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وإنما هو من بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود أنها قرئت عنده فقال إن هذا ليس بزمانها إنها اليوم مقبولة ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى ولا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال إذا جعل دونها السيف والسوط والحبس وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام وإن من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت عليكم أنفسكم عليكم من أسماء الفعل بمعنى الزموا إصلاح أنفسكم ولذا جزم جوابه وعن نافع عليكم أنفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان أن يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة أبي حيوة لا يضيركم وأن يكون جوابا للأمر مجزوما وإنما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة والأصل لا يضرركم ويجوز أن يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت ارتفع اثنان على أنه خبر المبتدأ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين والحسن شهادة بالنصب والتنوين على تقدير ليقم شهادة اثنان وإذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل منكم من أقاربكم أو من غيركم من الأجانب إن أنتم ضربتم في الأرض يعني إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وبما هو أصلح وهم له أنصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله وأشهدوا ذوي عدل منكم وروي أنه خرج بديل بن أبي مريم مولى عمرو بن العاص وكان

من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل فكتب كتابا فيه ما معه
وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة
فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا
قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة من
بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد صلوة العصر او بعد الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون
للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي وتميم
فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلوة اهل الذمة
وهم يعظمون صلوة العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما
فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما
وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني
لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا
منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن
الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ بقوله آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه و
روي عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام
فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله
عادا لولى فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استئناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل
ان ارتبنا فيهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة قلت لما كان معروفا
عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم
انها صلوة الفجر ويجوز ان يكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان تكون الصلوة لطفا
في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر على انهما
استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما
اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين
استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة
الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما والاوليان الاحقان

بالشهادة

بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من
الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم
للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب
على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاوليين على التثنية و
انتصابه على المدح وقرأ الحسن الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وابو حنيفة واصحابه لا
يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا
الشراء فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشراء فان قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق
عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو علي وابي وابن عباس قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم
الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك ادنى ان
يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي
القوم الفاسقين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها
او يخافوا ان ترد ايمان اي تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل و
اسمعوا سمع اجابة وقبول يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب
يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله
لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينصب باضمار اذكر او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا
منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى
سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموءودة توبيخا للوائد فان قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا
قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء
اجابتهم اظهارا للتشكي واللجأ الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب
لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان
خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول
ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر
الى علم سلطانه واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون و
يذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك
ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا
علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم
سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي

انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة
لاسم ان إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس
في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل اذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ
الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة
او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى من البينات والمعجزات
هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين ايدتك قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي
يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس وفي المهد
في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل بروح القدس
جبريل صلوات الله عليه ايد به لتثبيت الحجة فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين
الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد
الذي يستنبأ فيه الانبياء والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتب
والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها
فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير بإذني بتسهيلي فتنفخ فيها
الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه
ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم
بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج
سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وإذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله تعالى
لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه ولم يكن له بيت فيخرب
ولا ولد فيموت اينما امسى بات وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون
اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم
هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين عيسى في محل النصب على
اتباع حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو و
الدليل عليه قوله احار بن عمرو كأني خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد
ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن
ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك
قول عيسى عليه السلام معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون
من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل

تستطيع

تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام
وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليه قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم
أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها
من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال
وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها
ويرسل عليهم العذاب ان خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب
قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك
وارزقنا وأنت خير الرازقين اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا
عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك
يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيره يرثني لأولنا
وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس
كما يأكل اولهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لأولانا واخرانا والتأنيث بمعنى الامة والجماعة
قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين عذابا
بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء وروي ان عيسى عليه السلام
لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها
وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين
انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة
ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال
شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية
كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية
اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم
عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه
قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح
انها نزلت وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك
ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك

انت علام الغيوب سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله في نفسي في
قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل
في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب
ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم و
كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان في قوله

عليهم

ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له
اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله و
لكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم
يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتني
به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا
ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت
ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته
فان قلت فكيف تصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما
امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا
وكنت شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت
الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين
جاحدين لاياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي
لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما قال
انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان قال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم
لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو
احسن منه قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على
كل شيء قدير قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ
والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه
مضاف الى متمكن وقرأ الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين
صدقهم ان اريد صدقهم في الاخرة فليست الاخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه

لانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين
في دنياهم واخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ
وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه فان قلت
في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقال ومن فيهن قلت ما يتناول الاجناس كلها تناولا
عاما الا تراك تقول اذا رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له
عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا سورة الانعام مكية وعن ابن عباس غير ست ايات
وهي مائة وستون وخمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض
وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث
وانشأ كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا
او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة
والنور من النار وجعلناكم ازواجا اجعل الالهة الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله
والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف
النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله
الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته
واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه
فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح ايات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان
تمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم

عنده صح

تمترون ثم قضى اجلا الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما
بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت فان قلت المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره
فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك
فان قلت الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه
ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم وهو الله في السموات
والارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون في السموات متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها
ومنه قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او وهو المعروف بالالهية او المتوحد بالالهية فيها او هو الذي
يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه

في السموات والارض يعني انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيهما فان قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر فيثيب عليه ويعاقب وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين من في من آية للاستغراق وفي من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء الشيء الذي كانوا به يستهزءون وهو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي شيء استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين مكن له في الارض جعل له مكانا فيها ونحوه ارض له ومنه قوله انا مكنا له في الارض اولم نمكن لهم واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب او المطر والمدرار المغزار فان قلت اي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت ابصارنا لا ينفعهم ذلك لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون لقضي الامر لقضي امر اهلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته وهي آية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون

لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة انسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرأ الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ولقد استهزئ تسلية لرسول الله عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به فان قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون لمن ما في السموات والارض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على اشراككم وقوله الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا انفسهم فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين اولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تأمروني اعبد آلله اذن لكم وقرئ فاطر السموات والارض بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهري فطر وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده

ولا يجوز فيه الابتغاء وقرئ ولا يَطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يُطعِم ولا يُطعَم على بناء الاول
للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الاشهب وهو يُطعِم ولا يُطعِم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم
ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم
اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته
في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن
وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة
العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه يريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة
لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب من يصرف على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك
اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او
مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان يكون يومئذ بمعنى يصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم
اي هوله فقد رحمه وتنصره القراءة القراءة اُبي من يصرفه عنه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا
هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك فلا كاشف له فلا
قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته او ازالته
وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة كقوله
وانا فوقهم قاهرون قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم
به ومن بلغ الشيء يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال و
المستقيم ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شيء لا كالاشياء كما يقال معلوم لا كالمعلومات ولا يصح
لا كالاجسام واراد به اي شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل
ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم
وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة
شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اي لانذركم به وسائر من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل
من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم
أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون أئنكم لتشهدون قل لا اشهد
تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم
الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله
عليه ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون

بينهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين
من اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته
انه لا يفلح الظالمون جمعوا بين امرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان
الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ويوم نحشرهم
منصوب بمضمر تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف اين شركاؤكم
اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم
ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون
منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا
بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم يكن عاقبة كفرهم
الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من
التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص فتنتهم بالنصب
وانما انث ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء ورفع التابع
ورفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترونه اي يفترون الهيته وشفاعته
فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت
الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان
عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضي عليهم
واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا
على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي واقحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه
ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون
على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين
كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان و
الوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول

محمد فقال ما الذي جعلها آيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك شفتيه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت والاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل اليه انه معنى قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرا طلحة وقرا بكسر الواو حتى اذا جاؤوك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤوك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان يكون الجارة ويكون اذا جاؤوك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب **وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون** وهم ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت **ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت امرا شنيعا وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدأوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فتدخل تحت حكم التمني **فان قلت** يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا **قلت** هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون** بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم

عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به **وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم **ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون** بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة **فان قلت** اما يتحسرون عند موتهم **قلت** لما كان الموت وقوعا في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر ذكرها لكونها معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله بما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم **وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون** جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقرا ابن عباس ولدار الآخرة وقرئ يعقلون بالياء والتاء **قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين** قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله اخو ثقة لا يهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشأن ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع

الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته والاستهانة
بكتابه فاله عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وانت صادق واشتغل عن ذلك بما هو اهم وهو استعظامك بجحود
آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني وفي
هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم
وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك
عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق
هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء
والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر
للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت رسل تسلية لرسول الله وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك
ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم
وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
ولقد جاءك من نبأ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين وان كان كبر عليك
اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى فلا تكونن من الجاهلين كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل
لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه
الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها او سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك
والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء
لاتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له
ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم
يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو الاتيان بالآية كانه قيل لو استطعت النفوذ
الى ما تحت الارض او الرقي الى السماء لعلك لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول
ان شئت ان تقوم بنا الى فلان تزوره ولو شاء الله لجعلهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل
لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه انما يستجيب الذين
يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان
يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله
مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم اليه يرجعون للجزاء

فكان

فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني
الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم وقرئ يرجعون
بفتح الياء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا
يعلمون ولا نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية
غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله لتركهم الاعتداد بما انزل
عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل
على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية
وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما
فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله
يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم امم امثالكم مكتوبة ارزاقها وآجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم و
آجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب
ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي
انه يأخذ للجماء من القرناء فان قلت فلم قال الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا على
معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا
طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة
كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم
محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت فما الغرض في ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه
وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله
شأن عن شأن وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن ابي عبلة ولا طائر
بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف فان قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا
بآياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون
كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم
من اهل الطبع من يشأ الله يضلله اي يخذله ويخلّه وضلاله لا يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشأ يجعله
على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة
اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون
ارأيتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كأنك تقول
أرأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ان اتاكم عذاب الله او اتتكم

ارأيتكم

الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام
تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى
كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم او لا تذكرونها في
ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار
بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قلت ان علقت
الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين
قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه
آخر من الحكمة ارجح منه ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون
البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى
لقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلولا اذ جاءهم
بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك
التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فلما نسوا ما ذكروا به من
البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينجع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف
النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه
حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فقطع
دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصلت شأفتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة
وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرئ فقطع دابر بالتشديد قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على
قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم يأتيكم به اي بذلك اجراء
للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها قل ارأيتكم ان اتاكم
عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر
اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب و
سخط الا الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن و
اصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الا مبشرين ومنذرين ليبشروا ويخوفوا وزيادة الطاعة ومن كذبهم عصاهم

ولم نرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب اصلاحه مما كلف
والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد
من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمع جمع العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل
هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي
قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع
الهية ولا ملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما
ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا
لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية او الملكية افلا تتفكرون فلا
تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه
فان قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه
قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع لعلهم يتقون وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان يحشروا اما قوم داخلون
في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل
التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا
سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذر هؤلاء
وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا
لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون
من الظالمين ذكر غير المتقين من المسلمين وامره بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم
وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر
الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون
وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله لو طردت هؤلاء
الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب
من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا
فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر
الى ما ذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعى بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر

من مقالتهم قال سلمان وخباب وصهيب فينا نزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنو منه حتى تمس
ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى
ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من
حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء
بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما
يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من
حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما
مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه
قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك
ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون
عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا
بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين ومثل ذلك
الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين أهؤلاء الذين
من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء
وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أأنزل عليه الذكر من بيننا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه
لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون أليس الله باعلم بالشاكرين اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر
فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور
رحيم فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم
وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله
التوبة منهم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستئناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة
بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في
العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر
على انها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن
حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سالوا

ثم علم انها مفسدة وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قرئ ولتستبين بالتاء والياء مع رفع
السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى
ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه
ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده
ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين نهيت صرفت وزجرت بما ركب في من
ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام
فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون
اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت
اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى في شيء يعني انكم كذلك قل اني على بينة من ربي وكذبتم
به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون بقص ل
به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين لما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله
قل اني على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة من ربي وكذبتم به اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على
حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره ويقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين
منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم
احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستاصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في
قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله في تاخير عذابكم يقض الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من
التاخير والتعجيل في اقضيته وهو خير الفاصلين اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به
ويقدره من قص اثره لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه
عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تاويل
البيان او القرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان
يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فان قلت لم
اسقطت الياء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا
رطب ولا يابس الا في كتاب مبين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن
المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات

وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح
وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة و
داخل في حكمها كانه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا
يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب
ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين
كقولك لا رجل منهم ولا امراة الا في الدار **وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى
اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون** وهو الذي يتوفيكم بالليل الخطاب للكفرة اي
انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يحكم من القبور في
شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في امر كذ
ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه ليبعث الموتى ويجازيهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف
الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى
اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون** حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون
وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبه الحفظة تكتب
لفظ اللفظة فقال الاصمعي وهذا ايضا مما يكتب **فان قلت** الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها **قلت**
فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم
ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء
توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله
وما من اهل بيت الا وهو يطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون مضارعا بمعنى تتوفاه وقرئ لا يفرطون
بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به او لا
يزيدون فيه **ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين** ثم ردوا الى الله اي الى حكمه و
جزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره
وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق **قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها
ومن كل كرب ثم انتم تشركون** ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم
ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق
في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما لئن انجيتنا على ارادة القول
من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية بالضم والكسر **قل هو القادر**

**على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض
انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون** هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا
من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق
فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل
هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى
خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست
نفضت لها يدي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم
فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما
نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال
هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة **وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم
بوكيل لكل نبا مستقر وسوف تعلمون** والضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم على
لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم انما انا منذر لكل نبا لكل شيء ينبا به يعني انباءهم
بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن **واذا رايت الذين
يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره** يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها
وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا باس
ان تجالسهم حينئذ **واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** واما ينسينك الشيطان
وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك
بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول
فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم **وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء
ولكن ذكرى لعلهم يتقون** وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء
مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة
لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين
يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا
بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم **فان قلت** ما محل ذكرى **قلت** يجوز ان يكون نصبا
على ولكن يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا ورفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك
ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يابى ذلك **وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة
الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع** اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي

وبينهم الذين كان يجب أن يتخذوه دينا لعبا ولهوا وذلك أن عبادة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب
وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب
ولهو من عبادة الأصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الإسلام لعبا ولهوا
حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من
المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم أعرض
عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقرآن أن تبسل مخافة أن تسلم الى الهلكة و
العذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الإبسال المنع لأن المسلم اليه يمنع المسلم قال وإبسالي بني بغير جرم بعوناه
ولا بدم مراق ومنه هذا عليك بسل اي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لأنه شديد البسور يقال
بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك
الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون وإن تعدل كل عدل وإن تفد كل
فداء والعدل الفدية لأن الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا
ضمير العدل لأن العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الأخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدي
فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا
ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه
الى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه
وهو الذي إليه تحشرون قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الأوثان قل
أندعوا أنعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على أعقابنا راجعين الى الشرك
بعد إذ أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان
في الأرض في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوي أصحاب رفقة يدعونه
الى الهدى الى أن يهدوه الطريق المستوي او سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا
للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده أن الجن تستهوي الإنسان والغيلان تستولي عليه
كالذي تخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه
اليه فلا يلتفت اليهم قل إن هدى الله وهو الإسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الإ
سلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فإن قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال
من الضمير في نرد على أعقابنا اي أننكص مشبهين من استهوته الشياطين فإن قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال
من هوى في الأرض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه فإن قلت ما محل وأمرنا قلت النصب
عطفا على محل قوله قل إن هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا لنسلم فإن قلت

ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل للأمر بمعنى أمرنا وقيل لنا أسلموا لأجل أن نسلم فإن قلت فإذا كان هذا واردا
في شأن أبي بكر فكيف قيل للرسول قل أندعوا قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله والمؤمنين خصوصا بينه وبين
الصديق رضي الله عنه فإن قلت علام عطف قوله وأن أقيموا قلت على موقع لنسلم كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن
أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا اي للإسلام ولإقامة الصلاة وهو الذي خلق
السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب و
الشهادة وهو الحكيم الخبير قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك
يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى أنه خلق السموات والأرض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الأشياء
كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيئا من السموات والأرض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب
ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز أن يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول للحق
اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم
بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك
وقومك في ضلال مبين وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما
جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين آزر اسم ابي ابراهيم وفي كتب التواريخ
أن اسمه بالسريانية تارخ والأقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها من
أسمائهم وهو عطف بيان لأبيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته كما
نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين أدعى بأسماء نبزا في
قبائلها كأن أسماء أضحت بعض أسمائي او أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقرئ أأزرا
تتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة
وراء منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا على الإنكار ثم قال أتتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك
وتقريرا وهو داخل في حكم الإنكار لأنه كالبيان له فلما جن عليه الليل عطف على قال إبراهيم لأبيه وقوله وكذلك
نري إبراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف إبراهيم
ونبصره ملكوت السموات والأرض يعني الربوبية والإلهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا
نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه
يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر و
الاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد الى أن شيئا منها لا يصح أن يكون إلها لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها
محدثا أحدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها قال هذا ربي قول من
ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى الى الحق وأنجى من الشغب

كرّ عليه بعد حكايته فبطله بالحجة لا أحب الآفلين لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال المتنقلين من مكان إلى مكان المحتجبين بستر فإن ذلك من صفات الأجرام فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين بازغا مبتدئا في الطلوع لئن لم يهدني ربي لئن لم يثبتني على الهدى نبه قومه على أن من اتخذ القمر إلها وهو نظير الكواكب في الأفول فهو ضال وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين هذا أكبر من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه إني بريء مما تشركون من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والأول أظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم إني بريء مما تشركون فإن قلت لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال قلت الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب فإن قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والإشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت أمك ولم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ألا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وإن كان العلامة أبلغ احترازا من علامة التأنيث وقرئ ترى إبراهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان يعني إلى التوحيد ولا أخاف ما تشركون به وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء إلا أن يشاء ربي شيئا إلا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها إن أصبت ذنبا أستوجب به إنزال المكروه مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما أي ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في علمه إنزال المخوف بي من جهتها أفلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وكيف أخاف لتخويفكم شيئا مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وأنتم لا تخافون ما يتعلق به كل مخوف وهو إشراككم بالله ما لم ينزل بإشراكه سلطانا أي حجة لأن الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون علي الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف ولم يقل فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم احترازا من تزكيته نفسه فعدل عنه إلى قوله فأي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم

يلبسوا

يلبسوا إيمانهم بظلم أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم وتلك إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل إلى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها أرشدناه إليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة وبالتنوين كوفي ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن ذريته الضمير لنوح أو لإبراهيم وداود عطف على نوحا أي وهدينا داود ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى فضلنا بعض آبائهم ولو أشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين آتيناهم الكتاب يريد الجنس فإن يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة أو بالنبوة هؤلاء يعني أهل مكة قوما هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فإن يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة والأول أظهر لاتصال ما بعدها ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم نعمته وأجل منته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه ووعيده لهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله فألزموا ما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعي عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه

يبعضونه ويجعلونه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء وروي أن مالك بن
الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة على
موسى هل تجد فيها إن الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم
فغضب ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقالت له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال إنه
أغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل القائلون قريش وقد ألزموا إنزال التوراة لأنهم كانوا يسمعون
من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم **وعلمتم ما لم**
تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم الخطاب
لليهود أي علمتم على لسان محمد مما أوحي إليه ما لم تعلموا أنتم وأنتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الأقدمون الذين
كانوا أعلم منكم أن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله
لتنذر قوما ما أتاهم آباؤهم قل الله أي أنزله الله فإنهم لا يقدرون على أن يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم
الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد إلزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه إنما أنت لاعب ويلعبون حال
من ذرهم أو من خوضهم ويجوز أن يكون في خوضهم حالا من يلعبون وأن يكون صلة لهم أو لذرهم **وهذا كتاب**
أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر
معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار وقرئ
ولينذر بالياء والتاء وسميت مكة أم القرى لأنها مكان أول بيت وضع للناس ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم
ولأنها أعظم القرى شأنا ولبعض المجاورين فمن يلق في بعض القريات رحله فأم القرى ملقى رحالي ومنتاها
والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة
ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك أن أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص
الصلاة لأنها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على أخواتها **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا**
أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله افترى على الله كذبا فزعم أن الله بعثه
نبيا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب أو كذاب صنعاء الأسود العنسي وعن النبي
صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحى الله إلي أن
انفخهما فنفختهما فطارا عني فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الأسود
العنسي ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله فكان
إذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما وإذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان
من سلالة من طين إلى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال
صلى الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه

ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث
والمستهزئون **ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم**
تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولو ترى جوابه
محذوف أي لرأيت أمرا عظيما إذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون
للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات الموت شدائده وسكراته وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة
الغالبة باسطوا أيديهم يبسطون إليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة
عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح
يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له أخرج إلي ما لي عليك الساعة ولا أريم مكاني حتى
أنزعه من أحداقك وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب أخرجوا أنفسكم خلصوها من أيدينا أي لا تقدرون
على الخلاص اليوم تجزون يجوز أن يريدوا وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول
الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة والهون الهوان الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء يريد
العراقة في الهوان والتمكن فيه عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة**
وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء
لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون فرادى منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه
وآثرتموه من دنياكم وعن أوثانكم التي زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم أول مرة على الهيئة التي ولدتم
عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم تحتملوا
نقيرا ولا قدمتموه لأنفسكم فيكم شركاء في استعبادكم لأنهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي
استعبادهم وقرئ فرادا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى **فإن قلت** كما خلقناكم في أي محل **قلت**
في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أي مجيئا مثل ما خلقناكم لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين
تريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف كما تقول
قوتل خلفكم وأمامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم **إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت**
ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين في
النواة والحنطة يخرج الحي من الميت أي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج هذه الأشياء الميتة
من الحيوان والنامي **فإن قلت** كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت **قلت**
عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى
لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي في حكم الحيوان ألا ترى
إلى قوله يحيي الأرض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي يحق له الربوبية فأنى تؤفكون فكيف تصرفون عنه

عمن تولية الى غيره **فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم** الإصباح
مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله افنى رياحا وبني رياح تناسخ الامساء والاصباح
بالفتح مصدرين وجمعي مسي وصبح **فان قلت** فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفرى ليل
عن بياض نهار **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي
يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الصبح
وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق قال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه
وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل
ويطمئن اليه استئناسا به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا تراهم سموها
المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله
لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس
والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل **فان قلت** كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف
اليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس **قلت** ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة
المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف
على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا
ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم
مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا
اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما **وهو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون** في ظلمات البر والبحر في ظلمات
الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات **وهو الذي انشأكم من نفس
واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون** من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان
مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في
الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او منكم مستقر ومنكم مستودع **فان قلت** لم قيل يعلمون مع
ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم **قلت** كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال
مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له **وهو الذي
انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل
من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره
اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون** فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي

يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل
فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات
الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل
منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة
من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو
وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زيادات التكسير دانية سهلة المجتنى
معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمر
لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر
او دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد
وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات
من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب
وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة لفضل هذين
الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل
يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله
كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل
على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به
وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على
قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن
ويانعه وقرئ وثمره **وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون** ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن
مفعولين قدم ثانيهما على الاول **فان قلت** فما فائدة التقديم **قلت** فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا
او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على
الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله
خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله
خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم
للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له واختلقوا له اي افتعلوا
له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه

ما اختلقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرّقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس وحرّفوا له بمعنى وزوّروا له اولاداً لان المزوّر محرّف مغيّر للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطاء او صواب ولكن رمياً بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية **بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم** بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر رداً على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسماً حتى يكون والداً والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنياً عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء **ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل** ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال **لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير** البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصراً في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلاً او تابعاً كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا يلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ** قد جاءكم بصائر من ربكم وهو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا جوابه محذوف تقديره

وكذلك

وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست اهل الكتاب ودرست بمعنى قدمت هذه الآية وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرس بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست اليهود محمداً وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمداً وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذات دروس كعيشة راضية **فان قلت** اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه **قلت** الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لما حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه **قلت** الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوماً او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيداً ويجوز ان يراد فمن قرأ درست ودارست درست الكتب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر **اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين** لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالاً من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقاً **ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما انت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم** ولا تسبوا الآلهة الذين يدعونهم من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله **فان قلت** سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي **قلت** رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر **فان قلت** فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا **قلت** ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال ام لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدواً ظلماً وعدواناً وقرئ عدواً بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدواً وعدواً وعدواناً وعداء وعن ابن كثير عدواً بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به **كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون** كذلك زينا لكل امة مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاقبهم **واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما**

الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به
أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون حتى جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله
وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها إلا على موجب الحكمة أو إنما الآيات عند الله لا عندي فكيف أجيبكم إليها وآتيكم بها وما
يشعركم وما يدريكم أنها أن الآية التي تقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون بها يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها
وأنتم لا تدرون بذلك وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل
وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون ألا ترى إلى قوله كما لم يؤمنوا
به أول مرة وقيل إنها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق أنك تشتري لحما وقال امرؤ القيس عوجا على الطلل
المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام وتقويها قراءة أبي لعلها إذا جاءتهم لا يؤمنون وقرئ إنها بالكسر على أن الكلام
قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من
جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون أي يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها
وما يشعرهم أن تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا
بها ونقلب أفئدتهم وأبصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون
وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا
عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم و
شأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم أي الله عز وجل وقرأ الأعمش وتقلب أفئدتهم
وأبصارهم على البناء للمفعول ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل
شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة
كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا أو تأتي
بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا أو جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا أي عيانا
إلا أن يشاء الله مشيئة إكراه واضطرار ولكن أكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من
حال قلوبهم عند نزول الآيات أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون إلا أن يضطرهم فيطمعون في إيمانهم
إذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف
القول غرورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء وأعدائهم
لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر وانتصب
شياطين على البدل من عدوا أو على أنهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم إلى بعض يوسوس شياطين
الجن إلى شياطين الإنس وكذلك بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض وعن مالك بن دينار إن شيطان الإنس
أشد علي من شياطين الجن لأني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي

عيانا وزخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا وأخذا على غرة
ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك أي ما عادوك أو ما أوحى
بعضهم إلى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة
وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على
أن اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في إليه يرجع إلى ما رجع إليه الضمير في فعلوه أي ولتميل إلى ما
ذكر من عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين أفئدة الكفار وليرضوه لأنفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من
الآثام أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه
منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين أفغير الله أبتغي حكما على إرادة القول أي قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم
بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي أنزل إليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل و
الشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم
وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والإلهاب كقوله ولا تكونن من المشركين أو فلا تكونن من الممترين في
أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به ويجوز أن يكون فلا تكونن خطابا لكل أحد
على معنى أنه إذا تعاضدت الأدلة على صحته وصدقه فما ينبغي أن يمتري فيه أحد وقيل الخطاب لرسول الله
خطاب لأمته وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وتمت كلمات ربك أي تم
كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئا من ذلك مما هو أصدق و
أعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك أي ما تكلم به وقيل هي القرآن وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك
عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم
بالمهتدين وإن تطع أكثر الناس أضلوك لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون أهواءهم ثم قال إن يتبعون إلا الظن وهو
ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وإن هم إلا يخرصون يقدرون أنهم على شيء أو يكذبون في أن الله حرم كذا
وقرئ من يضل بضم الياء أي يضله الله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين مسبب
عن إنكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون
أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا مما ذكر اسم الله
عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله
وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا
ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين وما لكم ألا تأكلوا وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا وقد فصل
وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل
وهو الله عز وجل إلا ما اضطررتم إليه مما حرم عليكم فإنه حلال لكم في حال الضرورة وإن كثيرا ليضلون قرئ

يتبع الهوى معهما أي يضلون فيحرمون ويحللون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة وذروا ظاهر الإثم و
باطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون ظاهر الإثم وباطنه ما أعلنتم منه وما أسررتم
وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون وإنه لفسق
الضمير راجع إلى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني فإن الأكل منه لفسق أو إلى الموصول على أن أكله
لفسق أو جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فإن قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين إلى جواز أكل ما لم يذكر
اسم الله عليه بنسيان أو عمد قلت قد تأوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أو فسقا أهل لغير الله به
ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تأويل من
تأوله بالميتة إنكم لمشركون لأن من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك ومن حق ذي البصيرة في دينه أن لا يأكل
مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وإن كان أبو حنيفة مرخصا في النسيان
دون العمد ومالك والشافعي فيهما أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله
في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر
مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق
لليقين الذي يميز به بين الحق والباطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس
مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص
منها وقوله كمن مثله في الظلمات لا ينفك منها لا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته
هذه ومعنى قوله في الظلمات ليس بخارج منها معنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها أنهار أي صفتها هذه وهي قوله فيها أنهار كذلك زين للكافرين أي زينه الشيطان أو الله عز وجل على قوله زينا
لهم أعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا
فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الأكابر
لأنهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله أمرنا مترفيها وقرئ أكبر مجرميها على قولك هم أكابر قومهم
وأكابر قومهم وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم
وعيد بالنصرة عليهم وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله روي أن الوليد بن المغيرة
قال لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا وروي أن أبا جهل قال زاحمنا بنو
عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن
يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة الله أعلم حيث يجعل رسالته
سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون وذل حقير بعد

الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عدلا مطردا وانتصابه على أنه حال مؤكدة كقوله وهو
الحق مصدقا لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون لهم لقوم يذكرون دار السلام دار
الله يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما يقول الفلان
عندي حق لا ينسى أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهو وليهم مواليهم
ومحبهم أي ناصرهم على أعدائهم بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا
يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا
الذي أجلت لنا ويوم يحشرهم منصوب بمضمر أي واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن أو ويوم
نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وقيل الجن والشياطين
قد استكثرتم من الإنس أضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الأمير
من الجنود واستكثر فلان من الأشياع وقال أولياؤهم من الإنس الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم ربنا استمتع
بعضنا ببعض أي انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها وانتفع الجن بالإنس
حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم وقيل استمتاع الإنس بالجن ما في قوله وأنه كان رجال
من الإنس يعوذون برجال من الجن فإن الرجل كان إذا نزل واديا وخاف قال أعوذ برب هذا الوادي من شر
كبير من الجن واستمتاع الجن بالإنس اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم وإجارتهم لهم وبلغنا أجلنا
الذي أجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كانوا عليه من طاعة الشياطين واتباع الهوى
والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك
حكيم عليم خالدين فيها إلا ما شاء الله أي تخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون
فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير فقد روي أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من
بعض فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم أو يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه
وقد طلب إليه أن ينفس عن خناقه أهلكني الله إن نفست عنك إلا إذا شئت وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه
بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله إلا إذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه
في صورة الاستثناء الذي فيه إطماع إن ربك حكيم لا يفعل شيئا إلا بموجب الحكمة عليم بأن الكفار يستوجبون
عذاب الأبد وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى
بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الإنس أو يجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا
بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا
على أنفسهم أنهم كانوا كافرين تقبيح لهم يوم القيمة على جهة التوبيخ ألم يأتكم رسل منكم يقصون واختلف في

ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من
جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلين في
الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله ولوا
الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الجن والانس قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم يأتكم لان الهمزة الداخلة على
نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم
محجوجون بها فان قلت ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت تتفاوت الاحوال
والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم و
جلودهم حين يختم على افواههم فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم قلت الاولى حكاية لقولهم كيف
يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة
الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام
لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى
بظلم واهلها غافلون ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف
اي الامر ذلك وانه لم يكن ربك مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم
على ان ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم
بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال
عن الظلم وعن كل قبيح ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ولكل من المكلفين درجات منازل مما
عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر
وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم
آخرين انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف
ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية
قوم آخرين اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلم قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا
على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر
ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل اي عامل على مكانتي التي انا

عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة
المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا
الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتفصى عنه ويعمل بخلافه فان قلت ما موضع من قلت
الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي عاقبة الدار العاقبة الحسنى
التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن
شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان
لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما لآلهتهم فاذا
رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكى ما جعلوه للاصنام تركوه
لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرأ فيه ان الله كان اولى بان يجعل
له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم اي قد
زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين
اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق
على المساكين فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء
ما يحكمون في ايثارهم آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك زين لكثير من المشركين قتل
اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما
يفترون وكذلك ومثل ذلك التزيين البليغ الذي هو علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من
سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما
لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على
البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه
فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة
القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما
سمج ورد زج القلوص ابي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته و
الذي حمله على ذلك ان رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد
شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم
وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب
ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين من الشياطين

فهو على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسرية ما فعلوه ما فعل المشركين
ما زين لهم من القتل او ما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا
مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم **وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها**
الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه
سيجزيهم بما كانوا يفترون حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به الذكر والانثى والواحد
والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج من التضييق
وكانوا اذا عينوا اشياء من حروثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون
النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما
يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه
انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك
التقسيم الى الله افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر
مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء **وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا**
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب
ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة
للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر ومحرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
ويجوز ان يكون التاء للمبالغة كما في رواية الشعر او يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذو
خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد
ولا يجوز ان يكون حالا من المستكن فيه لان الظرف لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الاضافة وفي مصحف
عبد الله خالص وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وان تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة
وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل وان يكن في بطونها ميت وقرئ
وان تكن بالتأنيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرأ اهل مكة وان تكن ميتة وان لم تكن ميتة فهم فيه شركاء
سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا
حلال وهذا حرام **قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء**
على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة
السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرئ قتّلوا بالتشديد
ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها **وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع**
مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده

ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات متروكات على وجه الارض
لم تعرش وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته
الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان
وسقفا ايضا عرشه مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل
والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله
فادخلوها خالدين وقرئ ثمره بضمتين **فان قلت** ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه **قلت**
لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا
اذا ادرك واينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق
على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة
المفروضة ومعناه فاعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت
يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة وتصدق بثمرها كله
ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطوها كل البسط فتقعدوا ملوما محسورا **ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا**
مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ
من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح
للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش
عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية **ثمانية ازواج من الضأن**
اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني
بعلم ان كنتم صادقين ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل
والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره
من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله
ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحوه تسميتهم
الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه كتسميتهم الزجاجة كأسا بشرط ان يكون فيها خمر والضأن اسم
جمع ضائن والمعز جمع ماعز وقرئ بفتح العين وقرأ ابي ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة في الذكرين للانكار
والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز على
طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما
تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكرين من جنسي الابل والبقر والانثيين منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا
يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا

يقولون قد حرمهما الله فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم
صادقين في ان الله حرمه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا ام كنتم شهداء
بل اكنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم
لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى
اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس
بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل
الناس وقال عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه
ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده
بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتشديد
للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا
ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فيما اوحي الي
تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا
ان يكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال
وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله
في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز
ان يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت فعلام تعطف اهل والام يرجع الضمير في به على هذا القول
قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك
غفور رحيم فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته
ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك
جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون ذي الظفر ما له اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم
فلما ظلموا حرم عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى
انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة
وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا
او اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمعنى او وبمنزلتها في قولهم

جالس الحسن او ابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات عليهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا
به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقناهم الوعيد واحللنا بهم العقاب
فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله واسع
الرحمة وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ومع ذلك ذو باس
مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما
اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا سيقول
الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون
بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك
كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاءوا بالتكذيب المطلق لان الله عز وجل ركب في العقول
وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من
الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل
والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان
تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه
لنا وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون له حجة ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا ما انتم الا
تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة
فلو شاء لهداكم اجمعين قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة
البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله
يقتضي ان تعلقوا دين من يخالفكم ايضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة تجمع
بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا
فلا تشهد معهم هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى
هاتوا شهداءكم وقربوهم فان قلت كيف امر باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما
ثم امره بان لا يشهد معهم قلت امره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود
لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا على شيء لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح
التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم مثل
شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم
بربهم يعدلون ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله
وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله فان قلت هل قوله م

شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم
يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما
يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فإضافة الشهداء إليهم وجيء بالذي للدلالة على أنهم شهداء معروفون
موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون
لكان معناه هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه
قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا
ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم
إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا
قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا
موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا
كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون تعال من الخاص الذي صار عاما وأصله أن يقوله
من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة أي أتل الذي حرمه
ربكم أو بحرم بمعنى أتل أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول وأن في ألا تشركوا مفسرة ولا للنهي فإن قلت هلا
قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلا من ما حرم قلت وجب أن يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا
ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله وبالوالدين إحسانا لأن التقدير وأحسنوا بالوالدين
إحسانا وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا فإن قلت فما تصنع بقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم
نفي الإشراك وأتل عليكم التوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وأن هذا صراطي مستقيما علة
للاتباع بتقدير اللام كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا بمعنى ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لأنه مستقيم أو واتبعوا صراطي إنه مستقيم فإن قلت إذا
جعلت أن مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك
وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالأوامر قلت لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا
فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضدادها وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس
الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من إملاق من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية
إملاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه إلا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم

تقدم

جی

هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ
أشده فادفعوه إليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما اتبع
الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج
فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة
القائل فما ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وقرئ وأن هذا صراطي
مستقيما بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطي على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وقرأ الأعمش وهذا صراطي وفي
مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف أبي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين
من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم أيادي سبا عن سبيله عن صراط
الله المستقيم وهو دين الإسلام وقرئ فتفرق بإدغام التاء وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل
منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه
الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن
كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة فإن قلت علام عطف قوله ثم آتينا
موسى الكتاب قلت على وصاكم به فإن قلت كيف صح عطفه عليه بثم والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت
هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب
فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك
وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب تماما على الذي أحسن تماما
للكرامة والنعمة على الذي أحسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين
أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر
أو تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا أجاد معرفته أي زيادة على علمه على وجه
التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي أحسن أي على الذي هو أحسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة
بالرفع أي على الدين الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما تكون
عليه الكتب أي على الوجه والطريق الذي هو أحسن وهو معنى قول الكلبي أتم له الكتاب على أحسنه أن تقولوا إنما
أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا
أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة أن تقولوا كراهة أن تقولوا على طائفتين يريدون
أهل التوراة وأهل الإنجيل وإن كنا هي إن المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والأصل وإنه
كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن عن دراستهم عن قراءتهم أي لم نعرف مثل دراستهم لكنا أهدى منهم لحدة

اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك حفظنا لايام العرب ووقايعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا
اميون وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ
الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف
الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون
عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او صدقها او تمكن
من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب كقوله الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي
بعض آيات ربك الملائكة ملائكة الموت او العذاب او يأتي ربك او يأتي كل آيات ربك بدليل قوله او يأتي بعض آيات
ربك يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الآيات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وعن البراء بن
عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة
قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة
العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات
ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون لم تكن
آمنت من قبل صفة لقوله نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي
آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من
قبل ظهور الآيات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت في
غير وقت الايمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جمع بين قرينتين لا ينبغي ان تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك
قل انتظروا انا منتظرون وعيد وتهديد وقرئ ان تأتيهم الملائكة بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي
هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم
الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون فرقوا دينهم اختلفوا على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة
وهي الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين
كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا
شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم وقيل هي
منسوخة بآية السيف من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم
لا يظلمون عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها
برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبع مائة وبغير حساب

ومضاعفة

ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة على عقابهم قل
انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين دينا نصب على
البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او القيم فيعل من قام كسيد
من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام نعت به وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا حال
من ابراهيم قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول
المسلمين ان صلاتي ونسكي اي عبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك
وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما آتيه في حياتي واموت عليه من الايمان والعمل
الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم
لاسلام امته قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى
ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة
آلهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية
غيره كما قال قل افغير الله تأمروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وهو
الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع
العقاب وانه لغفور رحيم جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر
الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في
الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون نعمة الله وكيف يصنع الشريف بالوضيع
والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف
العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة
يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى الله عليه واستغفر له اولئك
السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف مكية
غير ثمان آيات واسألهم عن القرية واذ نتقنا الجبل وهي مائتان وست آيات
بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه
لتنذر به وذكرى للمؤمنين كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة
فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق
الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف
قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فآمنه الله ونهاه عن المبالاة
فان قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا انذرهم وكذا اذا ايقن

انه من عند الله تحقيقه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت فما محل ذكرى
قلت يحتمل الحركات الثلث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير
والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى فان قلت النهي في
قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا اريتك ههنا اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا
تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من
دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم
عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية الا وهو
يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرئ ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون
الضمير في من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون
دين غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة
لتوكيد القلة وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا واقع
موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم
باسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما
يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون
فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده
الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على
الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي
واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس
فخبيث فان قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس قلت معناه اردنا
اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة
والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة
فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم
وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم
الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاءهم ربهم الا اعترافهم
لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم
خبر كان وان قالوا اسم ويجوز العكس فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم
بعلم وما كنا غائبين فلنسألن الذين ارسل اليهم اسند اليه الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسألن

المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين
عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم
عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان
عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم و
شهد عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين
راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اي والوزن يوم يسأل الله الامم ويسأل الرسل الوزن
الحق اي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر
اليه الخلائق تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد
عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في
موقف الحساب وقيل هو عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن
رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه
الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف بما كانوا باياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها ولقد
مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون مكناكم في الارض جعلنا لكم
فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهو ما يعاش به
من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف
ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين
ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من
نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين ما منعك الا تسجد لا
في الا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت ما فائدة زيادتها
قلت توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود و
تلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا واحتمه عليك حتما لا بد لك منه فان قلت لم سأله عن
المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه باصل آدم
وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب فان قلت
كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت قد استانف قصة اخبر فيها عن
نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه

وفيه انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا
ان يؤمر بما امر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر
العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل
الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما يقول الرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه
لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن
تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض **قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين فان قلت** لم اجيب
الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم **قلت** لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب
وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها
عباده **قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم** فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو
تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب وعن الاصم
امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي
كما فسدت بسببهم **فان قلت** بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن
قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان
تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله
لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكي عن طاوس انه كان في المسجد الحرام
فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا
لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ تهالكهم
على اضافة القبائح الى الله تعالى ان يلفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه
قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي
الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم والبشم فساد في المعدة لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق
الاسلام كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب
وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له
تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امراتك فعصاه
فقاتل **ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين**
ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه
كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك **فان قلت** كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم

بحرف

بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة **قلت** المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول
به فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها
فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين
تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى
استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرناه في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس
لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه و
خلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من
الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن
شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا
واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني
من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون
ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله
قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين مذءوما من ذأمه اذا ذمه
وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسئول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملأن جوابه وهو ساد
مسد جواب الشرط ومنكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انتم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك
بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين
على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره **ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل والهاء
بدل منها **فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين** فوسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي
وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس
له وموسوس اليه وهو الذي يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها
اليه ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان
كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول **فان قلت** ما للواو المضمومة
في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل **قلت** لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري
بالقلب الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملائكة بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها
كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى من الخالدين من الذين لا يموتون ويخلدون في الجنة ساكنين

وقرئ من سوءتهما بالتوحيد وسوّتهما بالواو والتشديد وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين وقاسمهما
وأقسم لهما إني لكما لمن الناصحين فإن قلت المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلاناً حالفته
وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كأنه قال لهما أقسم لكما إني لمن الناصحين وقالا له
أتقسم بالله أنت إنك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها أو أخرج قسم إبليس
على زنة المفاعلة لأنه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما و
طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما
إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
فدلاهما فنزلهما إلى الأكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة إنما يخدع المؤمن بالله وعن ابن
عمر أنه كان إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلباً للعتق فقيل له
إنهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الأكل منها وقيل الشجرة
هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما أي تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها
من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان
لباسهما من جنس الأظفار وعن وهب كان لباسهما نوراً يحول بينهما وبين النظر وطفق الطفوق بمعنى جعل يفعل
وقرأ أبو السمال وطفقا بالفتح يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستراها كما يخصف النعل بأن تجعل طرقة
على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصّفان بكسر الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصفان وقرأ الزهري
يُخصفان من أخصف وهو منقول من خصف أي يخصفان أنفسهما وقرئ يُخصِّفان من خصّف بالتشديد من
ورق الجنة قيل كان ورق التين ألم أنهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله
من عداوة إبليس وروي أنه قال لآدم ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال
بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحداً من خلقك يحلف بك كاذباً قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش
إلا كداً فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسميا ذنبهما
وإن كان صغيراً مغفوراً ظلماً لأنفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الأولياء والصالحين في استعظام
الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض
مستقر ومتاع إلى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون الخطاب لآدم وحواء وإبليس
بعضكم لبعض عدو في موضع الحال أي متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه مستقر استقرار أو موضع استقرار
ومتاع وانتفاع بعيش إلى حين إلى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به
الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فإنما أصابني الذي أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة
بماء وسدر وتراً وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا

بلغ

لبنيه هذه سنتكم بعده يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير
ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون جعل ما في الأرض منزلاً من السماء لأنه قضي ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من الأنعام
ثمانية أزواج والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباساً يواري
سوآتكم ولباساً يزينكم لأن الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه و
رياشاً جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى لباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره إما
الجملة التي هي ذلك خير كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر
وإما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير ولا تخلو الإشارة من
أن يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون إشارة إلى اللباس المواري للسوأة لأن مواراة السوأة من التقوى تفضيلاً
له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله
وأبي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في
الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفاً على لباساً وريشاً ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته
على عباده يعني إنزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب
ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة
والفضيحة وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم
من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا
الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما محن أبويكم بأن
أخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال أي أخرجهما نازعاً لباسهما بأن كان سبباً في أن نزع عنهما إنه يراكم هو تعليل
للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار
إن عدواً يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصمه الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بيّن أن الجن
لا يرون ولا يظهرون للإنس وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة
إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون أي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما
سوّلوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول فإن قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير
في يراكم المؤكد بهو والضمير في إنه ضمير الشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان أن يعطف
على اسم إن وأن يكون الواو بمعنى مع وإذا عطف على اسم إن وهو الضمير في إنه كان راجعاً إلى إبليس وإذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله
ما لا تعلمون الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي إذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها
فاقتدوا بهم وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم

لعلهم

والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قوله تعالى و
اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل
عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح
اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة قل امر ربي
بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا
هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم
مهتدون بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل امة وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم
وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود
او في كل مكان سجود وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا
كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم
فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان وفريقا حق
عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصابه بفعل يفسره
ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم اي الفريق الذي حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين
اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون
باختيارهم وتوليهم الشيطان دون الله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا
تسرفوا انه لا يحب المسرفين خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا
يطوفون بالبيت عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء
المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا
ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن
هيئة للصلوة وكان بنو عامر في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك
حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت و
البس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال
لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له
قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني
ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما
هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك

كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين
آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون زينة الله من الثياب وكل ما
يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام فيه انكار تحريم هذه الاشياء قيل
كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة
لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم
قلت لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم
اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال والرفع على انها خبر بعد خبر قل انما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل
شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم
لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره
ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة
بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في
استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم
يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك
لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء
والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم
تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن
تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا
جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام هنا
الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا يتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت
موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة والمعنى اين الآلهة الذين تعبدون قالوا ضلوا عنا غابوا
عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يجدوه في العاقبة قال ادخلوا
في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها
جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن

والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله تعالى و
اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل
عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح
اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة قل امر ربي
بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا
هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم
مهتدون بالقسط بالعدل وهو ما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم
وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود
او في كل مكان سجود وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا
كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم
فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان وفريقا حق
عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصابه بفعل يفسره
ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم اي ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين
اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون
باختيارهم وتوليهم الشيطان دون الله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا
تسرفوا انه لا يحب المسرفين خذوا زينتكم اي ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا
يطوفون بالبيت عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء
المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا
ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان يأخذ الرجل احسن
هيئة للصلوة وكان بنو عامر في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك
حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت و
البس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال
لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له
قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني
ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما
هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك

كتابكم

كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين
آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون زينة الله من الثياب وكل ما
يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام فيه انكار تحريم هذه الاشياء قيل
كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة
لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم
قلت لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم
اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر قل انما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هو ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل
شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم
لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره
ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة
بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في
استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم
يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك
لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء
والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم
تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن
تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا
جاءتهم رسلنا يتوفونهم غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام هاهنا
الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا يتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت
موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة والمعنى اين الآلهة الذين تعبدون قالوا ضلوا عنا غابوا
عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يجدوه في العاقبة قال ادخلوا
في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها
جميعا قالت اخريهم لاوليهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف و

لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون

قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالتاء والياء فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله لهم جميعا ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون تفتحا ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والياء على تنصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله تعالى وقرا ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس ان الله تعالى احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل يناسب الخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير ان لا يدخلوا الجنة حتى تلد سنم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلث وقرا عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن بان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل مجرم معاقب ثم كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا

ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرا الاعمش لا تكلف نفس من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث او تكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون ان في ان قد وجدنا يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله لهم في دخول الجنة يعرفون كلا من زمرة السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها او يلهمهم الله ذلك او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار

تداركوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادى أصحاب الأعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء
الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون اي فقالوا لرجال من رؤساء الكفرة
يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهزئون بهم
ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان حبسوا على الاعراف ونظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا لهم ما قالوا
وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتأخر على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه
في العمل ولا يتخلف عنده الا لتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا
ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته
ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه
ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ولم يتحولوا وقرأ الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة
على البناء للمفعول وقرئ دخلوا الجنة فان قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
قلت تأويله ادخلوا الجنة او دخلوها مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها
وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استئناف كأن سائلا سأل عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون
يعني حالهم ان دخولهم الجنة استأخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا
ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجالا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون
واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا
علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين اي صبوا علينا منه وهو دليل على ان الجنة فوق
النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لتدخل في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم الله من
الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع يأسهم عن الاجابة اليه حيرة في امرهم
كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهما عنهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر
كقوله حرام على عيني ان تطعم الكرى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم
كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون
عبيدهم من الخير لا يذكرونهم كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا له
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه
ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما فيه عبرة وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة اي
فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها هدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال

من مرفوعه هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا
بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما
كانوا يفترون الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد
قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين انهم جاؤوا بالحق او نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم
الاستفهام كأنه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب
زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرأ ابن ابي اسحاق او نرد بالنصب
عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى حتى ان اي يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع
فنعمل بمعنى فنحن نعمل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي
الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين يغشي الليل النهار وقرئ يغشّي بالتشديد اي يغطي الليل بالنهار اما النهار بالليل فيحملهما جميعا والدليل
على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل يطلبه
حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد بامره بمشيته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته
وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمى ذلك امرا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء وهو الذي صرفها
على حسب ارادته ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع
وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذلة اي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن
رحمه الله ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل
لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد
ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون
يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم
تضرعا وخفية ومما اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون
ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء يعني الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت
بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم
سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ
بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين ان رحمة الله قريب من المحسنين كقوله
واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف

عطوف اي تحرك قريب او على تشبيه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذلك به فقيل قتلاء واسرآء او على انه وصف لمصدر الذي هو الترقيق والتعقيب اولان تانيث الرحمة غير حقيقي وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون وقرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قال نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وقرئ نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح البآء مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون البلد الطيب الارض العذاة الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقولهم نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شي من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها الله لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم لقد ارسلنا جواب قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة

القسم

القسم قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي عليه السلام وقرئ غيره بالحركات الثلث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شي من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة وقرئ ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب وكان في معناه كما قال انا الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفاته واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهته اشياء لا علم لكم بها فقد وحي الي بها او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر لو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم وليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم فكذبوه فانجيناه والذين

معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين والذين معه من كانوا أربعين رجلاً
وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فإن قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق
بمعه كأنه قيل والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء أي أنجيناهم في السفينة
من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي
على عمى حادث ونحوه قوله ضائق به صدرك وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
أفلا تتقون أخاهم واحداً منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحداً منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف
بحاله في صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحاً وهوداً عطف
بيان له فإن قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال
سائل فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا
لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين
فإن قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح قلت كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن
سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله
وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز أن يكون وصفاً وارداً للذم لا غير في سفاهة في
خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفاً على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن
فيها غير منفك عنها وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام
الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن
وخلق عظيم وحكاية الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم
على ما يكون منهم أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ناصح أمين أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة
فما حقي أن أتهم أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه أوعجبتم أن جاءكم ذكر من
ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم
في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون خلفاء من بعد قوم نوح أي خلفتموهم في الأرض أو
جعلكم ملوكاً في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من أجرامكم ذهاباً في الطول والبدانة قيل
كان أقصرهم ستين ذراعاً وأطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه
وواحد الآلاء إلى نحو إنى وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب فإن قلت إذ في قوله إذ جعلكم خلفاء ما وجه
انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر
ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين أجئتنا لنعبد الله وحده أنكروا واستبعدوا
اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حباً لما نشأوا عليه وإلفاً لما صادفوا

آباؤهم يتدينون به فإن قلت ما معنى المجيء في قوله أجئتنا قلت فيه أوجه أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل
عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم
وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما
يجيء الملك وألا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب
كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب
قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم
ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا
دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين قد وقع عليكم أي حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم جعل
المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان أن
ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة
فضمه إلى صدره وقال له يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في أسماء سميتموها
في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم ومحال وجوده وهذا كقوله
ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيداً وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن
آخرهم وقصتهم أن عاداً قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود
والهباء فبعث الله إليهم هوداً نبياً وكان من أوسطهم وأفضلهم حسباً فكذبوه وازدادوا عتواً وتجبراً فأمسك الله
عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم
ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة
من أماثلهم سبعين رجلاً منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن
بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر
وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك
أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك
للقينتين فقالتا قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد إن عاداً قد أمسوا لا يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم
وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن
أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثداً لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع
دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثاً بيضاء و
حمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت

على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا
هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فإن قلت ما فائدة نفي الإيمان عنهم في قوله وما
كانوا مؤمنين مع إثبات التكذيب بآياتنا قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام
كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكن مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين
وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه
ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم
واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون
الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين وقرئ وإلى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة و
إلى ثمود بالصرف بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح وقيل
ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى قد جاءتكم بينة
آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي كأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال
والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير إليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه
الإيمان خاصة وهم ثمود لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم خصوصا
وإنما أضيفت إلى اسم الله تعالى تعظيما لها وتفخيما لشأنها وأنها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية
من آياته كما تقول آية الله وروي أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض وكثروا وعمروا
أعمارا طوالا حتى إن الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة و
رخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله إليهم صالحا وكانوا قوما عربا
وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم إلى الله فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه
آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو
آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم
وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال
لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فإن فعلت
صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عليه السلام المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا
ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما
بين جنبيها إلا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع
أعقابهم ناس من رؤوسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فإذا
كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تملأ أوانيهم

فيشربون ويدخرون قال أبو موسى الأشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا
وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه وإذا وقع البرد تشتت
ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار
لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا
اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه و
انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم
محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى
أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء
فتقطعت قلوبهم فهلكوا تأكل في أرض الله أي الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها
فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم ولا تمسوها بسوء ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء
من الأذى إكراما لآية الله ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه
لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل
الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي أتدري من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وقرأ
أبو جعفر في رواية تأكل في أرض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل في الأرض
في أرض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا أي تبنونها من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن
والآجر وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى أسيل حرة فإن قلت
علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة
لأن الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون
السهول في الصيف والجبال في الشتاء قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن
منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي
آمنتم به كافرون للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم ولمن آمن منهم
بدل من الذين استضعفوا فإن قلت الضمير في منهم راجع إلى ماذا قلت إلى قومه أو إلى الذين استضعفوا فإن قلت
هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل من
بعض المستضعفين منهم فدل أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم
يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه
قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة أتعلمون أن الله فوق العرش فإن قلت كيف صح قولهم إنا
بما أرسل به مؤمنون جوابا عنه قلت سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمرا معلوما مكشوفا مسلما

لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به مما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما **فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين** فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلم من قوله فذروها تاكل في ارض الله او شانه وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري ائتنا بما تعدنا اراد من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون من كونه من المرسلين **فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين** الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة التي تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي انه مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن **فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين** ظاهره انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعدما ابصرهم جاثمين تولي مغتم على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكن لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم **فان قلت** كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين **قلت** قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية **ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين** ولوطا وارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة

المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلم سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض **فان قلت** ما موقع هذه الجملة **قلت** هي جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به **انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون** انكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستأنف لتاتون الرجال من اتى المرأة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون **وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون** وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلم من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد **فانجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** واهله ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه **فان قلت** اي فرق بين امطر ومطر **قلت** يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حق غير مطور حقيق ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين **والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم**

خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين كان يقال لشعيب خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل
والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجبت عليكم الإيمان بي والأخذ بما آمركم
به والانتهاء عما أنهاكم عنه فأوفوا ولا تبخسوا فإن قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بأنه كانت له
معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه وإلا لم تصح دعواه
وكان متنبئاً لا نبياً غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام
ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع إليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن يكون
له الدرع من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت
قبل أن يستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب فإن قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما
في سورة هود قلت أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به
أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته
حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وفي أمثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل أشياءهم لأنهم كانوا
يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئاً إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين و
روي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعاً ثم أخذوها
بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفاً بعد إصلاحها بعد الإصلاح فيها أي لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها
الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم وإضافته كإضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى
بل مكركم في الليل والنهار أو بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف ذلكم إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان
وترك البخس والإفساد في الأرض أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الإنسانية وحسن
الأحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والسوية
إن كنتم مؤمنين إن كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون
عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم
يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان
في قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط أي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على أن المراد
بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أي ولا تقعدوا
موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجاً فإن قلت صراط الحق واحد وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب إلى معارف
وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا إذا رأوا أحداً يشرع في شيء منها أوعدوه وصدوه فإن قلت إلام يرجع

الضمير

الضمير في آمن به قلت إلى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله
موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد
فيقولون لمن مر بهم إن شعيباً كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق
وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجاً وتطلبون لسبيل الله عوجاً أي تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير
مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون تهكماً بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لأن طريق
الحق لا يعوج واذكروا إذ كنتم قليلاً إذ مفعول به غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلاً عددكم
فكثركم الله ووفر عددكم قيل إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء
فكثروا وفشوا ويجوز إذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين أو كنتم أقلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد
والعدد عاقبة المفسدين آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد
مما أصاب المؤتفكة فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا أي بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين
ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا إنا معكم متربصون أو هو عظة
للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز
أن يكون خطاباً للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوؤهم من إيمان من آمن منهم
حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لأن حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف قال الملأ
الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا
قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما
يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم في الكفر فإن قلت
كيف خاطبوا شعيباً عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم أو لتعودن في ملتنا وكيف أجابهم بقوله إن عدنا في
ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها والأنبياء لا يجوز عليهم من الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير
فضلاً عن الكبائر فضلاً عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين
دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعاً إجراء للكلام
على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها
وهو يريد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئاً من ذلك إجراء للكلام على حكم التغليب فإن قلت
فما معنى قوله وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم
في الكفر قلت معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا ومنعنا الألطاف لعلمه أنها لا تنفع فينا فيكون عبثاً والعبث
قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علماً أي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون ومنه أحوال

عباده كيف تحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على
الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما
لطمعهم في العود لان مشية الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو
واو الحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما
يصح ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف
بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف
اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما
ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان
المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله
في ذلك وزايد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما
على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم
شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وقال الملأ الذين كفروا
من قومه اي اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة
بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس
والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم
وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا
فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها وكذلك
كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا و
استوصلوا كان لم يقيموا في ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون
بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد
مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرايهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم فتولى عنهم وقال
يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين الاسى شدة الحزن قال
العجاج وانحلبت عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم
ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم لما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة
والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا ياسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى
وقرا يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء
لعلهم يضرعون الا اخذنا اهلها بالباساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع

نبيهم

نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يتضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان
السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله و
بلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر
اذا كثرت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستاسد القريان عاف نباته وقال ولكنا
نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا
هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده
فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان ناخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم
فجاة من غير شعور منهم ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن
كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا
في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان
ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لاتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا
فاخذناهم بسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها
عليهم كما تيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه
بالتلقين افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى
وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال
بات بياتا حسنا ومنه قوله فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته
العدو بياتا فيجوز ان يراد ان ياتيهم باسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كقوله
او يبيتهم باسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال اتيته ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس
اذا اشرقت وارتفعت والفاء والواو في افامن وامن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف
عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان
اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا
فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى وقرئ او
امن على العطف باو ومعنى يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء في
افامنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر
ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة
وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف

يخاف البيات او الضحى وقوله ان يأتيهم بأسنا بياتا او لم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون قرئ او لم يهد بالياء والنون وان لو نشاء مرفوع
بانه فاعله بمعنى او لم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشأن وهو انا لو
نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب
كأنه قيل او لم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى او لم يبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم
وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون
معطوفا على ما دل عليه معنى او لم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون
منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو
شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة
من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء
لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا
من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه
مبتدأ وخبر وحال ويجوز ان يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى ونقص خبرا بعد خبر فان قلت ما معنى
تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة
في قولك هو الرجل الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها قلت معناه ان تلك القرى
المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات
بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي
استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم
مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر
وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين
وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس
على الاطلاق اي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى وان
وجدنا وان الشأن والحديث وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز ان
يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن ثم انجاهم نكثوا
كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم
من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدأ والخبر و
الافعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان

عاقبة المفسدين من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم
مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها و
آذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي
كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين
يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكأنه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد
بن مصعب بن الريان حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل
قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع
قراءات المشهورة وحقيق على ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول
وهي قراءة ابي وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما قلب من الكلام لامن الالباس كقوله
وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع و
الثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له والثالث
ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب اذا تغنى الحمام الورق هيجني ولو تغربت عنها
ام عمار والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القرآن ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك
المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على
قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به فارسل معي بني اسرائيل
فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي
وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر و
اليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام فان قلت كيف قال له فأت بها بعد قوله ان كنت جئت بآية قلت معناه
ان كنت جئت من عند من ارسلك بآية فأتني بها واحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان و
روي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى
على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب
الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت
وصاح يا موسى خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فأخذه موسى فعاد عصا فان قلت بم يتعلق للناظرين
قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا
خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال
ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها

شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر
عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن
حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم إن هذا لساحر عليم أي عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه
حتى خيل إليهم العصا حية والآدم أبيض فإن قلت قد عزي هذا الكلام إلى فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله للملأ
وعزي ههنا إليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي ثم قوله وههنا قولهم أو قاله ابتداء فتلقنته منه الملأ فقالوه
لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما تفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة
ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك
بكل سحار عليم وقرئ سحار أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط
وقولهم فماذا تأمرون من آمرته فآمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام
فرعون قاله للملأ لما قالوا له إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم كأنه قيل فقال فماذا تأمرون قالوا أرجه و
أخاه ومعنى أرجه وأخاه أخرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما وقيل احبسهما وقرئ أرجئه
بالهمز وأرجه من أرجاه وأرجأه وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال
نعم وإنكم لمن المقربين فإن قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سأل ما
قالوا إذ جاءوه فأجيب بقوله قالوا إن لنا لأجرا أي جعلا على الغلبة وقرئ إن لنا لأجرا على الإخبار وإثبات
الأجر العظيم وإيجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم كقول العرب إن له لإبلا وإن له لغنما يقصدون
الكثرة فإن قلت وإنكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب
كأنه قال إيجابا لقولهم إن لنا لأجرا نعم إن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين أراد أني لا أقتصر بكم على الثواب وحده
وإن لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب إنما يتهنأ بما يصل إليه ويغتبط به
إذا نال معه الكرامة والرفعة وروي أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروي أنه دعا برؤساء
السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمرا من السماء
فإنه لا طاقة لنا به وروي أنهم كانوا ثمانين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا واختلفت الروايات
فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى إلا بما هو منه يعني
السحر قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس و
استرهبوهم وجاءوا بسحر عظيم تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين
قبل أن يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع وقولهم وإما أن نكون نحن الملقين فيه ما يدل
على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو إقحام الفصل وقد
سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وأن

ساحر

والكرم المنزلة ح

البعض

المعجزة لن يغلبها سحر أبدا سحروا أعين الناس أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه كقوله
يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وروي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فإذا هي أمثال الحيات قد ملأت الأرض
وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر
إنهم لو نوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك
فإذا هي تلقف ما يأفكون ما يأفكون ما موصولة أو مصدرية بمعنى ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق إلى الباطل و
يزورونه أو إفكهم تسمية للمأفوك بالإفك وروي أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال رفعها موسى فرجعت
عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا
لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين فوقع الحق فحصل
وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم أي فأثر فيها من قولهم قاع موقع وانقلبوا صاغرين وصاروا أذلاء مبهوتين
وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وألقي السحرة وخروا سجدا كأنما ألقاهم
ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا عن قتادة كانوا أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء
بررة وعن الحسن تراه ولد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر
بذلوا أنفسهم لله قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها
فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين آمنتم به على الإخبار
أي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد إن هذا
لمكر مكرتموه في المدينة إن صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها القبط وتسكنوا
بني إسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان وروي أن موسى قال
للساحر الأكبر أتؤمن بي إن غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وإن غلبتني لأؤمنن بك وفرعون يسمع فلذلك
قال ما قال فسوف تعلمون وعيد أجمله ثم فصله بقوله لأقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لأصلبنكم من خلاف من
كل شق طرفا وقيل إن أول من قطع من خلاف وصلب لفرعون قالوا إنا إلى ربنا منقلبون إنا إلى ربنا منقلبون
فيه أوجه أن يريدوا إنا لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك أو ننقلب إلى
الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب أو إنا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا
أو إنا لا محالة ميتون منقلبون إلى الله فما تقدر أن تفعل بنا إلا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات
ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وما تنقم منا إلا أن آمنا وما تعيب منا إلا الإيمان
بآيات الله أراد وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير أن
سيوفهم أفرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء إفراغا وعن
بعض السلف إن أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوبا ثم يقول مازحتك أي يغمره بالحياء والخجل أو صب علينا ما يطهرنا

من نصارى الآثام ومن الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة
لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام **وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون** ويذرك عطف على ليفسدوا
لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكأنه تركهم لذلك او هو جواب
للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار
ان تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على أتذر بمعنى
أتذره ويذرك اي أتطلق له ذلك او يكون مستأنفا او حالا على معنى أتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن و
يذرك بالجزم كأنه قيل يفسدوا كما قرئ وأكن من الصالحين كأنه قيل أصدق وقرأ انس رضي الله عنه ونذرك
بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك
لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على المملكة
قيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما تعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون
ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل
الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا
اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدثت المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على
يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد **قال موسى لقومه استعينوا بالله و
اصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك
حين قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكرهم
ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم **فان قلت** لم اخليت هذه الجملة عن الواو و
ادخلت على التي قبلها **قلت** هي جملة مبتدأة مستأنفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ
من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان تكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض
وان تكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس
ومعناه ان يتناولهم تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط و
ان المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب أبي وابن مسعود عطفا على الارض **قالوا اوذينا
من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر
كيف تعملون** اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم
بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب عسى ربكم
ان يهلك عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في

ارض

ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على
حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمة الله عليه ورضوانه انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته
رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له
وقال قد بقي فينظر كيف تعملون **ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون**
بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم
بمعنى اقحطوا قال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم
وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر و
تكذيبهم لآيات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون
اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية
**فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله
ولكن اكثرهم لا يعلمون** فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن
مستحقوها ولم تزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس فان تصبهم سيئة من ضيقة و
جدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت
الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك **فان قلت** كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف
الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة **قلت** لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه
واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهلا عددت
ايام الرخاء طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم
من الحسنة والسيئة وليس شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا
انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم
بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيرهم عند الله وهو
اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير **وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها
فما نحن لك بمؤمنين** مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج
اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب
السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كأنه قيل كف ما
تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين **فان قلت** ما محل مهما **قلت** الرفع بمعنى أيما شيء تأتنا به او النصب
بمعنى أيما شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على
اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس

تعلم

وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما
ويقول مهما جئتني أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية
بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فإن
قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها آية لاعتقادهم أنها آية وإنما سموها اعتبارا لتسمية
موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طفق
الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحد أن يخرج
من داره وقيل أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت
القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه أرضهم
وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة أيام وعن أبي قلابة الطوفان الجدري وهو أول
عذاب وقع فيهم فبقي في الأرض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن
بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله فأقاموا شهرا فبعث الله عليهم
الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت
بني إسرائيل منها شيء ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة أيام خرج موسى عليه السلام إلى
الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد إلى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا
فأقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول أبي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو أولاد الجراد
قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض وكان
يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج أحدهم عشرة أجربة
إلى الرحى فلا يرد منها إلا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان إلى جنبهم كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا
فأخذت في أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا
إلى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك أبدا فأرسل الله عليهم بعد شهر
الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم ولا يكشف أحد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب إلا
وجد فيه الضفادع وكان الرجل إذا أراد أن يتكلم وثبت الضفادع إلى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون
على الرقاد وكانت تقذف بأنفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا إلى موسى وقالوا ارحمنا
هذه المرة فما بقي إلا أن نتوب التوبة النصوح ولا نعود فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا
العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا إلى فرعون فقال إنه سحركم وكان يجمع بين القبطي
والإسرائيلي على إناء واحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي

الدم

الدم وللإسرائيلي الماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد حتى أن المرأة القبطية تقول لجارتها الإسرائيلية
اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فتصب الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك فكان يمص الأشجار
الرطبة فإذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا أجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله
عليهم الرعاف وروي أن موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي
أنه لما أراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب إن عبدك هذا قد علا في الأرض فخذه بعقوبة
تجعلها له نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من
النقم وقرئ القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى
مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وأنها عبرة لهم ونقمة على
كفرهم أو فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه أحوالهم وينظر أيستقيمون على ما وعدوا من أنفسهم أم ينكثون
إلزاما للحجة عليهم ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون
بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء إما أن تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين
أحدهما أسعفنا إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة أو ادع الله لنا متوسلا
إليه بعهده عندك وإما أن يكون قسما مجابا بلنؤمنن أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك إلى أجل
هم بالغوه إلى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى
حلوله إذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا
فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فانتقمنا منهم فأردنا الانتقام
منهم فأغرقناهم واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لأن المستنفعين
به يقصدونه بأنهم كذبوا بآياتنا أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها وأورثنا
القوم ثم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى
على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون القوم الذين كانوا
يستضعفون هم بنو إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والأرض أرض مصر والشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة
والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤوا في أطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الأرزاق
كلمة ربك الحسنى قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا إلى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الأحسن صفة
للكلمة ومعنى تمت على بني إسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الأمر إذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم
وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر
ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا هذه الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة

صبر ولم يتزلزل ديانته اولى الصبر وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى ما كان
يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوونه من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو اي
اقتناء جنات معروشات او ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون
بالكسر والضم وذكرا ابن زيد ان الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا
تصحيفا منه وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص
نبأ بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم
البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه
ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى
من بني اسرائيل بالمدينة وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى
اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون
روي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعدما اهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكرا لله فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون
على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل وقيل كانوا قوما
من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه و
جاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف ذكرها اجعل لنا الها صنما نعكف عليه
كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه ان
يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون
تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم
مما رأى منهم ولا اشنع ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا
كان فضاضا ويقال لكسارة الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم
هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفع
به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما
لان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم
البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال أغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم
على العالمين أغير الله ابغيكم الها غير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون غيركم من الاختصاص
بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجيب من طلبتهم
مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون
ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم يسومونكم سوء العذاب يبغونكم

شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت هو استيناف لا محل له ويجوز ان يكون
حالا من المخاطبين او من آل فرعون وذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون
بالتخفيف وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه
هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر
ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه
الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم
من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح
المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله بان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل
فيها بما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها
ههنا وميقات ربه ما وقته له من الوقت وضربه له واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد و
هرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح وكن مصلحا او واصلح
ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه ولما جاء موسى لميقاتنا و
كلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين
لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددناه ومعنى اللام الاختصاص وكانه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول اتيته
لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما
خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين
ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين ارني انظر اليك اي مكني عنده وارني نفسك
انظر اليك فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك
بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال
ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل
لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز
عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان
يكون في جهة ومنع المجبرة اياه في المعقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال
حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم
ودعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ ونبههم
على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة

ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني أنظر إليك فإن قلت هلا
قال أرهم ينظروا إليك قلت لأن الله تعالى إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا
أن يري موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى
أرني أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك
كان غيره أولى بالإنكار ولأن الرسول إمام أمته فكان ما يخاطب به أو ما يخاطب راجعا إليهم وقوله أنظر إليك
وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل
أن يجعل الله منظورا إليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن
عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فإن قلت ما معنى لن قلت تأكيد النفي الذي تعطيه
لا وذلك أن لا تنفي المستقبل تقول لا أفعل غدا فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا والمعنى أن فعله ينافي حالي
كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الأبصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان
لأن المنفي مناف لصفاته فإن قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر إلى الجبل بما قبله قلت اتصل
على معنى أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت
الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره
كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا
فإن استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من
استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالأرض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على أسلوب
عجيب ونمط بديع ألا ترى كيف تخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة
بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية أعني قوله فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل
فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وإرادته جعله دكا أي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير والدك
والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة أو أرضا دكاء مستوية
ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء أي مدها مستوية
وقرأ يحيى بن وثاب دكا أي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل
يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه إذا ضربه على رأسه ومعناه خر
مغشيا عليه غشية كالموت وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون
يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة فلما أفاق من صعقته قال سبحانك أنزهك مما لا يجوز عليك من
الرؤية وغيرها تبت إليك من طلب الرؤية وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فإن
قلت فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان

لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله فانظر إلى إعظام الله أمر الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل
بطالبيها وجعله دكا وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر وكيف سبح ربه ملتجئا
إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل
السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم
والقول ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفه قد شبهوه بخلقه
وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفه وتفسير آخر وهو أن يريد بقوله أرني أنظر إليك عرفني نفسك تعريفا
واضحا جليا كأنها إراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك أنظر إليك أعرفك معرفة
اضطرار كأني أنظر إليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية
هي في الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى قال لن تراني لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل
قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر إلى الجبل فإني أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجليها و
استقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته
جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا أول
المؤمنين بعظمتك وجلالك وأن شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين اصطفيتك على الناس اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم
برسالاتي وهي أسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن
من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطي التوراة يوم النحر فإن
قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هارون مصطفى مثله نبيا قلت أجل ولكنه كان تابعا له وردءا
ووزيرا والكليم هو موسى والأصيل في حمل الرسالة وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل
شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ذكروا في عدد الألواح وفي جوهرها
وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد خضراء
وياقوتة حمراء وقيل أمر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت
من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها كان عشرة أذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا
وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأ
حكام وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع
وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا
تحلفوا باسمي كاذبا فإن من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له
خذها عطفا على كتبنا ويجوز أن يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها للألواح أو لكل شيء لأنه

بلغ

يعني الأشياء أو الرسالات أو التورية ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل يأخذوا بأحسنها
أي فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يحملوا على أنفسهم في الأخذ بما
هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب لأنه
أحسن من المباح ويجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء سأريكم
دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل
فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في
أسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال أورني كذا و
أوريته ووجهه أن يكون من أوريت الزند كأن المعنى بينه لي وأنره لأستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة
حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون**
في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا و
إن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين
كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون سأصرف عن
آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها
من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها
هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن
اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم
عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا بإهلاكهم وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن
الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان أن يكون حالا بمعنى يتكبرون
غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده وأن يكون صلة لفعل التكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم
وإن يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ الكسائي وحمزة الرشد بفتحتين وقرئ سبيل الرشد
والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما أسعده من ركب الضلالة فإن رأى طريقا مستقيما أعرض عنه
تركه وإن رأى معتسفا مرديا اتخذه وسلكه فما أعجبه ذلك في محل الرفع أو النصب
على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه ولقاء الآخرة يجوز أن يكون من إضافة
المصدر إلى المفعول أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن إضافة المصدر إلى الظرف بمعنى ولقاء
ما وعد الله في الآخرة **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم**
ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين من بعده من بعد ذهابه إلى الطور فإن قلت لم قيل واتخذ
قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل إليهم لأن رجلا منهم باشره

ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه
وراضين به فكأنهم أجمعوا عليه والثاني أن يراد واتخذوه إلها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد
جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للإتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب
والفضة فإن قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم إنما كانت عواري في أيديهم قلت الإضافة تكون بأدنى ملابسة
وكونها عواري في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم ألا ترى إلى
قوله عز وعلا فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل جسدا بدنا ذا لحم
ودم كسائر الأجساد والخوار صوت البقر قال الحسن إن السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر
فقذفه في في العجل وكان عجلا له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر إذا صاح وانتصاب جسدا
على البدل من عجلا ألم يروا حين اتخذوه إلها أنه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من له
الجبروت والكمال لا ينفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق إلى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول
من الأدلة وبما أنزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه أي أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر وكانوا ظالمين واضعين
كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا أول مناكيرهم **ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا**
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما سقط في أيديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة
العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها وسقط مسند
إلى في أيديهم وهو من باب الكناية وقرأ أبو السميفع سقط في أيديهم على تسمية الفاعل أي وقع العض فيها وقال
الزجاج معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وإن كان محالا أن يكون
في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا أنهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم
تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين
كما قال آدم وحواء عليهما السلام وإن لم تغفر لنا وترحمنا **ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال**
بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم
إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين
الأسف الشديد الغضب وقيل أسفا أسفا منهم وقيل هو الحزين خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي
وهذا الخطاب إما أن يكون لعبدة العجل من السامري وأشياعه أو لوجوه بني إسرائيل وهم هارون عليه السلام
والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله
تعالى أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله فإن قلت أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل
مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فإن
قلت أي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء

عنه فاعلاموا العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد وكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة
البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا عما القوم ونحوه
تخلف من بعدهم خلفاء اي من بعد امثالك الموصوفين بالصفات الحميدة فقال اعجلتم عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه
ثم عليه فاعجلته عنه غيره ويضمن معنى سبق فعدي تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو
انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم
انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم
واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا
ما احدثوا والقى الالواح طرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا
لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني
اسرائيل من موسى وروي ان التورية كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباع
وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره
اليه بذؤابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف
ابن ام وقرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح يا الاضافة وابن امي بالياء وابن امم بكسر الهمزة والميم
قيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف
والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد
فذكره بحقها ان القوم استضعفوني بيني انه لم يأل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته
من بذل القوة في صدادهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء
عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك على
وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او لا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال رب اغفر
لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين لما اعتذر اليه اخوه وذكر شماتة الاعداء قال رب
اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه
الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا
والآخرة ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي
المفترين غضب من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل
مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء وقيل الذلة ضرب الجزية
المفترين المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحيوة الدنيا
بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحيوة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة

وباؤا بالغضب من الله والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم
والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وآمنوا
واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة
وهذا الحكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جناياتهم اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب
وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما
وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها
هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على
ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن
هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة
معوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما
سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها
وفي نسختها وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول
لان تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت واختار موسى قومه سبعين
رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين
واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ومنا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من
كل سبط ستة حتى تاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل
اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة
فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبى
فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان لا ياتيه الا باذنه
في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه
وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت
الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى من تبعة طلب
الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من
اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا ان هي الا فتنتك

أي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين
في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك إضلالا من الله وهداية منه لأن محنته لما كانت
سببا لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام أنت ولينا مولانا القائم بأمورنا
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت
كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون واكتب لنا وأثبت لنا
وأقسم لنا في هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة أو توفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة هدنا إليك تبنا إليك
هاد إليه يهود إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد واسجد كأنك هدهد
وقال أبو وجزة السعدي هدنا إليك وقيل الهادي من هاده يهيده إذا حركه وأماله ويحتمل أمرين أن يكون مبنيا للفاعل
والمفعول بمعنى حركنا إليك أنفسنا وأملناها وحركنا إليك وأملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين
فعلت من العيادة ويجوز عدت بالإشمام وعدت بإخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على لغة
اللغة أن يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي من حاله وصفته أي أصيب به من أشاء أي من وجب على
في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه ساغ لكونه مفسدة وأما رحمتي فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ
كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمتي وقال الحسن من أشاء من الأشياء فسأكتبها
الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم
بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه و
اتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون الذين يتبعون الرسول الذي نوحي إليه كتابا مختصا به
وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجدون نعته أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل مكتوبا عندهم
في التوراة والإنجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب في الشريعة
والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم
والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة الإصر
الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس
في صحة توبتهم وكذلك الأغلال مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا
كان أو خطأ من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق
الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي لبسوا المسوح

وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه
على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف وأصل العزر
المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لأنه منع من معاودة القبيح ألا ترى إلى تسميته الحد والحد هو المنع والنور
القرآن فإن قلت ما معنى قوله أنزل معه وإنما أنزل مع جبريل قلت معناه أنزل مع نبوته لأن استنباءه
كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز أن يتعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته
وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فإن قلت كيف انطبق هذا الجواب على
موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بني إسرائيل على
الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا
يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به كعبد الله بن
سلام وغيره من أهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في إخلاص الإيمان والعمل الصالح وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق
بينهم وبين أعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي
له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله و
كلماته واتبعوه لعلكم تهتدون إني رسول الله إليكم جميعا قالوا بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث
محمد صلى الله عليه وسلم إلى كافة الإنس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من إليكم فإن قلت الذي له ملك السماوات
والأرض ما محله قلت الأحسن أن يكون منتصبا بإضمار أعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز أن يكون
جرا على الوصف وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله إليكم جميعا وقوله لا إله إلا هو بدل من الصلة
التي هي له ملك السماوات والأرض وكذلك يحيي ويميت وفي لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم
كان هو الإله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره
وكلماته وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الإفراد وهي القرآن أو أراد جنس
ما كلم به وعن مجاهد أراد عيسى ابن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وإنما قيل إن
عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لأنه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون إرادة
أن تهتدوا فإن قلت هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله إني رسول الله إليكم قلت عدل عن الضمير إلى الاسم الظاهر
لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذي وجب الإيمان
به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري
إظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم
اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست
منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى

كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وإذ قيل لهم اسكنوا
هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد
المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا
يظلمون ومن قوم موسى أمة هم المؤمنون التائبون من بني إسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى أقدموا
على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق و
يدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك
النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من أعقابهم وقيل إن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا
تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الأرض فساروا
فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي
صلى الله عليه وسلم أن جبريل ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون
قالوا لا فقال هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله إن موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ
عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن
نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت
وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل إني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل
يزيد صلاحكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لكانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم
يبلغهم نسخها فكانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير وإلا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه
وسلم إلى كل أفق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق
الأرض ومغاربها إلا وقد ألقاه إليهم وملأ به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة و
قطعناهم وصيرناهم قطعا أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف
اثنتي عشرة أسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة
من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام فإن قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا
قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لأن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط
لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل وأمما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم
أمما لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى
لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة
قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا فإن قلت هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الإلباس وليجعل الانبجاس مسببا
عن الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر وأنه من انتفاء الشك عنه

بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به وقوله كلا أمما من نظير قوله اثنتي عشرة أسباطا وكل أمة من تلك الأمم لا اثنتي
عشرة ولا أمما وأسباط جمع غير تكسير نحو خال وشاة ونعام وأخوات لهاة ويجوز أن يقال إن الأصل الكسر والتكسير
والضمة بدل من الكسرة كما أبدلت في نحو سكارى وعبادى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلنا مظللا عليهم
في التيه وكلوا على إرادة القول وما ظلمونا وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون أنفسهم
ويرجع وبال الظلم إليهم وإذ قيل لهم واذكر إذ قيل لهم والقرية بيت المقدس فإن قلت كيف اختلفت العبارتان هاهنا
وفي سورة البقرة قلت لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا
هذه القرية وكلوا منها وبين قوله وكلوا لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها فقد جمعوا في الأكل
بين سكناها والأكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما وترك
ذكر الرغد لا يناقض إثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة
وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد
المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ تغفر
لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم على البناء للمفعول واسألهم عن القرية التي كانت
حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واسألهم وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير و
التقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والإعلام بأن هذا من علومهم التي لا تعلم إلا بكتاب أو وحي
فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك
أعدتم في السبت والقرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن أبي عمرو بن العلاء ما
رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه إذ
يعدون في السبت إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون
بمعنى يعتدون أدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلى العين ويعدون من الإعداد وكانوا يعدون آلات
الصيد يوم السبت وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود إذا
عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال للتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم
سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم إسباتهم
وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ علي رضي الله عنه لا يسبتون بضم الياء من أسبتوا وعن الحسن لا يسبتون
على البناء للمفعول أي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بأن يسبتوا فإن قلت إذ يعدون وإذ تأتيهم ما
محلهما من الإعراب قلت أما الأول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل
القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز أن يكون منصوبا بكانت أو بحاضرة ولما

منصوب بيعدون ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل والحيتان السمك وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرّعاً
ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان إذا دنا منا وأشرف
علينا وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب
فسقهم وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرةٌ إلى ربكم
ولعلهم يتقون وإذ قالت معطوف على إذ يعدون وحكمه حكمه في الإعراب أمة منهم جماعة من أهل القرية
من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم
لم تعظون قوماً الله مهلكهم أي مخترمهم ومطهر الأرض منهم أو معذبهم عذاباً شديداً لتماديهم في الشر وإنما
قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة إلى ربكم أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله لئلا ننسب
في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في أن يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرةً بالنصب
أي وعظناهم معذرةً إلى ربكم أو اعتذرنا معذرة فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء
وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
فلما نسوا يعني أهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به صالحوهم ترك الناسي لما ينساه أنجينا الذين ينهون عن السوء و
أخذنا الظالمين الراكبين المنكر فإن قلت الأمة الذين قالوا لم تعظون من أي الفريقين هم أمن فريق الناجين
أم المعذبين قلت من فريق الناجين لأنهم من فريق التاركين وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض
فيه حيث لم يروا فيه غرضاً صحيحاً لعلمهم بحال القوم وإذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه سقط عنه
النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر أو
الجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثاً منك ولم يكن إلا سبباً للتلهي بك وأما
الآخرون فإنما لم يعرضوا عنهم إما لأن يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الأولين ولم يخبروهم كما خبروهم أو
لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الأمة هم الموعوظون لما
وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون قوماً تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم وعن ابن عباس أنه قال ليت شعري
ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوماً قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه و
خالفوهم وقالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت
فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان معنى أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه و
اختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً
بيضاً سماناً كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم
جاءهم إبليس فقال لهم إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضاً تسوقون الحيتان إليها يوم السبت
فلا تقدر على الخروج منها فتأخذونها يوم الأحد فأخذ رجل منهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً إلى خشبة في الساحل

ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له إني أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ
في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحواً من سبعين
ألفاً فصار أهل القرية أثلاثاً ثلث نهوا وكانوا نحواً من اثني عشر ألفاً وثلث قالوا لم تعظون قوماً وثلث هم
أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون إنا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم نبي
الله داود عليه السلم فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن للناس شأناً
فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة أنسباءها من الإنس والإنس
لا يعرفون أنسباءهم من القردة فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول ألم ننهكم فيقول برأسه بلى
وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها
خزياً في الدنيا وأطولها عذاباً في الآخرة هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل
رجل مسلم ولكن الله جعل موعداً والساعة أدهى وأمر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأساً إذا اشتد
فهو بئيس وقرئ بئيس بوزن فيعل وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء كما قيل كبد في كبد وبيس على
قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وتشديد الياء وبيّس بوزن ريّس على قلب همزة بيئس ياء وإدغام
الياء فيها وبيس على تخفيف بيّس كهين في هيّن وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا
عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين عبارة عن مسخهم قردة كقوله إنما أمره إذا أراد شيئاً
أن يقول له كن فيكون والمعنى أن الله عذبهم أولاً بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله
فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب
إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن
العازم على الأمر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب
بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن على اليهود إلى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية
إلى المجوس إلى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر ومعنى ليبعثن
عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون
ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقطعناهم في الأرض وفرقناهم
فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين ومنهم دون
ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فإن قلت ما محل دون ذلك قلت
الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم
بمعنى وما منا أحد إلا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم ينتهون فينيبون فخلف من
بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض

مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة
خير للذين يتقون أفلا تعقلون فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ورثوا
الكتاب التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا
يعملون بها يأخذون عرض هذا الأدنى أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا
الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها
والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الأحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا
يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل مسند إلى الجار والمجرور ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون
وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين
وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة والمصر لا غفران له ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة
من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب
والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان إن
قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا لأنا لم نشرك بالله شيئا كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيه المداهنة فهؤلاء من
هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية والدار الآخرة خير من تلك الرشى الخبيثة للذين يتقون
الرشى ومحارم الله وقرئ ورثوا الكتاب وأن لا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا وأفلا تعقلون بالياء
والتاء فإن قلت ما موقع قوله أن لا يقولوا على الله إلا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق
الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله
وتقول عليه ما ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا
يقولوا ويجوز أن يكون أن مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق فإن قلت علام
عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا
ما فيه والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين والذين يمسكون بالكتاب
فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين والمعنى إنا لا نضيع أجرهم
لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر
من أحسن عملا والثاني أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله إنا لا نضيع اعتراضا وقرئ
يمسكون بالتشديد ويعضده قراءة أبي والذين مسكوا بالكتاب فإن قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة
ومنها إقامة الصلاة فكيف أفردت قلت إظهارا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان
وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا
ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وإذ نتقنا الجبل قلعناه ورفعناه كقوله

ورفعنا

ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو
سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف وظنوا أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا
أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن
قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه
اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت
عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فلذلك لا ترى
يهوديا تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه خذوا ما آتيناكم على إرادة القول أي وقلنا خذوا ما
آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الأوامر
والنواهي ولا تنسوه أو واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم واعملوا به ويجوز أن يراد خذوا ما آتيناكم من
الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا واذكروا
ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والإنذار لعلكم تتقون ما أنتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ
واذكروا بمعنى وتذكروا وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست
بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا
من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من
الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلا وإشهادهم على أنفسهم وقوله ألست
بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته و
شهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم
وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل
واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له
كن فيكون فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله إذ قالت الأنساع للبطن الحق
قالت له الريح الصبا قرقار ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى أن تقولوا مفعول له أي فعلنا ذلك
من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه
عليه أو كراهة أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على
التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما
لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم فإن قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت عنى ببني آدم
أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها في المشركين وأولادهم قوله أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا

من قبل والدليل على انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله وسئلهم عن
القرية واذ قالت امة منهم واذ تاذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا
افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتاسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك
نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون
وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد وان تقولوا بالياء واتل عليهم نبا الذي
آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين واتل على اليهود نبا الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله
فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار
قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين
روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا
عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص
لعلهم يتفكرون ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات
ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله
ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك
ان مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو
لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله
فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه
ولكنا لم نشا فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها
وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك
ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين
جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته
فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك
وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم
تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية
قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج
لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعدما قرأوا

نعت رسول الله في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به
فاقصص القصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو
سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم
ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل
القوم لما انبهم ساء انتصب اصحاب على التمييز لان تقديره ساء الاصحاب اصحاب مثل وقرا الجحدري ساء مثل
القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله
وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول
للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك
هم الخاسرون فهو المهتدي حمل على اللفظ فاولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا
من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك
كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف
لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون
ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لاغراقهم
في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا ياتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات
وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا
عجن بخمر واني لا اظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف
حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة
الكثير الذين لا يكاد الايمان ياتي منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار و
الاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في
الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون
ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها
فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه
بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض
الوجه يا نخي او ان يابوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهي الوصف
بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه

بشنيعة القبائح وشنيع الفحشاء والمكروبها مدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم
الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا
امة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم
مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وعنه صلى الله عليه وسلم ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن
الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير
مبين الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى
فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم
ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم اذا مات بعضهم في
اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما
يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا
معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما
هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله تعالى نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل
في حكم السين ان كيدي متين انما سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة
خذلان ما بصاحبهم محمد صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة
ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم
هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت
السموات والارض فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء مما خلق الله
مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة
والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول
العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان فان قلت بم
يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم
قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث
احق منه يريدون ان يؤمنوا من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون قرئ ويذرهم

بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله
لا يهده احد ويذرهم يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا
هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها
عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يسألونك قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة
ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش و
الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على
طولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ايان مرساها متى ارساؤها وقيل اشتقاقه من اي فعلان
منه لان معناه اي وقت واي فعل من أويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وأبى ان
يكون من أين لانه زمان واين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة ومرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي
اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى
الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله
انما علمها اي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل لكي يخفيها
فيكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا
يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها
المعين لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات
والارض اي كبرت على اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شأن الساعة ويتمنى ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها
وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا
يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تأتيكم الا بغتة الا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس
والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كأنك
حفي عنها كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه
استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله
واحفى في المسألة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استقصيت عنها السؤال حتى
علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك اي يسألونك عنها
كأنك حفي اي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها
كأنك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها
الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كأنك حفي بالسؤال
عنها تحبه وتتوقعه يعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه

فان قلت لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي عنها
وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون
قل لا املك هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي
اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت اعلم
الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني
شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير
ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير
والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير
محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا
لنكونن من الشاكرين من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم
من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان
الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه
محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن فذكر بعد ما انث في قوله واحدة ومنها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين
ان المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية
عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من
الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان اخفه علي كبدي حين
حملته فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت
فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت من المرية
كقوله افتمارونه وافتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك
اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما
الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه و
بريء وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا لنكونن لهما ولكل من يتناسل
ذريتهما فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون فلما آتاهما ما طلباه من
الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه

وكذلك

وكذلك فيما آتاهما اي آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان
من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما اشبه ذلك
مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله
صلعم آل قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يجارى وسؤدد
ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد
الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد
قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن
لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا في الولد ايشركون ما لا يخلق شيئا
وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون اجريت الاصنام مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون
بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون
لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون
ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لان عبدتهم يخلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم
لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم
ويحامون عليهم وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى اي ما هو هدى ورشاد او الى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم
كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ام صمتم عن دعائهم في انه لا فلاح معهم
فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله
دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم
لم يفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله
عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون
بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون
ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم استهزاء
بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا
عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقوله عباد امثالكم وقرأ سعيد بن جبير ان الذين
تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله
عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون

جميعاً انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه
آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال اني اشهد الله واشهدوا اني
بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين
والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون اذ دليل اي ان ناصري وحافظي
الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين
من عباده وانبيائه ولا يخذلهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا
يبصرون وهم لا يدركون المرئي خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك
من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى
لا ينفروا كقوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وقال الجزري العفو من شيمتي وخلقي ولا تستقص في حقوقي
وقيل خذ العفو الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا
او كرها والعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم
واحلم عنهم واغض على ما يسوؤك منهم وقيل لما نزلت الآية سال جبريل فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال
يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق رضي الله عنه
امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته
على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على
المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا
رب والغضب فنزلت واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي
شيطانا يعتريني ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم
يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون طيف من الشيطان لمة منه مصدر من طاف به الخيال يطيف طيفا او
اي الم بك الخيال يطيف او هو تخفيف طيف كلين من لان يلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف
وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان
المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه
فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم فلم يتبعوه انفسهم واما اخوان الشياطين الذين لم يتقوا
فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد
ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا او في له

واخوانهم

واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها فان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم
في مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم
الطاغوت واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من
ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبى اليه
فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها والمعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند
نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى
الي من ربي لست بمفتعل للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود
المؤمنون بها ابصارا بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم
ترحمون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلاة
وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صارت سنة في غير الصلاة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس
يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له
فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال
ولا تكن من الغافلين واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل
وغيرها تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فان الاخفاء ادخل في الاخلاص
واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو والآصال
الفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال
وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين الذين يغفلون عن ذكر
الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ان الذين
عند ربك يعني الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عنده دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على
طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويخصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من
المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس
سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة بسم الله الرحمن الرحيم سورة الانفال مدنية وهي سبع وسبعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله
واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد
ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا
على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال للسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل

ولزم الإمام الوفاء بما وعد به وعند الشافعي في أحد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر
وفي قسمتها فسألوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها أللمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول
الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن
ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان
نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها إن انهزمتم
وقالوا لرسول الله المغنم قليل والناس كثير فإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعن سعد بن
أبي وقاص قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت به إلى رسول الله
فقلت إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض
فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد أنزلت سورة الأنفال فقال يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه
وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله
من أيدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح
ذات البين وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام
وقرأ ابن مسعود يسألونك الأنفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال فإن قلت ما معنى الجمع بين
ذكر الله والرسول في قوله قل الأنفال لله والرسول قلت معناه أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها
على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر في قسمتها مفوضا إلى رأي أحد والمراد أن الذي
اقتضته حكمة الله وأمر به رسوله أن يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات
فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فإنهم إن فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من
التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله وأصلحوا ذات بينكم
وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا
غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فإن قلت ما حقيقة قوله ذات
بينكم قلت أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور
وهي مضمراتها لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا إنائك يريدون ما في
الإناء من الشراب وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الإيمان وموجباته
ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله إن كنتم مؤمنين إن كنتم كاملي الإيمان واللام في
قوله إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم
يتوكلون إنما المؤمنون إشارة إليهم أي إنما الكاملو الإيمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه

قوله أولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن أم الدرداء الوجل في القلب كإحراق السعفة أما تجد له
قشعريرة قال بلى قال فادع الله فإن الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة
سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لأن
ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ
وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت زادتهم إيمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة
نفس لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبي هريرة الإيمان بضع
وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من
الإيمان وعن عمر بن عبد العزيز إن للإيمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها
لم يستكمل الإيمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه الذين
يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة
ورزق كريم جمع بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلوة والصدقة
حقا صفة للمصدر المحذوف أي أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون
كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وعن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الإيمان إيمانان فإن كنت سألتني
عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت
سألتني عن قوله إنما المؤمنون فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد
أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا إلزام منه يعني كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا تقطع
بأنه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الإيمان وكان أبو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه أنه قال لقتادة
لم تستثني في إيمانك قال اتباعا لإبراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم
تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم
منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين
لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون كما أخرجك ربك فيه وجهان
أحدهما أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهة ما
رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر
في قوله الأنفال لله والرسول أي الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم
ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها مهاجره
ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق أي إخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد
عنه وإن فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت

من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر
جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا
بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم
أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها إني
رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه
حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم أن يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل
بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له إن العير أخذت طريق الساحل ونجت
فارجع بالناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف
ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير وأنا أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء
كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما
العير وإما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة
على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا
رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما
فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من
الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فإنا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت
بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما
مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو
يريد الأنصار لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا
فأنت في ذممنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون
الأنصار ترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا
رسول الله فقال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا
البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق
عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني
أنظر إلى مصارع القوم وروي أنه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس

وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد
أعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وإن فريقا من المؤمنين لكارهون والحق الذي جادلوا
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين
بعد إعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعير وهلا
قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم
إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل إلى القتل ويساق على الصغار إلى الموت المتيقن وهو مشاهد لأسبابه ناظر
إليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وروي أنه ما كان فيهم إلا فارسان **وإذ
يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق
بكلماته ويقطع دابر الكافرين** إذ منصوب بإضمار اذكر وأنها لكم بدل من إحدى الطائفتين والطائفتان العير و
النفير وغير ذات الشوكة العير لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم و
الشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح أي تتمنون
أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الأخرى أن يحق الحق أن
يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من
أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر
عبارة عن الاستئصال يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم
في أبدانكم وأحوالكم والله عز وجل يريد معالي الأمور وما يرجع إلى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو
الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم
بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم وأعزكم وأذلهم وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها وقرئ بكلمته
على التوحيد **ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني
ممدكم بألف من الملائكة مردفين فإن قلت** بم يتعلق قوله ليحق الحق **قلت** بمحذوف تقديره ليحق
الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله إلا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه **فإن قلت**
أليس هذا تكريرا **قلت** لا لأن المعنيين متباينان وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لغرضه فيما
فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي
هو سيد الأغراض ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى وقيل قد
تعلق بيقطع **فإن قلت** بم يتعلق إذ تستغيثون **قلت** هو بدل من إذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل
واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أي رب انصرنا على عدوك يا غياث
المستغيثين أغثنا وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى المشركين وهم ألف

اصحابه وهم ثلثماية فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد
في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله
كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب
فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرا اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة
من القول فان قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسماية ملك على الميمنة
وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسماية على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب رضي الله عنه في صور الرجال عليهم ثياب بيض
وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين
وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال
ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة
بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه
بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك
واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مداين قوم لوط واهلك بلاد
ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا اتبعه ومنه قوله تعالى
ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته
اذا جئت بعده ولا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا
يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي
يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا
على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا
الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن
قرا مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين
اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل
او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران
فان قلت فيم نعتذر لمن قرا على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم
غيرهم قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير
في وما جعله قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت ففيمن قرا بالكسر
قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل

عليه ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم
فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا
تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا
من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء
ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يغشيكم بدل ثان من
اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم
بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل
المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشيكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة
لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى
غير هذه القراءة قلت يجوز ان تكون الامنة بمعنى الايمان اي ينيمكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون
امنا فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنه
على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت
كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له
من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه
نظائر وقد الم به من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون الميم
ونظير امن امنة حيي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم
فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة وسوسة
من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرا الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها
حرف الجر بما جره وكانه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل
الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء
ونزل المسلمون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون
انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما
ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم
الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان
بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء و
يجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراة ثبتت القدم في مواطن القتال اذ يوحي ربك

إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق
الأعناق واضربوا منهم كل بنان إذ يوحي يجوز أن يكون بدلا ثالثا من إذ يعدكم وأن ينتصب بيثبت أني
معكم مفعول يوحي وقرئ إني بالكسر على إرادة القول أو إجراء الوحي مجرى القول كقوله أني ممدكم والمعنى أني معكم
على التثبيت فثبتوهم وقوله سألقي فاضربوا يجوز أن يكون تفسيرا لقوله أني معكم فثبتوا ولا معونة أعظم من
إلقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز أن يكون
غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وأن
يظهروا ما تيقنوا به أنهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي
فيقول إني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لنكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا فإن الله
ناصركم لأنكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الأعناق أعاليها التي هي
المذابح لأنها مفاصل فكان إيقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤس وقيل أراد الرؤس لأنها فوق الأعناق
يعني ضرب الهام قال: وأضرب هامة البطل المشيح * غشيته وهو في جأواء باسلة * عضبا أصاب سواء الرأس فانفلقا
والبنان الأصابع يريد الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأن الضرب إما واقع على مقتل أو غير
مقتل فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز أن يكون قوله سألقي إلى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا
الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قال قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب أو كأنه
قال كيف نثبتهم فقال قولوا لهم قولي سألقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك بأنهم شاقوا الله و
رسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار
ذلك إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبأنهم خبره أي ذلك
العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لأن كلا المتعادين في شق خلاف شق صاحبه
وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لأن هذا في خصم أي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق و
ذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لخطاب كل أحد منكم وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات
ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز أن يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه
كقولك زيدا فاضربه وأن للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا
هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وإن للكافرين
بالكسر يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم
يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيبا من زحف
الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم

اول البيت الاول واصول البيت
فصبرنا له او صرنا ومن ذكر البيت
باسلم اي تبعثان غضبا الاسنيا
باترا صواما الاركي الدرسم
ما سلفنا اليه عاشقين ١٢

قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم أو الحال من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين
هم ولستم أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من
الزحوف اثنا عشر ألفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ ومن يولهم يومئذ أمارة عليه إلا متحرفا
لقتال يريد الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم ينعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها أو متحيزا
انحيازا إلى فئة الجماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت
سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال
بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين
هلكت فررت من الزحف فقال عمر أنا فئتك وعن ابن عباس أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر فإن قلت
بم انتصب إلا متحرفا قلت على الحال وإلا لغو وعلى الاستثناء من المولين أي ومن يولهم إلا رجلا منهم متحرفا
أو متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لأنه من حاز يحوز فبناء متفعل منه
متحوز لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا أقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت وأسرت فلما
طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك
اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان
لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم
يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم
فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم بأن
الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع
وما رميت يا محمد إذ رميت ولكن الله رمى يعني أن الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو
رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم
فأثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن صورتها وجدت منه ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا
يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكأن الله هو فاعل الرمية على الحقيقة فكأنها لم توجد من الرسول أصلا
وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء
جميلا قال زهير فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعله إلا لذلك
إن الله سميع لدعائهم عليم بأحوالهم ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ذلكم إشارة إلى البلاء الحسن ومحله
الرفع أي الغرض ذلكم وأن الله موهن معطوف على ذلكم يعني أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين
وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذي هو التنوين والإعمال إن تستفتحوا فقد جاءكم

الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله
مع المؤمنين إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا
بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعاني إن كان محمد على حق فانصره وإن
كنا على حق فانصرنا وروي أنهم قالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وروي أن أبا جهل قال
يوم بدر اللهم أينا كان أفجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أي فأهلكه وقيل إن تستفتحوا خطاب للمؤمنين وإن
تنتهوا للكافرين يعني وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم وأسلم وإن تعودوا لمحاربته
نعد لنصرته عليكم وأن الله قرئ بالفتح على ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذا أوجه لتعضده
قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله
ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تولوا أي لا تتولوا فطرح إحدى التاءين وأعاد الضمير في عنه لرسول الله لأن المعنى
وأطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول
فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان ويجوز
أن يرجع الضمير إلى الأمر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم
غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم
وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال إن شر الدواب عند الله الصم
البكم الذين لا يعقلون أي إن شر من يدب على وجه الأرض أو إن شر البهائم الذين هم صم عن الحق
لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا
وهم معرضون ولو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا أي انتفاعا باللطف لأسمعهم اللطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين
ثم قال ولو أسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا
لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير
وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا
أصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون إذا دعاكم وحد
الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وإنما يذكر أحدهما مع
الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله
عليه وسلم مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتي قال كنت

أصلي قال ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني إلا أجبتك وفيه قولان أحدهما أن
هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير وإذا وقع مثله للمصلي
فله أن يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت ولبعضهم شعر
لا تعجبن الجهول حلته ... فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم لو تركوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله
ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يعني أنه
يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليما كما
يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا أنكم إليه تحشرون فيثيبكم على
حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة وقيل معناه أن الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته
ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو
جائز على الله عز وجل فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة على أنه يحول بين المرء و
الإيمان إذا كفر وبينه وبين الكفر إذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه أنه يطلع على
كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكأنه يحول بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء
ووجهه أنه قصد تخفيف الهمزة وألقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت ببكر واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب فتنة ذنبا قيل هو
إقرار المنكر بين أظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من أن يكون جوابا للأمر
أو نهيا بعد أمر أو صفة لفتنة فإذا كان جوابا فالمعنى إن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها
تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب وإذا كانت نهيا بعد أمر
فكأنه قيل واحذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم
منكم خاصة وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره
قوله شعر حتى إذا جن الظلام واختلط ... جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط أي بمذق مقول فيه هذا القول
لأن فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم
المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها
زمانا وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي أن
الزبير كان يسامر النبي صلى الله عليه وسلم يوما إذ أقبل علي رضي الله عنه فضحك إليه الزبير فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني أحبه كحبي لولدي أو أشد حبا قال
فكيف أنت إذا سرت إليه تقاتله فإن قلت كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر قلت لأن فيه
معنى النهي إذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبنكم ولا يحطمنكم فإن قلت فما معنى

أو في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبكم خاصة على
ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان
يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون اذ انتم
نصب على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة
قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين
فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم
لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا
واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم
ملوكا يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون معنى الخون النقص
كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء
فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكأنه
لم يف به ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به ولا اما تكم
فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد
منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر
يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات
واريحا من ارض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا ارسل
الينا ابا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى
هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله
ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب
الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله
لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر
دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم يجزئك الثلث ان تتصدق به
وعن المغيرة نزلت في قتل عثمن بن عفان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده
فان قلت وتخونوا جزم هو ام نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار
ان كقوله وتكتموا الحق وعن مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة
وان الله عنده اجر عظيم جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او
محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تحوطوا بطلبه مبا

يؤدي اليه همتكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله
المال والبنون الآية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده يا ايها الذين آمنوا ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم فرقانا نصرا لانه
يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا
وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في اقطار الارضين من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر
او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا
والآخرة واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله
له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم
امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من
تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري
رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب
المنون فقال ابليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه
على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم
فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق
هذا الفتى هو اجودكم رأيا فتفرقوا على رأي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل عليه السلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن له الله في الهجرة فأمر عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له
اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا
وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل الله مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربه
حتى اثبته لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات وعن
ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالاثبات ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم
حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تأثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل
ولا يصيب الا بما هو مستوجب واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا
اساطير الاولين لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم
الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يتطاردوا بالسيوف
دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعلقوا [illegible]

مع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يعنتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكهم على ان يغمروه وق
يل قائله النضر بن الحرث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي
جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل
وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم
ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما
فعلت باصحاب الفيل او بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان
تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا
حجارة وقوله هذا هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع
على ان هو مبتدأ غير فصل وهو في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت
كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب **فان قلت** ما فائدة قوله من السماء والامطار لا
يكون الا منها **قلت** كأنه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من
السماء موضع السجيل كما يقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم اي بنوع آخر من جنس العذاب
الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معوية انه قال
لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق
فاهدنا له **وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم** اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم
غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم
وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم ان لا يعذبهم
لما يضح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم
وما لهم ان لا يعذبهم **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه
نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله
معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين
وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا
المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما لهم ان لا يعذبهم الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا
حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وما كانوا اولياءه
عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره واربابه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين
ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره انما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة وعبدة الاصنام
ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة
العدم **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**
المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله
الصفة نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكا والبكاء والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى
او من صد يصد اذا قومك منه يصدون وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على
اسمه **فان قلت** ما وجه هذا الكلام **قلت** هو من قوله وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا
والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك انهم
كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون و
كانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل و
الاسر يوم بدر بسبب كفركم واعمالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم
كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينونا بهذا المال على حرب محمد
صلى الله عليه وسلم لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استأجر ليوم احد
الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا
إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون
ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم
تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر
الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لاغلبن انا ورسلي
والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه
جميعا والذين كفروا اي الكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الفريق الخبيث
من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع
والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم **فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون**
اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى
بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك
اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف **قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد**

فقد مضت سنة الاولين قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو
كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي في قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين
منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا
مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر و
المعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين وعنه صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله
وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق
الآدميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة
وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله عز وجل **وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير** وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا
يبقى منهم الا دين الاسلام وحده وان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم
وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة
الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فان الله مولاكم اي ناصركم
ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته **وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير واعلموا انما
غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم
آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير** ما غنمتم
ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب
ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهور آكد
واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف
الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من
النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون **فان قلت** كيف قسمة الخمس **قلت** عند ابي حنيفة انها كانت في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرباه
من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان
وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي
جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه
وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلثة

يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ع

اسهم

اسهم فلليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك
سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين
وابن السبيل واما عند الشافعي فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما
كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم
وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض
الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم
فغيرهم **فان قلت** ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه **قلت** يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى
وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص
من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب
الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه ان
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو
سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة
وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم
ان نعطي فقيركم ونزوج ايمكم ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى
من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان
نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين
فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي
ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من
شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة **فان قلت** بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله **قلت** بمحذوف يدل عليه اعلموا
المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس
الاربعة وليس المراد بالعلم العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم
آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان
الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر
على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم **اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة
القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا**

إذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الفتية والدنيا والقصوى تأنيث الادنى والاقصى فإن قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احديهما بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا تأنيث الاعلى واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدأ فإن قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كان اسفل منهم قلت الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذا الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بالاظهار والادغام لسميع عليم

يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور اذ يريكهم نصب باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في اعينكم في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراه اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع وإذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور وإذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور فإن قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا فإن قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المؤمنين في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تنازعوا فتفشلوا [illegible] منصوب باضمار ان

ابعجزيم لدخول في حكم النهي ويدل على التقدير قراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والنصب وقراءة من قرأ وتذهب
ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت
له الدولة ونفذ امره ومنه قوله شعر اتنظران قليلا ريث غفلتهم ، ام تعدوان فان الريح للعادي وقيل لم يكن
نصرة قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف
الراي نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط كالذين خرجوا من ديارهم
هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل
وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم
الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا
مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان
نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب
واذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا
يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم عليه فلما تلاقى الفريقان نكص
الشيطان وتبرأ منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم
يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس
في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال
لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام
فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث و
انطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى
بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رئي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ
من يوم عرفة لما يرى من تنزل الرحمة الا ما رئي يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا
عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت لكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم
اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم
اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على
حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم
وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل

على الله

على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع
الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالياء والتاء والملائكة
رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون
خبر وعن مجاهد وادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد
وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يضرب ثم يعطى الرجل القوي البطش ساعدا من حديد كمشبة الطبق
فيه زبانة ولا ينقبض منه ضربة على دبره ضربة واحدة بقوة تحدث في مكانه ويلتصق يضربون ما اقبل منهم وما ادبر
وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او
وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او ويقال لهم
يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام
للعبيد ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره
وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب
الكفار من العدل كالاثابة للمؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق
لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله
فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب الكاف في محل الرفع دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم
عادتهم وعملهم الذي داموا عليه اي داموا عليه وداوموا عليه وكفروا تفسير لدأب آل فرعون وذلك اشارة الى ما
حل بهم يعني ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا
ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية
فيغيروها الى حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك
كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه
ساعين في اراقة دمه ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله
سميع عليم غيروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع
لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم
بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة
دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى
القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر و
لجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا

بانا عاونوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وانطلق كعب بن
الاشرف الى مكة فحالفهم إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم
ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اي جعلهم شر الدواب
لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم
من خلفهم لعلهم يذكرون وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار فاما
تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكال
بهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك احد بعدهم اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال
المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعادن لتفرقه وقرأ ابو حيوة
من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه
لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم
يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا
يحب الخائنين وإما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على
سواء على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك
وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك
اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على سواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور
في موضع الحال كأنه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة على
انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون سبقوا افلتوا
وافلتوا من ان نظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح
بمعنى لانهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل
صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الاعمش ولا يحسب الذين كفروا بكسر
الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله
ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل
على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم
الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل
كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين من
قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان
تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء
وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل
وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له
انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى به عدو الله وعدوكم وآخرين
من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون وقرئ ترهبون
بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم
هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث
ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن وإن جنحوا للسلم
فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم جنح له واليه اذا مال والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب
قال شعر السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن
عباس ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين والصحيح ان الامر
موقوف على ما يرى فيه الامام حيث يرى صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا
ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر
في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله
هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين قال مجاهد يريد قريظة فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير اني وجدت
من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت
بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم والتأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء
والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
واتحدوا وانشأوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد
واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب
فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك سادتهم
ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد
والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم
الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذلك الا بلطيف صنعه
وبليغ قدرته يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب

صدره
اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا

تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال شعر فحسبك والضحاك عضب مهند
والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية
نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي
صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال
ان يكن منكم عشرون صابرون التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه
حتى يشفي على الموت او ان تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر ومحرضا فيه ليهيجه ويحركه منه
وقرئ حرص من الصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص وهو الحث وحرصه وحرشه وحرضه بمعنى يغلبوا
مائة حر — مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون وهذه عدة من الله وبشارة بان
الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي
ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته
ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان
عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا
جهل في ثلثمائة راكب فهزمهم فثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد
الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة
الف حر — يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف
وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء
في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين
في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة
على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة
الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض
تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم وقرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد
ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه
المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله
ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم
بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا
فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم
وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم فاضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر

وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال
صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد
من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضربة عنق
وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا
باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية
والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد تباكيت
فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي
انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي عرض الدنيا
حطامها سمي عرضا لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام
بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرئ بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء
المضاف اليه على حاله كقوله شعر ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنهم منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى
ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم لولا كتاب من الله سبق لولا
حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطأ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لانهم نظروا في
ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان
قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الغنيمة التي اخذوها وقيل
ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم
ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على نهي لم يعهد
اليكم فيه فان قلت ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم
وحلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم
اذا اتقيتموه بعدما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم يا ايها
النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم
في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان
وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة وفي قراءة

الا عمي يؤتكم خيرا وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا الطعام اهل بدر و
خرج بالذهب لذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب
ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت
خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله
والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله
وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك
فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه
وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرأ الحسن
مما اخذ منكم على البناء للفاعل وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم
وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم
ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رأيتم يوم بدر فليتوقعوا مثله ان عادوا الى الخيانة وقيل المراد بالخيانة
منع ما ضمنوا من الفداء ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين
آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم حبا لله ولرسوله هم
المهاجرون والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم
بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك
بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبيه بالعمل والصناعة
كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا ويباشر عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على
قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على
قوم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نقضه عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا و
جاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات
الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموالاتهم و
ايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوهم يتوارث بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي الا

تفعلوا

تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث وتفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة
ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة
لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير اولئك
هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته
من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء
عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا
معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم
والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات
اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه او في اللوح او في القرآن وهو آية
المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق
ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا سورة التوبة مدنية وهي مائة و
ثلاثون وقيل تسع وعشرون آية براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في
الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين لها عدة اسماء براءة التوبة
المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة
على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها
وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة
العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور قلت سأل عن
ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه السورة او الآية
قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا اين نضعها
وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك
لان في الانفال ذكر العهود وفي التوبة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ
والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى
اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع
الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة
فاهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا بأس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة

سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال ومعدودتان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول
ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال انهما سورتان
وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف
وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول
كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتداء لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل
من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام
التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم
فان قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا
فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب
المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي انهم عاهدوا
المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين
وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ
الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة
سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على موسم سنة تسع
ثم اتبعه عليا راكبا العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل
مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مأمور
قال مأمور وروي ان ابا بكر لما كان في بعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل
منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم
فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر
عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية
وعن مجاهد ثلاث عشرة آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد
نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ
عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو ولاه ابا بكر
لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا فان قلت الاشهر
الاربعة ما هي قلت عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم

وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم
اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر
من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في
ذي الحجة فان قلت ما وجه الطباق واكثر اهل العلم على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك
قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة واباح قتال المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي
مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء
من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا
بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة
على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد
والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت اي فرق بين معنى
الجملة الاولى والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فان قلت لم علقت
البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم
واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم
عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه
ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر
او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما
يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد
اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر ان الله بريء حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا
وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء اي بريء هو او على محل ان المكسورة
واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم
كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى
عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان
توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين اخذه
وعقابه فان قلت بما استثنى قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا لان الكلام
خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم

بينهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين
لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى
ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم
يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى
وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه
الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فقال صلى
الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم اداؤه
اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضي الله عنهما بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم **فاذا انسلخ
الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم** انسلخ الشهر كقولك انجرد الشهر
وسنة جرداء والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم
حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد
وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف
كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا
لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار وعن ابن عباس دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم
ما سلف لهم من الكفر والغدر **وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه
ذلك بانهم قوم لا يعلمون** احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع
بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك
وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن ويتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله و
يتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر
ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من
المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة
قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله
فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما
الاسلام وما حقيقته ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق **كيف يكون للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
ان الله يحب المتقين** كيف استفهام في معنى الانكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله

عليه وسلم ثم اضداده وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم
ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام
ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم
على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين **كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا
ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون** كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين
على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب
اي فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق
لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم ولا يرقبوا الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان لعمرك ان الك من قريش
كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقيل ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال
بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به
اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت الليها اذا ولولت ثم قيل
لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام
مبتدا في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وابا القلوب مخالفة
ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروة تزعهم
ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما
يثلم العرض ويجر احدوثة السوء **اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون**
عن سبيله حم
لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون اشتروا استبدلوا بايات الله بالقرآن والاسلام
ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة **فان تابوا واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون** فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم
فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه
قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة
عليها **وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم
ينتهون** وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا
بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم اسلموا واقاموا الصلوة و
اتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان و
الوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذووا الرياسة والتقدم

بمن لا يبقى كافر بعد إسلامهم تعالوا إذا طعن الذمي في دين الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لأن العهد معقود معه
على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة إنهم لا أيمان لهم جمع يمين وبكسر الألف شامي أي لا
إسلام لهم أو لا يعطون الأمان بعد الردة والنكث ولا سبيل إليه فإن قلت كيف أثبت لهم الأيمان في قوله وإن
نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم قلت أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان
وبه استشهد أبو حنيفة على أن يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي رضي الله عنه يمينهم يمين وقال معناه
لا يوفون بها بدليل أنه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا أئمة الكفر أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم
بعدما وجد منهم ما وجد من العظائم أن تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله
وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فإن قلت كيف لفظ أيمة قلت همزة بعدها همزة بين بين أي بين مخرج الهمزة
والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وإن لم تكن بمقبولة عند البصريين وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز
أن تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم
أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ألا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا
بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا أيمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا بإخراج
الرسول من مكة حين تشاوروا في أمره بدار الندوة حتى أذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدءوكم أول مرة
أي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم
به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم
بمثله وأن تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها
ويقرر أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن لا
يترك مصادمته وأن يوبخ من فرط فيها أتخشونهم تقرير على الخشية منهم وتوبيخ عليها فالله أحق أن تخشوه فقاتلوا
أعداءه إن كنتم مؤمنين يعني أن قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله
ولا يخشون أحدا إلا الله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم
مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم لما وبخهم الله على ترك القتال جرد
لهم الأمر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم أنه يعذبهم بأيديكم قتلا ويخزيهم أسرا ويوليهم النصر
والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن
وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون إليه
فقال أبشروا فإن الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد
كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء
كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ

ويتوب بالنصب بإضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون
كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل إلا ما اقتضته الحكمة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون أم منقطعة ومعنى
الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين
جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم و
المؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك وإيضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله
يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين
منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم
نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله
شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ما كان للمشركين ما صح لهم وما
استقام أن يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن
يراد المسجد الحرام وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه
مسجد والثاني أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا أن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي
هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقه طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته
القرآن من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين
عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم
حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا
لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر
فعيروهم بالشرك وطفق علي يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال
العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا إنا لنعمر المسجد الحرام
ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت أعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة فإذا
هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة إذا تعقبها فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث
جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم
إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى
أولئك أن يكونوا من المهتدين إنما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد أي إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها و
العمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر
درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي

صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا
تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه و
سلم قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور
أن يكرم زائره وعنه من ألف المسجد ألفه الله وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له
بالإيمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد
ضوؤه فإن قلت هلا ذكر الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان
بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك
أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله الإيمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر إقامة الصلاة وإيتاء
الزكاة فإن قلت كيف قيل ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى
في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه
أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى أولئك
أن يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها
وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى
اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام
ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم
الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله و
أولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا
إن الله عنده أجر عظيم السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف
تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي
وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم
المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وقيل إن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار
المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل إن عليا قال للعباس يا عم ألا تهاجرون
ألا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما
نزلت قال العباس ما أراني إلا تارك سقايتنا فقال صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا أعظم
درجة عند الله من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم وقرئ
يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في

المهاجرين خاصة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن
يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم و
أموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد
في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه
إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا
آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا
فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك
وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم
طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس إليه
وقرئ عشيرتكم وعشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وعيد وعن ابن عباس هو فتح مكة وعن
الحسن عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد
الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله
والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ
الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان
عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم
حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين
مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعه من
الصرف لأنه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية و
خيبر وفتح مكة فإن قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم
حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون
يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت
ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبه
فعلا خاصا به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين
وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف
فيمن ضامهم من إمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أبو بكر وذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم
فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا

حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي إلا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الأنصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أي ملتبسا بها لا أحلها سوى مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم سكينته رحمته التي سكنوا بها وأمنوا على المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وأنزل جنودا يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفا وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله أي يسلم بعد ذلك ناس منهم روي أن ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال إن عندي ما ترون وإن خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم وإما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن هؤلاء جاؤونا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون نجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن

من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل إنما المشركون جنس نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر على الموسم وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ويدل عليه قول علي حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وإن خفتم عيلة أي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الأرفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه أو من تفضله بوجه آخر فأرسل السماء عليهم مدرارا فأغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا إلى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس ألقى الشيطان في قلوبهم وقال من أين تأكلون فأمرهم الله بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية أو حالا عائلة ومعنى قوله إن شاء إن أوجبت الحكمة إغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم إن الله عليم بأحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع إلا عن حكمة وصواب من الذين أوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الإيمان بالله لأن اليهود مثنية والنصارى مثلثة وإيمانهم باليوم الآخر لأنهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن أبي روق لا يعملون بما في التوراة والإنجيل وأن يدينوا دين الحق وأن يعتقدوا دين الإسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا إذا اتخذه دينه ومعتقده وسميت جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالإعفاء عن القتل عن يد أي عن يد مواتية غير ممتنعة لأن من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا أعطى يده إذا انقاد وأصحب ألا ترى إلى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولكن على يد المعطي إلى يد الآخذ وأما على إرادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن إنعام عليهم لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون أي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وأن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أد الجزية وإن كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالإسلام عند أبي حنيفة ولا تسقط بخراج الأرض واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي إلا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الأوثان

على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية
العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا
عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون درهما ولا تؤخذ من فقير لا كسب
له وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم
الله انى يؤفكون عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه
امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله
او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة
وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن
قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد
موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل
عليه السلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا
فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا لانه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية
تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب فان قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم
بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ
من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه
مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم
قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة
معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم يبق شبهة في انتفاء الولد يضاهئون
لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه
فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي
قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل
الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون
بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في
غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء
قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اتخاذهم اربابا

انهم

انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله الله كما تطاع الارباب في اوامرهم ونحوه
تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن
حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليس يحرمون ما احل الله
فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وقال الفضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية
الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان
كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل و
النصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن
الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم
عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون مثل حالهم
في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد
الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله
على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت
الا زيدا قلت قد اجري ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف
اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال
الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما
كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ
الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب الاكل ومنه قوله ياكلن كل ليلة
اكافا اي علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة
في الشرائع والذين يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين
مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها على الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون
غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا
يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هي ثابتة و
انما عنى بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادي زكاته فليس بكنز و
ان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر ان رجلا ساله عن ارض له باعها فقال

احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ليس بكنز ما ادي زكاته وعن ابن عمر كل
ما اديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكره الله وان كان على ظهر الارض
فان قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة
قالها ثلثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة صالحة تعين احدكم على دينه وقوله
صلى الله عليه وسلم من ترك صفراء او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل ان يفرض الزكوة فاما
بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويودي عنه ما اوجب عليه فيه
ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها
وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا
والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها نفقة
فما زاد فهو كنز كلام في الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير الى المعنى
دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب
وقيار كذلك فان قلت لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون التمول واثمان الاشياء وما يكنزهما
الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما
سواهما فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت
معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى
فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما
حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر
القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرا تحمى بالتاء وقرا ابو حيوة فيكوى بالياء فان قلت لم خصت
الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنياوية من وجاهة
عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل
طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك
هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور
وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه
ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول
لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه

لتستضر

لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون اي وبال المال
الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات
والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
كافة واعلموا أن الله مع المتقين في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح
اربعة حرم ثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته
في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم
ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر
الى ما كانت عليه وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة
وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين
المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون
القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسيء
فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم
ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله
وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال
وان كان ذلك محرما في سائر الشهور كافة حال من الفاعل او المفعول مع المتقين ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان
النصرة لاهلها إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة
ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين النسيء تاخير حرمة الشهر
الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة
فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم وكانوا يحرمون من بين شهور العام
اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا
التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم
الوقت ولذلك قال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في
يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل وروي انه حدث
ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان
يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم
رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل

على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على أن الفعل لله تعالى وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسيء
مصدر نساه إذا أخره يقال نساه نساء ونسآء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن
جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسء بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسء فإن قلت ما معنى قوله فيحلوا
ما حرم الله قلت معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الا
ختصاص للأشهر بعينها زين لهم سوء أعمالهم خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي أي لا
يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ما لكم
إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة
الدنيا في الآخرة إلا قليل اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ الأعمش أي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والإخلاد
فعدي بإلى والمعنى ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه أخلد إلى الأرض واتبع
هواه وقيل ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ
فإن قلت فما العامل في إذا وحرف الاستفهام مانعه أن يعمل فيه قلت ما دل عليه أو ما في ما لكم من معنى
الفعل كأنه قيل ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمل في الحال إذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في
عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم
وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس
تمام العدة من الآخرة بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الأرض في جنب الآخرة إلا تنفروا يعذبكم
عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير إلا تنفروا سخط
عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما
آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه
لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن
وقيل أبناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا
ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده
بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم
فإن قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان أحدهما إلا تنصروه فسينصره
من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره في المستقبل
كما نصره في ذلك الوقت والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده
أسند الإخراج إلى الكفار كما أسند إليهم في قوله من قريتك التي أخرجتك لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله
له في الخروج فكأنهم أخرجوه ثاني اثنين أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأبو بكر

وأبو بكر رضي الله عنه روي أن جبريل صلوات الله عليه لما أمره بالخروج قال من يخرج معي قال أبو بكر وانتصابه
على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون وإذ هما بدل من إذ أخرجه والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على
مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل
الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر
رضي الله عنه فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما ألقى في قلبه من الأمنة التي
عندها علم أنهم لا يصلون إليه والجنود الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم إلى الكفر
وكلمة الله دعوته إلى الإسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع أوجه وهي فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة
الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في
سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته
عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وأذيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو
شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله عنهما نسخت بقوله ليس على الضعفاء
ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على
راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا
ألا إنه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له
عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع
وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة لو كان عرضا
قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل
منه البر والفاجر أي لو كان ما دعوا إليه مغنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا والشقة المسافة
الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونني
ولا بعد إلا ما تواري الصفائح بالله متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي
سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو
سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا لخرجنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والإخبار بما سوف يكون
بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطا

الايمان كانهم تناصحوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما
ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون
عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في
التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون
بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم
على الحكاية عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين عفا الله
عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطات وبئس ما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما كني عنه
بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن
حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر
بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين لا يستاذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك
في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه وسلم ابدا ولنجاهدن
معه باموالنا وانفسنا ومعناه ان يجاهدوا فضلا ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة
لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون انما يستاذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا يترددون
عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر ولو ارادوا الخروج لاعدوا
له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين وقرئ عده بمعنى عدته فعلا بالعدة
فاعلا بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ
عدة بكسر العين بغير اضافة وعده بالاضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا
الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا
عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف
رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان
بالوسوسة وقيل هو قول بعضهم لبعض وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود فان قلت كيف
جاز ان يوقع الله في قلوبهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم
كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة
فان قلت فلم خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لهم لم يكن للمصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه

واعتذروا

واعتذروا اليه وكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون
في ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى زائدة لهم تقوم بتلك
المصلحة وذلك انه اذا تثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم
بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت هو ذم لهم وتعجيز
والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون
والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا
خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في
شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس
المستثنى منه كقولك ما اتاني احد الا حمارا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع
الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان الاستثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم
شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين
يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم
لان الراكب اسرع من الماشي وقرا ابن الزبير ولارفضوا من رفضت الناقة رفضا اذا اسرعت وارفضتها انا قال والرافضات
الى منى فالغبغب وقرئ ولاوفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف قلت
كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف
اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه او لااذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون
ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون
حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك
الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل والسعي في
تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك
وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى
جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني
الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة و
هي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي
وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم

ولكني أعينك بالمال فاتركني وتعري ولا تفتني من افتتنه ألا في الفتنة سقطوا يعني أن الفتنة هي التي سقطوا فيها
وهي فتنة التخلف وفي مصحف أبي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى محيطة بالكافرين يعني أنها تحيط
بهم يوم القيامة أو هي محيطة بهم الآن لإن أسباب الإحاطة معهم فكأنهم في وسطها إن تصبك حسنة نعمة
وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون إن تصبك في بعض الغزوات
حسنة ظفر وغنيمة تسوءهم وإن تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد يفرحوا بحالهم فلا
عنك ويقولوا قد أخذنا أمرنا أي أمرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع
ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له إلى أهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا أعرضوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقرأ
ابن مسعود هل يصيبنا وطلحة لن يصيّبنا بتشديد الياء ووجهه يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم
الصواب وصاب السهم يصوب وصاب جمع المصيبة فحق يفعل منه يصوب الا انه تحول الى القطعم صوّب وأبى
إلا أن يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله أسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله إلا ما كتب الله
لنا مفيده معنى الاختصاص كأنه قيل لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة
ألا ترى إلى قوله هو مولانا أي الذي يتولانا ونتولاه وذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى
لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غيره فليفعلوا ما هو حقهم قل هل تربصون بنا إلا
إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم
متربصون إلا إحدى الحسنيين إلا إحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هو حسنى العواقب وهما النصرة و
الشهادة ونحن نتربص بكم إحدى السوأيين من العواقب إما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء
كما نزلت على عاد وثمود أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا إنا معكم متربصون
ما هو عاقبتكم فلا بد من أن يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم
قوما فاسقين أنفقوا في سبيل الله ووجوه البر طوعا أو كرها نصب على الحال أي طائعين أو مكرهين فإن قلت
كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو أمر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد ومعناه
لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة (آخره: لدينا ولا مقلية إن تقلت)
أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت إلينا أو أحسنت فإن قلت متى يجوز نحو هذا
قلت إذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فإن قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه
وهي أن كثيرا كأنه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعاملي بالإساءة والإحسان وانظري
هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة وفي معناه قول القائل أخوك الذي إن قمت بالسيف عامدا لتضرب لم يستغشك
وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه

فإن قلت ما الغرض في نفي التقبل أهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبوله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه
أم هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت يحتمل الأمرين جميعا وقوله طوعا أو كرها معناه طائعين
من غير إلزام من الله ورسوله أو ملزمين وسمي الإلزام إكراها لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقا عليهم كالإكراه
أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه
أو مكرهين من جهتهم وروي أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك فقال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا مالي أعينك به فاتركني إنكم تعليل لرد إنفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو وما منعهم أن تقبل منهم
نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون
أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه وقرئ أن يقبل بالياء والتاء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد
وقرأ السلمي أن يقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران
وكسلهم لأنهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين
وقالت في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب إلى هذه الآية
وأن الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي أن يسنده المؤمن إلى نفسه فإن قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد
جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم أنهم يبذلونه
من غير إلزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك إلا عن كراهة واضطرار لا عن
رغبة واختيار فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق
أنفسهم وهم كافرون الإعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما
أوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأن عرضه للتعب
والسبي والاغتنام منه بالآفات والمصائب وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم
وأذاقهم أنواع الكلف والمحاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية أولادهم فإن قلت إن صح تعليق التعذيب بإرادة
الله فما بال زهوق أنفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما
كأنه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة ويحلفون بالله
إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا
إليه وهم يجمحون لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام تقية
ملجأ مكانا يلجأون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة أو مغارات أو غيرانا وقرئ بضم الميم من أغار
الرجل وغار إذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء وأغرته أنا يعني أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم ويجوز أن
يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومغار أو مدخلا أو نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل
من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدّخلا من ادّخل وكما يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبي بن كعب متدخلا

وقرئ لولوا اليه لالتجأوا اليه يجمحون يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده
اللجام وقرأ انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد **ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن**
أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون يلمزك يعيبك في قسم الصدقات ويطعن عليك قيل هم
المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال
اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال ألا ترون الى
صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال صلى الله عليه وسلم احذروا هذا و
اصحابه فانهم منافقون وقيل يلمزك بالضم ويلمّزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز
ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجأة اي وان لم يعطوا
منها فاجأوا السخط **ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله**
ورسوله إنا إلى الله راغبون جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما
اصابهم به الرسول من الغنيمة وطاب به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما
قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما آتانا اليوم إنا الى الله في ان يغنينا
يخولنا فضله لراغبون **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب**
والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم إنما الصدقات للفقراء
قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كأنه قيل انما هي لهم
لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف
كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين
انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزأك وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين
فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية
وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة
الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على ان يسلموا
فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل يبتاع
الرقاب فيعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا
الحمالات فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن
ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه

فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة **فإن قلت** لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة
قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بأن توضع
فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين
من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع
بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب
والغارمين **فإن قلت** كيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم **قلت** دل بكون هذه
الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان
وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها **ومنهم الذين يؤذون**
النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم و
الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة
التي هي آلة السماع كأن جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن و
هو اذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن
في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه
اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بأنه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة
ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون
حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة
لما رأى الله من المصلحة في الابقاء عليكم يعني انه اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا
انه فسره بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة
القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه فبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن
سامعة قد سمع كلام المبلغ فيتأذى ونحن نأتيه معتذرين اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فنزل هو اذن خير لكم
وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما
تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلكم وقرأ نافع بتخفيف الذال **فإن قلت**
لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام **قلت** لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به
فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي
باللام ألا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية
انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم **فإن قلت** ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب
قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه **يحلفون**

بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين الخطاب للمسلمين
وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف
ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق
وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك إحسان زيد وإجماله
نعشني وجبر مني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار
جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فأن له على حذف الخبر أي فحق
أن له نار جهنم وقيل معناه فله وأن تكرير لأن في قوله أنه توكيدا ويجوز أن يكون فأن له معطوفا على أنه على أن
جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له نار جهنم وقرئ ألم تعلموا بالتاء يحذر
المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون كانوا يستهزئون
بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا أرانا إلا شر خلق الله لوددت
أني قدمت فجلدت مائة جلدة وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح
ذلك لأن المعنى يقود إليه ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت فيهم وفي معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى
تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة
منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الأمر بالحذر أي ليحذر المنافقون فإن قلت الحذر واقع على إنزال
السورة في قوله يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصل
مبرز لإنزال السورة أو لأن الله مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون إظهاره من نفاقكم ولئن سألتهم
ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح
قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا
وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر
بعضنا على بعض السفر أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا
كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي
حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف
عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة
فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد أظهرتم كفركم باستهزائكم بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن
نعف عن طائفة منكم بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين
على النفاق غير تائبين منه وإن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل

نعذب في العاجل طائفة بأنهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين وقرأ مجاهد إن تعف عن طائفة على
البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لأن المسند إليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت
بالدابة ولكنه ذهب إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة إن يعف
عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث وقرئ إن يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله
تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون
أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون بعضهم من بعض أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين و
تكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين
يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الإيمان والطاعات ويقبضون أيديهم شحا بالمبار
والصدقات والإنفاق في سبيل الله نسوا الله أغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون
هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه
هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم وإذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم
للمسلم أن يقول كسلت لأن المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم خالدين فيها
مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وأنه لا شيء أبلغ منه وأنه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من
سخطه وعذابه ولعنهم الله وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم
أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم
كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق
والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم
كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا و
الآخرة وأولئك هم الخاسرون الكاف محلها رفع على أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل ما فعل الذين
من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا بإضمار لم أر
وقوله كانوا أشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للإنسان أي قدر
من خير كما قيل له قسم لأنه قسم ونصيب لأنه نصب أي أثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج
الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه فإن قلت أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا
قلت فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية

عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وان يخسوا لذة الاستمتاع ويخصوا امر الدنيا به ثم شبه بعد ذلك حال
المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب
ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده
اليه عن تلك التقدمة حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن
الصالحين ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات
أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون واصحاب مدين واهل
مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب احوالهن
عن الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم
ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك
سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله
السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما تعني انك لا
تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف نؤتيهم اجورهم عزيز غالب
على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان
من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد
عدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه
عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول
الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله اكبر وشيء من رضوان
الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة
اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعيم وانما يتهنأ له
برضاه كما اذا علم بسخطه تنغص عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس
المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى
رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان اي هو الفوز
العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما
لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل
من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم

ومأواهم جهنم وبئس المصير جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهاد جميعا ولا تحابهم
وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها
عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكلح
والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله
ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة
وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن
ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا
لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق
وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده وقال
اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا
رسول الله لقد عرض علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم
واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند
مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن
ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل و
بقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر
لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا
وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في
ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة
بالقتل والنار ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله
بخلوا به وتولوا وهم معرضون روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني
مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا
وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد
فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس
بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض

فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال إن الله منعني أن أقبل منك
فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها إلى
أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها فجاء بها إلى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان رضي
الله عنه وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج فأعقبهم نفاقا
في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم
ونجواهم وأن الله علام الغيوب فأعقبهم عن الحسن وقتادة أن الضمير للبخل يعني فأورثهم البخل نفاقا متمكنا في
قلوبهم لأنه كان سببا فيه وداعيا إليه والظاهر أن الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم
فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف
الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد وقرئ ألم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما أسروه من النفاق
والعزم على إخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير
منعها الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر
الله منهم ولهم عذاب أليم الذين يلمزون محله النصب أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون في محل الجر بدلا من الضمير
في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية
آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما
أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن عن ثمانين ألفا وتصدق عاصم بن عدي
بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا
لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما
أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أراد أن يذكر
بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت إلا جهدهم إلا طاقتهم قرئ بالفتح والضم فيسخر الله منهم كقوله الله
يستهزئ بهم في أنه خبر غير دعاء ألا ترى إلى قوله ولهم عذاب أليم استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم
الفاسقين سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا أن يستغفر
لأبيه في مرضه ففعل فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت
سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله
لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وأن فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر والسبعون

جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي لأصبحن العاص وابن العاص سبعين ألفا ذوي القواصي فإن قلت
كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته والذي
يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة
لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال إظهارا لغاية
رحمته ورأفته على من بعث إليه كقول إبراهيم ومن عصاني فإنك غفور رحيم وفي إظهار النبي صلى الله عليه وسلم
الرحمة والرأفة لطف لأمته ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد
حرا لو كانوا يفقهون المخلفون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فأذن لهم و
خلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو
خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على
أنه مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم تعريض بالمؤمنين
وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وإيثارهم ذلك على الدعة
والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي الإيقان
قل نار جهنم أشد حرا استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة
الأبد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم مسرة أحقاب تلقيت بعدها مساءة يوم أريها شبه الصاب فكيف
بأن تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة أحقاب فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا
يكسبون معناه فيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم
واجب لا يكون غيره ويروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم
فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا
إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين وإنما قال إلى طائفة منهم لأن منهم من تاب عن
النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين
منهم فاستأذنوك للخروج يعني إلى الغزو بعد غزوة تبوك وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك وكان
إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم
من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار مع الخلفين على قصر الخالفين فإن قلت مرة نكرة
وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات قلت أكثر اللغتين
هند أكبر النساء وهي أكبرهن ثم إن قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر
مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم

على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه
قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي
يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعا ولده حباب الى جنازته فسأله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله
الحباب اسم لشيطان فلما هم بالصلوة عليه قال له عمر اتصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه
جبريل **فان قلت** كيف جازت تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه **قلت** كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له
وذلك ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا
فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ونأذن لك فقال لا ان لي في رسول الله
اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك ولاجابة له الى مسألته اياه فقد كان صلى الله عليه وسلم
لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات الكرام ولاكرام ابنه الرجل الصالح فقد روي انه
قال له اسألك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه
لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل
له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اومل من الله ان يدخل
في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر
الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه **فان قلت**
كيف جازت الصلوة عليه **قلت** لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما
في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلوة الا اني اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود
لانه كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل النهي **ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم
بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون** وتكرير قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له شأن في تقرير
ما نزل له وتأكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر
الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه
ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه **واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله و
جاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين** يجوز ان يراد السورة
بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان
فيها الامر بالايمان والجهاد وان آمنوا هي ان المفسرة اولوا الطول ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا مع

القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف **رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم
لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات و
اولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم**
فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول اي ان تخلف هؤلاء
فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا
فالذين عند ربك والخيرات جمع خيرة وهي تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان **وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم** المعذرون
من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون فادغمت
التاء في الذال ونقلت حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم
تثبت بهما قراءة ثم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف
وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لنا في
التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيء على اهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم
سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون
بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي
والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن
عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا
فظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان وقرئ كذبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم
من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم** الضعفاء الزمنى و
الهرمى والذين لا يجدون النفقة قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في
السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين على المعذورين الناصحين
ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم **ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما
احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستأذنونك و
هم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون** قلت حال من الكاف في
اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولقد
حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا الحمل
فلم يجدوها وهم البكاؤون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤون سبعة نفر من الانصار تفيض اعينهم من الدمع

كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل
ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز حزنا مفعول له الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي
هو حزنا فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استئناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة
والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله
اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استئنافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم
تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن
يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم و
سيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال
به وقوله قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله تعالى اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم
واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اتتوبون
ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم
جزاء بما كانوا يكسبون لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل
لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط
ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأواهم جهنم يعني و
كفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن
القوم الفاسقين لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان رضيتم عنهم
فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل
ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم وهم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا
ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء
عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما
انزل الله على رسوله والله عليم حكيم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم
وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر الا يعلموا واحق بجهل حدود الدين
وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم
يعلم كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق
مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه

الرجل ويعتبره لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان
ودوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا
به كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم السوء بالضم مكي وابو عمرو وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء
بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون
اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم
الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته
والله غفور رحيم قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول
لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى
وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله
للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي
التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا
الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء
وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم
باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا
وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا
سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم
القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على والسابقون ومعناه انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم
باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة و
آخرين منهم واوسط الحشر والذين جاءوا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه
بالواو فقال من اقرأك قال ابي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع
قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر رضي الله عنه
لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي اعمالهم
ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير
وفي سائر المصاحف تحتها بغير من وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا
تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون
وهم جهينة واسلم واشجع وغفار وكانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم

ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق على أن مردوا
صفة موصوف محذوف كقوله أنا ابن جلا وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاماً مبتدأ أو صفة لمنافقون
فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه إذا درب به وضري
حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك
وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في أمرهم ثم قال نحن نعلمهم أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على
سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطاناً ويبرزون لك ظاهراً كظاهر المخلصين من المؤمنين
لا تشك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به ولهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما
القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس أنهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فإنك منافق اخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج ناساً
وفضحهم فهذا العذاب الأول والثاني عذاب القبر وعن الحسن أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم ثم يردون إلى عذاب
عظيم إلى عذاب النار **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم**
إن الله غفور رحيم اعترفوا بذنوبهم أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على
أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن
حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم
على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم
من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذي يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه
أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً فنزلت خذ من أموالهم
عملاً صالحاً خروجاً إلى الجهاد وآخر سيئاً تخلفاً عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والإثم **فإن قلت** قد جعل
كل واحد منهما مخلوطاً فما المخلوط به **قلت** كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر
كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن
لأنك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما كأنك قلت
خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهماً بمعنى شاة بدرهم **فإن قلت**
كيف قيل أن يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم **قلت** إذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت
توبتهم **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلوتك سكن لهم والله**
سميع عليم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جواباً للأمر ولم يقرأ
وتزكيهم إلا بإثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب أو لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه

او بمعنى

أو بمعنى الإنماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب
الصدقة إذا أخذها وعن الشافعي رضي الله عنه أحب أن يقول الوالي عند أخذ الصدقة آجرك الله فيما
أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وجعله لك طهوراً وقرئ إن صلواتك سكن لهم يسكنون إليه وتطمئن
قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط
ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقرئ ألم تعلموا
بالتاء وفيه وجهان أحدهما أن يراد المتوب عليهم يعني ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أن الله يقبل
التوبة إذا صحت ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وأن الله من شأنه قبول
توبة التائبين وقيل معنى التخصيص فيه أن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الله هو الذي يقبل التوبة
ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه وقيل لهؤلاء التائبين اعملوا فإن عملكم لا يخفى خيراً كان أو شراً على الله وعباده
كما رأيتم وتبين لكم والثاني أن يراد غير التائبين ترغيباً لهم في التوبة فقد روي أنهم لما تيب عليهم قال الذين
لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت **فإن قلت** فما معنى قوله
ويأخذ الصدقات **قلت** هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل
والمعنى أنه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة
وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم وقرئ مرجؤن ومرجأ أرجيته
وأرجأته إذا أخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم إما يعذبهم إن بقوا على الإصرار
ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم إن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على
السواري وإظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحداً لا ينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم
فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله والله غفور رحيم وإما للعباد أي خافوا عليهم العذاب وارجوا
لهم الرحمة **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله**
من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون في مصاحف أهل المدينة والشام الذين
اتخذوا بغير واو لأنها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون
على سائر قصصهم روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم
فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجداً ونرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي فيه ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم وهو الذي
سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوماً يقاتلونك

الا قاتلتكم معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان
استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا
مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة
والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا
ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن
عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه
ففعلوا وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة
لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد
قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا لمن حارب الله ورسوله واعدادا لاجل من حارب الله
ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة
او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه
لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه
فانه بني على ضرار وكل مسجد بني ضرارا او رياء وسمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء
لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار
احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله و
المقيمين الصلاة وقيل هو مبتدأ وخبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق
والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف ان
اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله تعالى
والتوسعة على المصلين لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال
يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى
لان الموازنة بين مسجدي قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد
الخدري سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض
وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل
لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار
جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه
وسلم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال

صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله
عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا
لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان
يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه و
يحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب
بمحبوبه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار
به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين قرئ اسس بنيانه واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس
بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح والكسر جمع اس وآساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا واس
بنيانه والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس
بنيانه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف
هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان
قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم
على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل
كأنه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير و
جرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى
على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه
ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل
وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين
قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده
وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه وروي ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار
فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ان يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم
فقال لا ولا نعمة عين أليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم
اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرءون من القرآن
شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلاة بقومه لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم
والله عليم حكيم ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم و
نفاقهم كما قال تعالى ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم

تصميما على النفاق ومقتا للإسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب
شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره إلا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق
تفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر
التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور
أو في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على أن الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي إلا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن إلى أن وفي قراءة عبد الله ولو
قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه إلا أن يتوبوا توبة
تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى
بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم مثل الله إثابتهم
بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشرى وروي تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه
فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها وروي أن الأنصار حين بايعوه
على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به
شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع
لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله تعالى
قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الأمر كقوله وتجاهدون
في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس
وعدا عليه حقا مصدر مؤكد أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته في التوراة والإنجيل كما
أثبته في القرآن ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه
عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن وأبلغ منه التائبون العابدون
الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المؤمنين التائبون رفع على المدح أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله
وأبي والتائبين بالياء إلى والحافظين نصبا على المدح ويجوز أن يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج
أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وإن لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى
وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر
أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرءوا من
النفاق والعابدون الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون

شبهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الأرض يطلبونه في
مظانه ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم
أنهم أصحاب الجحيم روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمه أبي طالب أنت أعظم الناس علي حقا وأحسنهم عندي يدا فقل كلمة
أن تجب لك بها شفاعتي فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل أي أبويه أحدث به عهدا
فقيل أمك آمنة فزار قبرها بالأبواء ثم قام مستعبرا فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته
في الاستغفار لها فلم يأذن لي فنزلت وهذا أصح لأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل
استغفر لأبيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه وهذا محمد
يستغفر لعمه فنزلت ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لأنهم
ماتوا على الشرك وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله
تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم وقرأ طلحة وما استغفر إبراهيم لأبيه وعنه وما يستغفر إبراهيم على حكاية الحال
الماضية إلا عن موعدة وعدها إياه أي وعدها إبراهيم أباه وهو قوله لأستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد
الراوية وعدها أباه فإن قلت كيف خفي على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت يجوز أن يظن أنه ما دام
يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما علم بالوحي لأن العقل يجوز أن يغفر الله
للكافر ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمه لأستغفرن لك ما لم أنه عنه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إن فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لأبويه
وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر إبراهيم لأبيه فإن قلت فما معنى قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه
قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي أنه لن يؤمن وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله
من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم أواه فعال من أوه كلأال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه أنه لفرط
ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لأرجمنك وما كان الله
ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم إن الله له ملك السماوات و
الأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يعني ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين
وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم إلا إذا أقدموا
عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بأنه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون
بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود
النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي أن يغفل عنها وهي أن المهدي للإسلام إذا أقدم على بعض محظورات الله
داخل في حكم الإضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فأما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة
فغير موقوف على التوقيف لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة

من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم تاب الله على النبي كقوله ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو
محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة
التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه
للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق
كما استعملت الغداة والعشية واليوم غداة طفت علماء بكر بن وائل عشية قارعنا جذام وحميرا اذا جاء يوما وارثي يبتغي
والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود
والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها
الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب
القحط والضيقة الشديدة كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة
والخروج معه وفي كاد ضمير الشأن وتشبيهه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله
من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد
ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم وعلى الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو
التواب الرحيم الثلثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن
ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم
وقرأ جعفر الصادق خالفوا وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في
امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها
انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا
ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان
ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني
انه كان لاحدهم عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال
يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه
ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لاخر
الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله
فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره

ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن
ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب
والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في
الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت
عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في
عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا
احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا
بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت
وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله
عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم
مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق
على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله وكونوا مع الصادقين مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا
وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثلهم في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخطاب لمن آمن
من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل
لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان
يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ما كان لاهل المدينة ومن
حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب
ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به
عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء و
الضراء وان يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما
بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر

الانفس اليها فتتهافت فيما تعرضت له ولا تكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا
ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم
وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دلهم عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من
وجوب مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد
ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم
تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤونهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة
او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز
ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله صلى الله عليه وسلم آخر وطأة وطئها
الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل
ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم
ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام
وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله ان المدد القادم بعد انقضاء
الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه
وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن ابي امية وزياد بن
لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعدما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي رضي الله عنه
لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماء وظماءة **ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون** ولا ينفقون نفقة
صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا
اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منعرج من جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل
من ودي اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك
الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق
بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** اللام لتاكيد النفي
ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة
لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير
الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير
ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم و

ليجعلوا

ليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من
الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه
بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا
لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم
فما ابعد هؤلاء من قوله تعالى لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله
فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك
وبعدما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن
استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون
حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا
الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا
اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه **يا ايها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين** يلونكم
يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر
عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم
قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق
وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن
عمر انه سئل عن الديلم فقال عليك بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلث فالغلظة كالشدة والغلظة
كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة
والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله مع المتقين ينصر من اتقاه فلم يجترأ على عدوه
**واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم
يستبشرون** فمنهم من يقول فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا و
استهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالا
وقرأ عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد
لليقين والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على
الاعتقاد والعمل **واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون** فزادتهم
رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم
وتضاعف عقابهم **اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون**

جزء ١

قرئ اولا ترون بالتاء والياء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا يتوبون ولا يتوبون
من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيعاينون امره وما ينزل الله عليهم من نصرته وتأييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى
بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا
بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا
الضحك فنخاف الافتضاح او ترامقوا بينهم يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من
احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم
عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا لقد جاءكم
رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم من انفسكم من جنسكم
او من نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي
شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب
حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم
رءوف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة
وعائشة وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله رءوف رحيم
فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم فان تولوا فان
اعرضوا عن الايمان بك فما يضرونك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ
العظيم بالرفع وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد من الخلق قدره وعن ابي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم
رسول وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله
احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات
بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك آيات
الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتمالها عليها ونطقه بها
او وصف بصفة محدثه قال الاعشى وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها أكان للناس عجبا أن
أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون
إن هذا لسحر مبين الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود عجب على
انه اسم وهو نكرة وان اوحينا خبر وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان يكون كان تامة وان اوحينا بدل
من عجب [illegible] فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك كان عند الناس عجبا

معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند
الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد
كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر
بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى
قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا
لان الله انما يختار للنبوة من جمع اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من
تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى
فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر
الناس وان لهم الباء معه محذوفة قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة
قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق
العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا ان هذا الكتاب وما جاء به محمد لسحر ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر
إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا
من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل
ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت
السماوات والارض والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السماوات
والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على
العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة
والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك
العظمة اي ذلكم العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق منكم العبادة فاعبدوه وحده ولا تشركوا
به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فادنى التفكر والنظر ينبهكم
على الخطأ فيما انتم اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون اليه مرجعكم
جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا
مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض
ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدأ الخلق بمعنى لانه

منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه
وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق
كقوله احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا علي رقيب وقرئ حق انه يبدأ الخلق كقولك حق ان
زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم بما
اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم و
العصاة ظلام انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الآيات لقوم
يعلمون الياء في ضياء منقلبة عن واو لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على
العين كما قيل في عاق عقا والضياء اقوى من النور وقدره وقدر القمر وقدر مسيره منازل او قدره ذا منازل
كقوله والقمر قدرناه منازل لعلم الحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي ذلك اشارة الى المذكور
اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء ان في اختلاف الليل
والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة
فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها
والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا
ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون
حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة
واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم
للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك
بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور
له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له
عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فان قلت فلقد دلت هذه الآية على ان
الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون
بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى
كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال
بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعويهم فيها سبحانك اللهم

وتحيتهم

وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين دعويهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه
اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء
العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى انه لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا
الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة وانما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت
الا مكاء وتصدية وآخر دعويهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم
فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله
لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشأن كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل
وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم
بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم و
المراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم
اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وتنصره قراءة
عبد الله لقضينا اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو
يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اي فنمهلهم
ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او
قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون
لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة ذكر هذه
الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها
منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى
ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد
حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون
عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس مر مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد
او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كأن لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن
قال كأن ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله تعالى بخذلانه
وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما
ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين لما ظرف لاهلكنا
والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله

وما كانوا ليؤمنوا يجوز أن يكون عطفا على ظلموا وأن يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون
حقا تأكيدا لنفي إيمانهم وأن الله قد علم منهم أنهم مصرون على كفرهم وأن الإيمان مستبعد منهم والمعنى أن السبب
في إهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك
الجزاء يعني الإهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ
يجزي بالياء ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث
إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكناها لننظر أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم
على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لأن معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدم عليه عامله فإن
قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء
موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني
أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين فقالوا
ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك أو بدله بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة
وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة
مما أنزل وأن يسقط ذكر الآلهة وأما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما
يحل لي أن أبدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من عند نفسي بأمر
بذلك إن أتبع إلا ما يوحى إلي لا آتي ولا أذر شيئا من نحو ذلك إلا متبعا لوحي الله وأوامره إن نسخت آية
تبعت النسخ وإن بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس إلي تبديل ولا نسخ إني أخاف إن عصيت ربي بالتبديل والنسخ
من عند نفسي عذاب يوم عظيم فإن قلت أما ظهر لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا
قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا
فينسبونه إلى الرسول ويزعمون أنه قادر عليه وعلى مثله مع علمهم بأن العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها إذا
عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز فإن قلت فلعلهم أرادوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي كما أتيت بالقرآن
من جهته وأراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني أن أبدله قلت يرده قوله إني أخاف إن عصيت فإن
قلت فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح قلت المكر والكيد أما اقتراح إبدال قرآن
بقرآن ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار
الحال وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه
وتصحيحا لافترائه على الله قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو أن

يخرج

يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر
كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الأصول والفروع وأخبارا مما كان وما يكون
ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شيء من
أسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به ولا أدراكم به ولا أعلمكم به
على لساني وقرأ الحسن ولا أدرأتكم به على لغة من يقول أعطأته وأرضأته في معنى أعطيته وأرضيته وتعضده
قراءة ابن عباس ولا أنذرتكم به ورواه الفراء ولا أدرأكم به بالهمزة وفيه وجهان أحدهما أن تقلب الألف همزة
كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك لأن الألف والهمزة من واد واحد ولذلك إذا اشتبهت الحركة انقلبت
همزة والثاني أن يكون من درأته إذا دفعته وأدرأته إذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلكم بتلاوته خصماء
تدرؤونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء لإثبات الإدراء ومعناه لو شاء الله
ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني
لها أهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد أقمت فيما بينكم يافعا وكهلا
فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه أفلا تعقلون
فتعلموا أنه ليس إلا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من إضافة الافتراء إليه
فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون ممن افترى على الله كذبا يحتمل أن
يريد افتراء المشركين على الله في قولهم إنه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفاديا مما أضافوه إليه من الافتراء
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون
الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ما لا يضرهم ولا ينفعهم الأوثان
التي هي جمادات لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود
أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة
وهبل وإسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحرث إذا كان يوم القيامة شفعت
في اللات والعزى أتنبئون الله بما لا يعلم أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله
وإذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان
خبرا ليس له مخبر عنه فإن قلت كيف أنبأوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو
شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه
كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبئون بالتخفيف وقوله في السماوات ولا في الأرض تأكيد لنفيه لأن ما لم
يوجد فيهما فهو منتف معدوم تشركون قرئ بالتاء والياء وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين يشركونهم
به أو عن إشراكهم وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما

فيه يختلفون وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في
عهد آدم حتى قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك
وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه ولتميز المحق من المبطل وسبق كلمة بالتأخير
لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه آية من
ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من
الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على احد
من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين
المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك
لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا
علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما
اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات واذا اذقنا الناس رحمة من بعد
ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون سلط الله القحط
سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخيرة جوابها وهي اذا المفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيه
من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة
المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا قلت بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجأوا
وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان
الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون
اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء وقيل مكرهم
قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها
كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله
مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وقرئ ينشركم ومثله قوله
فانتشروا ثم اذا انتم بشر تنتشرون فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما
هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد
حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصفة
وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء فان قلت ما جواب اذا قلت جاءتها فان قلت فدعوا قلت

بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى
الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه
قراءة ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت قيل انهما زيدتان كما في الخارجي والاحمري ويجوز ان يراد
به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل
وفي قراءة ام الدرداء للفلكي ايضا لان الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك
من كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك
لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول او لانه مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اذا هم
يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم
فننبئكم بما كنتم تعملون يبغون في الارض يفسدون فيها ويعبثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى
الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين
على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة
وقرئ متاع بالنصب فان قلت ما الفرق بين القراءتين قلت اذا رفعت كان المتاع خبر المبتدا الذي هو بغيكم
وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم
على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم
ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على
هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن
باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر
عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى
جبل على جبل لدك الباغي وكان المامون يتمثل بهذين البيتين في اخيه يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير
فعال المرء اعدله فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه
البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها
انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك
نفصل الآيات لقوم يتفكرون هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها
بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه
فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة
زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين

واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرا عبد الله وقرئ وأزينت على أفعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها اي لم يلبث وحذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرا الحسن كأن لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه قرا على المنبر كأن لم تتغن بالامس من قول الاعشى طويل الثواء طويل التغني والامس مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا **والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول لهم ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ذكرهم بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة **والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** **فإن قلت** ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم **قلت** لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرا قطعا بالسكون جعله

قطع من الليل جعله صفة له ويعضده قراءة ابي بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم **فإن قلت** اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه **قلت** لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل **ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون** مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وبين شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين** ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله تعالى فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم **هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون** هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا او قبيحا وان كان سعيدا او شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلو اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرا في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالنصب على تأكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة **قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون** من السماء والارض اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته امن يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدة الطويلة وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء

بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص فسيقولون الله فقل افلا تتقون افلا تقون انفسكم
ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال
فانى تصرفون فذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق
النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى
تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك حقت كلمة ربك على
الذين فسقوا انهم لا يؤمنون كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال
او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد
الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة
الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا
يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون
فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت
اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه
دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدؤا الخلق
ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انهم لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم قل
هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان
يهدى فما لكم كيف تحكمون يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما
يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي
فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدى
من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين
من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم
ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرافهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي
الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي
بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا
ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا
فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني
من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان
عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة

وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم بما يفعلون وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء
وترك تعقل دليل الآيات وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل
الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديقا الذي بين يديه قبله
ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد بصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل بمعنى وما كان ان يفترى وما
ما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من
الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فان قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في
حيز الاستدراك كانه قال ولكن تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد
ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق
وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتريه قل فاتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ام يقولون افتريه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة
تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر على ما تزعمون فاتوا انتم
على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن
النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة
به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا به وحده
ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك
كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه
في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط
نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق
ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز
منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه لا يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد
ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة
قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم
به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدي وذاقوا قواهم في المعارضة
واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر
في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا ويجوز ان يكون هو في الذين كذبوا
وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين

لهم أهو كذب أم صدق يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب
فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقبل أن يخبروا إخباره بالمغيبات وصدقه
وكذبه ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين ومنهم من يؤمن به من يصدق به في
نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به أو يكون للاستقبال أي ومنهم من
سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك أعلم بالمفسدين بالمعاندين أو المصرين وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم
عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون وإن كذبوك وتموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم فتبرأ
منهم وخلهم فقد أعذرت كقوله فإن عصوك فقل إني بريء قيل هي منسوخة بآية السيف ومنهم من يستمعون
إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا
يبصرون ومنهم من يستمعون إليك معناه ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا
يعون ولا يعقلون وناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال أتطمع
أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع
في صماخه دوي الصوت فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الأمر وأتحسب أنك تقدر على هداية
العمي ولو انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن وأما العمى
مع الحمق فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر و
قوله أفأنت دلالة على أنه لا يقدر على إسماعهم وهدايتهم إلا الله تعالى بالقسر والإلجاء كما لا يقدر على رد
الأصم والأعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل إلا هو وحده إن الله لا يظلم الناس
شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون أي إن الله لا يظلم الناس شيئا أي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة
الرسل وإنزال الكتب ولكنهم يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز أن يكون وعيدا للمكذبين يعني أن ما يلحقهم
يوم القيمة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستحقاق ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف
ما كان سببا فيه ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله وما كانوا مهتدين إلا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون
يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف
بينهم لشدة الأمر عليهم فإن قلت كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت أما الأولى فحال من هم أي يحشرهم
مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة وأما الثانية فإما أن يتعلق بالظرف وإما أن يكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا
إلا ساعة لأن التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على إرادة القول أي يتعارفون بينهم
قائلين ذلك أو هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر وما
كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم وإما نرينك بعض الذي

او المصرين

نعدهم

نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون فإلينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك
محذوف كأنه قيل وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة فإن
قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو
العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن أبي عبلة ثم بالفتح أي هنالك ويجوز أن يراد أن الله مؤد
شهادته على أفعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم ولكل أمة
رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ولكل أمة من الأمم رسول يبعث إليهم لينبههم على التوحيد
ويدعوهم إلى دين الحق فإذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم أي بين النبي ومكذبيه بالقسط
بالعدل فأنجي الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أو ولكل أمة من الأمم يوم القيمة
رسول تنسب إليه وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان كقوله وجيء بالنبيين و
الشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له
قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون لا أملك لنفسي ضرا من مرض أو فقر ولا نفعا من صحة أو غنى إلا ما شاء الله استثناء منقطع
أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب لكل أمة أجل يعني أن عذابكم له أجل مضروب
عند الله وحد محدود من الزمان إذا جاء ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين إذا جاء
آجالهم قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم إذا ما وقع آمنتم به
الآن وقد كنتم به تستعجلون بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فإن قلت هلا قيل ليلا أو نهارا
قلت لأنه أريد إن أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات
بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب
نحو بياتا وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار
فأي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول
شديد تستعجلون منه ويجوز أن يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فإن
قلت بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون و
جواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه وإن قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه
قلت أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك
فزعا من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون ماذا يستعجل جوابا للشرط كقولك إن أتيتك ماذا
تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون أثم إذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل اعتراضا والمعنى إن
أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في

في قوله آلآن من أهل القرى الآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم
به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار وقرئ آلان بحذف
الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم
تكسبون ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل الآن ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما
أنتم بمعجزين ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون أحق هو وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء وقرئ آلحق
هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو
الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود وإي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة
وسمعتهم يقولون في التصديق إيو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب
وهو لاحقكم لا محالة ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب
وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن
أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون ظلمت صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة
ما في الأرض أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها
يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم
يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا
ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة
الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم
حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه
وفيه تهكم بهم وبإخلاصهم يعني أنهم أخلصوا الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره
إذا أظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم أتبع ذلك
الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب حق وهو القادر على الإحياء
والإماتة لا يقدر عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر بالمغترين
يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قد جاءتكم
موعظة أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء أي دواء لما في صدوركم
من العقائد الفاسدة ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
مما يجمعون أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص
الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة
لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا

فبذلك

فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا
بالتاء وهو الأصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه لتأخذوا مصافكم
قالها في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا [illegible] وقرئ مما يجمعون بالياء والتاء وعن أبي بن كعب
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام و
رحمته ما وعد عليه قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم
أم على الله تفترون أرأيتم أخبروني وما أنزل الله ما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم في معنى أخبرونيه فجعلتم
منه حراما وحلالا أي أنزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام
وحرث حجر ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا آلله أذن لكم متعلق بأرأيتم وقل تكرير
للتوكيد والمعنى أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك
إليه ويجوز أن يكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية
زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز
أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفتر على الله وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون يوم القيامة منصوب
بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان
والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه وأي ظن ظنوا يوم
القيامة وجيء به على لفظ الماضي لأنه كائن فكأن قد كان إن الله لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالعقل
ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه وما
تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب
عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين
وما تكون في شأن ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشأن الأمر وأصله الهمز بمعنى
القصد من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في منه للشأن لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن
والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله تعالى ولا تعملون أنتم جميعا من عمل أي عمل كان إلا كنا عليكم شهودا شاهدين
رقباء نحصي عليكم إذ تفيضون فيه من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه وما يعزب وقرئ بالضم والكسر وما يبعد وما
يغيب ومنه الروض العازب ولا أصغر من ذلك ولا أكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي
الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة أو على لفظ مثقال ذرة
فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف إشكال لأن قولك لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل

لاقتضائه

تجئ السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض **قلت** حق
السماء ان يقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك
قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية **ألا ان اولياء**
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي
الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم
بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم
الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل هم
المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء
ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم
فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم
لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب
او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله تعالى
به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى
له وعنه صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر
قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء
لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا
بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض
وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله
ولا خلف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض
ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم لك
وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك ان العزة استئناف بمعنى التعليل كأنه
قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا
غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقرأ ابو حيوة انّ
العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكره من القراءة
هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك **ألا ان لله من في السموات**
ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون

هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون من في السموات ومن
في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي مملكته وهم عبيد
كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا
يكون له ندا وشريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى
اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبع شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان
شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انها شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركاء
تقديرا باطلا ويجوز ان تكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون
وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة
ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم
وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين
تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ثم صرف الكلام عن الخطاب
الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم
قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما
يقاسون فيه من نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مبصرا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم
يسمعون سماع معتبر مدكر **قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم**
من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني
علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد
عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا
ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم
بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم
غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم **قل ان الذين يفترون على الله الكذب**
لا يفلحون يعني يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه **متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب**
الشديد بما كانوا يكفرون متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم
في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده **واتل عليهم نبأ نوح**
اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم و
شركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل
ومنه قوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان

فلانٍ وفلانٌ ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طوالا
الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم
ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود
فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع والواو
بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرا الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير
تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم
نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز
اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فان قلت ما معنى الامرين امرهم
الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون
من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده
ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم
له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي
غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر
الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن
يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك
الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق
عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم
انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه لي فان توليتم فما
سالتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري و
نصيحتي فما سالتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على
عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض
الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك
مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم
لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم
لا غير فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين فكذبوه فداموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها
وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين

تعظيم

تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده
رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك يطبع الله على قلوب المعتدين
من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم بالبينات بالحجج الواضحة
المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه
بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد
بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع
يجري مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به ثم بعثنا
من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين من بعدهم من بعد
الرسل باياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها
ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترءوا على ردها فلما
جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح
الساحرون فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا
لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا فان قلت
هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون
معنى قوله اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف
القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم
قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان
هذا لسحر مبين ثم قال اسحر هذا وان يكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا
اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله
قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين
وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون لتلفتنا
لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام
وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس
ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك
ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا
في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ ويكون لكما بالياء فلما القوا قال موسى
ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر

أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام وعلى هذه
القراءة ما استفهامية أي أي شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أبي ما أتيتم به سحر و
المعنى لا ما أتيتم به إن الله سيبطله سيمحقه أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة إن الله لا يصلح عمل
المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ويحق
الحق ويثبته بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بأمره ومشيئته فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على
خوف من فرعون وملإيهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين فما آمن لموسى في
أول أمره إلا ذرية من قومه إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل كأنه قيل إلا أولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا
الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية
مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله وملإيهم
قلت إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر ولأنه ذو أصحاب يأتمرون له ويجوز أن يرجع
إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى أنفسهم ويدل عليه قوله أن يفتنهم يريد أن يعذبهم فرعون لعال في الأرض لغالب فيها قاهر
وإنه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم إن كنتم
آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين إن كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فإليه
أسندوا أمركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الإسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له
سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام إن ضربك زيد فاضربه
إن كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم
الكافرين فقالوا على الله توكلنا إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله تعالى قبل توكلهم وأجاب
دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض
إليه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن
ديننا أو فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا وأوحينا إلى موسى وأخيه أن
تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين تبوأ المكان اتخذه مباءة
كقولك توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليه للعبادة
والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون
إلى الكعبة وكانوا في أول الأمر مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم
ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الإسلام بمكة فإن قلت كيف نوع الخطاب فثنى أولا
ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوآ لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة

وذلك مما يفوض إلى الأنبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك
واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى
ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا
اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم الزينة ما يتزين به من
لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها
معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فإن قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء
بلفظ الأمر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح
والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم من عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال
المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرا وعلى الإنذار إلا استكبارا وعن النصيحة إلا نبوا ولم يبق
له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال وأن إيمانهم كالمحال الذي لا
يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم
أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله إبليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم
يبق فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال ليثبتوا على
ما هم عليه من الضلال ليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم أحق بذلك وأحق
كما يقول الأب المشفق لولده الشاطر إذا لم يقبل منه حسرة عليه لما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا أن يريد
خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء
الذي هو اشدد أو دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على أنهم جعلوا نعمة الله سببا في
الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على
قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي أإنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم
قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وقرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو
وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان والمعنى أن دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما
فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجة فقد لبث نوح في قومه ألف عام إلا قليلا ولا تستعجلا
قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون أي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة
الله في تعليق الأمور بالمصالح ولا تعجلا فإن العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام إني أعظك
أن تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية
وتخفيف التاء من تبع وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه
الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين وقرأ الحسن وجوزنا

من اجاز المكان وجاوزه وجوّزه وليس من جوّز الذي في بيت الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان
منه لكان حقه ان يقال وجوّزنا بني اسرائيل في البحر كما قال كما جوّز السكّي في الباب فيتق فاتبعهم فلحقهم
تبعه حتى ابتعه وقرأ الحسن وعدوّا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وقرئ انه بالكسر على
الاستئناف بدلا من آمنت كرّر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل
منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء
التكليف آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين الآن اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق
وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق يعني حين امكنه ان يغرق وقيل قال بعدما غرق في نفسه والذي
يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه
لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه
جهالتان احديهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر
واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر من المفسدين اي الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي ان جبريل اتاه بفتيا ما قول
الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فيه يقول
ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله
جبريل خطه فعرفه فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون
ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحّيك بالحاء
نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كأنه ثور ببدنك
في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير
او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب اعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه بابدانك وهو اما على تشبيه ابدانا ان يكون كل جزء منه
هو بابدان يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او بدروع كأنه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن وراءك
من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في نفوسهم ان فرعون اعظم شأنا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات
فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكأن
مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان تظهر
للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشأن
وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او ليكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا
على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اي ليكون لخالقك آية

كما

كما قيل مع دعوى الربوبية او ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك
ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك
تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون مبوأ صدق منزلا صالحا
مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرأوا التوراة واكتسبوا
العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرع عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله
عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانهم لم يزالوا به مقرين بعد ما جاءهم
العلم والبينات انه هو لم يؤمنوا به كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فان كنت
في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من
الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت وفرق عظيم بين قوله
وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض
والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيّل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسئل الذين يقرؤن الكتاب والمعنى ان الله
تعالى قدم ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة
نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته
شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين
على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك
ومسألتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة
ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله اي فاثبت
ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله
فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا والله ما شك طرفة عين
ولا سأل احدا منهم وقيل خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما
انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن
وقيل ان للنفي اي ما كنت في شك فسل يعني لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم

بعناية احيآ الموتى وقرئ تسل الذين يحرفون الكتب ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو
جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم حقت عليهم كلمة ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح
واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك
فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في
الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر
واخلصت الايمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان
يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان
المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي
كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل
روي عن الجحدري والكسائي روي ان يونس بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما
فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقد قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا
ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا
ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم و
دوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج
واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود
بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل ليقلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ
من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي
لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت
اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم
جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على
وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا انه لم يفعل افانت تكره الناس
يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان
الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر
على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن
الله اي بتسهيله ومنح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان لان
النفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان

رجسا وهو العذاب لانه مسببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون قل انظروا ماذا في السموات والارض
وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات و
النذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما
يغني بالياء وما نافية او استفهامية فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم
من المنتظرين ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا
كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين
خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك
ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا و
قرئ ننجي بالتشديد قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن
اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته
وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل
فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم
وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين
يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني فما
انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم
واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدونهم من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا
اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد
الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر
وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين وان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال
لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان
كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا
يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه
ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون
معها في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت
يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت
فانك اذا من الظالمين فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا
فانك اذا من الظالمين اذا جزاء الشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل

من الظالمين لانه لا اظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا
هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم اتبع النهي
عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تضر ولا تنفع ان الله هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر
على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان اراد بك خيرا لم يرد احد ما
يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من
قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت لم ذكر المس في
احدهما والارادة في الثاني قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر
والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما
والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده
والمراد بالمشية مشية المصلحة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل فقد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن
اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا
على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال
مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك
واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله
لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي
اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على
ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر ودعوات ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معوية حين قدم
المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لكم لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال
قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون
بعدي اثرة قال معوية فماذا قال لكم قال اصبروا حتى تلقوني قال فاصبروا اذن فقال عبد الرحمن بن حسان
الا ابلغ معوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي بانا صابرون فمنظروكم الى يوم التغابن والخصام عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من
غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه
نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة
كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال

جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما يفصل القلائد
بالفرائد بدلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في
التنزيل فلم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم فصلت
اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت
ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان
كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز
ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى
احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير
ان لا تعبدوا مفعول له على معنى لئلا تعبدوا او يكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل قال لا
تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون
كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل
عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب
والضمير في منه لله تعالى اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه
ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان آمنتم وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا
الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله
مرجعكم وهو على كل شيء قدير فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا
من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله
ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى
الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في
العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل
الطاعات وان تولوا وان تتولوا اني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل ويجوز ان يريد
اليوم الكبير ان يرجعهم اليه وهو قادر على كل شيء فكان قادرا على اعادتهم بعد فنائهم لا يعجزه شيء وقرئ
وان تولوا من ولي الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون
وما يعلنون انه عليم بذات الصدور يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على
الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون
ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار
في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون

الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في
آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه
لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق
عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحب وله منطق حلو و
حسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما
يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ يثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو
بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن
وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف
ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي
بوزن ترعوي **وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب
مبين فان قلت** كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل **قلت** هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل
به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا
قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح
يعني ذكرها مكتوب فيه مبين **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء
ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا
سحر مبين** وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء
وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك
وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج الى الامساك ليبلوكم
متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم بالطاعة
واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم
يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون **فان قلت** كيف جاز تعليق فعل البلوى **قلت** لما في الاختبار
من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واستمع ايهم احسن صوتا لان النظر و
الاستماع من طرق العلم **فان قلت** كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن
فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى الحسن والقبيح **قلت** الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين
استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على
مكان منزلتهم وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم
ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت انكم بفتح الهمزة ووجهه ان يكون

من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما اي علك تشتري بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا
بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين بان القول سطلانه ويجوز ان يشيروا
مثل يعني ذكرت معنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او يشيروا
بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره
وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل **ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة
ليقولن ما يحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** العذاب
عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما
يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز
تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ
المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزئون العذاب الذي
كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره
**ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته
ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة
واجر كبير** الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليئوس شديد
اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه و
لا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء لها ذهب السيئات عني اي المصائب التي
ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا
ان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا **فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق
به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء
وكيل** كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية
في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما
جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه
الله وهيجه على اداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما
يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه
عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم
ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت
بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب

فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم
واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين
فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي بمنزلة
اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم
اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين
له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحد منها له مفتريات
صفة لعشر سور لما قالوا افترى القرآن واختلقه من عند نفسه وليس من عند الله قاودهم على دعواهم
وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا
بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت
كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان
وان كان مفترى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون
فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك
وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك
فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر
وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله
الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا
بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله
وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة
وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات
قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير
بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال
فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال
فلان جريء فقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك
بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله تعالى ونوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول و
في قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي اولئك الذين
ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وحبط ما صنعوا فيها وحبط
في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم
ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ
وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان يكون ما ابهامية اي وباطلا اي باطل وينتصب بيعملون
ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان
على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون
به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم
في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن
سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه و
يتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم
ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التورية اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن
كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه
ويقرا القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التورية اماما كتابا
مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل عليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون
بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ في مرية بالضم وهما الشك منه من القرآن او من الموعد ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على
ربهم الا لعنة الله على الظالمين يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويشهد عليهم الا
شهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا او شريكا ويقال الا لعنة الله على
الظالمين فواخزياه وافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف الذين يصدون عن
سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي
مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب

ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله
في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم
وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون
السمع اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب
اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان
اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء
من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد اولئك الذين
خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون خسروا انفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان
خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه
وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا جرم فسر في مكان آخر
الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون واخبتوا الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع
من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدنيء الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع
الكثير الخبيت تريد الخبيث فابدل من الثاء تاء مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان
مثلا افلا تذكرون شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف
والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب
وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم والذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو في والاصم وفي
والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا
بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر في
قولك ان زيدا كالاسد تقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم
اليم ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا
او بنذير ووصف اليوم بالاليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب
قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده فقال الملأ
الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي
وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين الملأ الاشراف من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له

وقد

وقد ملؤ بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم متمالئون وهم متساندون او لانهم يملؤن
القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه
بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة
فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والا
راذل جمع الارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ بادئ الرأي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الرأي
او ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف
اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم
وتأخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له
جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زال عنهم ان التقدم
في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل
لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من اخلد اليها
فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم
للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم
انلزمكموها وانتم لها كارهون ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة
دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة
النبوة فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه
ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى
اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت
عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة
بقوا بغير هاد فان قلت فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت
تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم على الا
هتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان
يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم
ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه
وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا
ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون والضمير
في قوله لا اسئلكم عليه راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وعنى وما انا بطارد الذين

آمنوا بالتبع على الأصيل فإن قلت ما معنى قوله إنهم ملاقوا ربهم قلت معناه إنهم ملاقوا الله فيعاقب من طردهم
أو ملاقوه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم
به من بناء إيمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم
إن كان الأمر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية أو هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون
أنهم ملاقوه لا محالة يجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل من قوله ألا لا يجهلن أحد علينا أو تجهلون
لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون من ينصرني من الله
من عقابه إن طردتهم وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء ولا أقول
لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم
لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين ولا أعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله
أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله فأدعي فضلا عليكم
في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى الكذب والافتراء
أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أحكم
على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة
لكم ونزولا على هواكم إني إذا لمن الظالمين إن قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه
وأزرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا
بما تعدنا إن كنت من الصادقين جادلتنا فأكثرت فأتنا بما تعدنا معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك
جاد فلان فأكثر وأطاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين أي إتيانكم
به الله أي ليس الإتيان بالعذاب إلي إنما هو إلى من كفرتم به وعصيتموه إن شاء يعني إن اقتضت حكمته أن يعجله
لكم وقرأ ابن عباس فأكثرت جدلنا ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم
هو ربكم وإليه ترجعون فإن قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله إن كان الله يريد أن يغويكم
جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك
إن أحسنت إلي أحسنت إليك إن أمكنني فإن قلت فما معنى قوله إن كان الله يريد أن يغويكم قلت إذا عرف الله
من الكافر الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك إغواء وإضلالا كما أنه إذا عرف منه أنه يتوب ويرعوي فلطف
به سمي إرشادا وهداية وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم فهلك ومعناه أنكم إذا كنتم
من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحي أم يقولون
افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون فعلي إجرامي وأجرامي بفتح المسند والجمع كقوله والله
يعلم إسرارهم وأسرارهم ونحو جرم وأجرام قفل وأقفال ومعنى الهمزة في أم الإنكار أي أيقولون والمعنى إن صح

افتريته فعلي عقوبة إجرامي أي افترائي وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتتألبوا علي وأنا بريء يعني ولم
يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى مما تجرمون من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم
وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لن يؤمن إقناط
من إيمانهم وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع إلا من قد آمن إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع
وقد أصاب محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال ما يقسم الله أقبل غير مبتئس به واقعد كريما ناعم
البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم واصنع الفلك
بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون بأعيننا في موضع الحال أي اصنعها محفوظا
حقيقته ملتبسا بأعيننا كأن معه من الله حفاظا يكلؤونه أن يزيغ في صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من
أعدائه ووحينا وأنا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها
مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك إنهم
مغرقون إنهم محكوم عليهم بالإغراق وقد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه كقوله يا إبراهيم
أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ويصنع الفلك حكاية حال ماضية حين وإنه يعمل
السفينة وكان يعملها في برية بهماء في أبعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون
ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فإنا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة أي نسخر منكم
سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل إن تستجهلونا فيما نصنع فإنا نستجهلكم
فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا أو إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم
في استجهالكم لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد
عن الحقائق وروي أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين
ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الأول الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من
الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها
ستمائة وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى
انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا
كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب
فقال له عيسى أهكذا هلكت قال لا ولكني مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة
نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب

والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم من موصولة في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب كلما قلت انه من امرين اما ان يجعل سخروا جوابا وقال استينافا على تقدير سؤال السائل او يجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامرأته الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يكونا مكانين بالاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها وارساؤها وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاؤنا بهم سكر علينا فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم

آخره فاجلى اليوم والسكران صاحي

وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه سآوي الى جبل يعصمني من الماء وكان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرأ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله من ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلاله وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته

وبه

على الفور من غير ريث فكما ورد عليهم أمره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا إبطاء والبلع عبارة عن النشف
والإقلاع الإمساك يقال أقلع المطر وأقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه إذا نقصه وقضي الأمر وأنجز ما وعد الله
نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا
وبعدا إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء أخباره
على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر
وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره يا أرض ابلعي ماءك
ويا سماء أقلعي ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه
إلا بتسويته وإقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم
لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي وأقلعي وذلك وإن كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت إليه
بإزاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب
وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي أنها مرت
بالبيت فطافت به سبعا وقد أعتقه الله من الغرق وروي أن نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وأمر
من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت
أحكم الحاكمين ونداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله فإن قلت فإذا كان
النداء هو قوله رب فكيف عطف فقال رب على نادى بالفاء قلت أريد بالنداء إرادة النداء ولو أريد النداء نفسه
لجاء كما جاء قوله إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء إن ابني من أهلي أي بعض أهلي لأنه كان ابنه من صلبه
أو كان ربيبا له فهو بعض أهله وإن وعدك الحق وإن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في إنجازه
والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما بال ولدي وأنت أحكم الحاكمين أي أعلم الحكام وأعدلهم لأنه لا فضل
لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أقضى
القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز أن يكون من الحكمة على أن يبنى من الحكمة حاكم بمعنى
النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل
غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين إنه عمل غير صالح تعليل لانتفاء
كونه من أهله وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك في دينك ومعتقدك من الأباعد
في المنصب وإن كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحما
فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فإنما هي إقبال وإدبار وقيل
الضمير لنداء نوح عليه السلام أي إن نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فإن قلت فهلا قيل إنه عمل فاسد قلت
لما نفاه عن أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك أنه إنما أنجى من

أهله لصلاحهم لا لأنهم أهلك وأقاربك وأن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك كقوله كانتا تحت عبدين
من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح أي عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن
بكسر النون بغير ياء الإضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا أو التماسا لا تعلم أصواب هو
أم غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه فإن قلت
لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وإن لم يصرح به لأنه إذا ذكر الموعد بنجاة
أهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه أن لا يعود
إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين فإن قلت قد وعده أن ينجي أهله وما كان عنده أن ابنه ليس منهم دينا فلما
أشفى على الغرق تشابه عليه الأمر لأن العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف
الميعاد فطلب إماطة الشبهة وطلب إماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلا قلت إن الله تعالى قدم
له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب
للعذاب لكونه غير صالح وأن كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من المستثنين
لا من المستثنى منهم فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي
به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين أن أسألك من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا
بأدبك واتعاظا بموعظتك وإلا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي أكن من الخاسرين قيل يا
نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم
وقرئ قيل يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا أو مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك
والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى أمم ممن معك يحتمل أن تكون من للبيان فتراد الأمم الذين
كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم وأن تكون لابتداء الغاية أي على أمم
ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه وقوله وأمم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره
وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين
ينشئون ممن معك وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان
منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما
بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب
وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها
أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين تلك إشارة إلى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل
بعدها أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل إيحائي إليك
وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة وأذى قومك

كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين
وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت بين اظهرهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا
عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف
على نوحا وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون
على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا
تعقلون ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحصها الا حسم
المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله
وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا
ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان
التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم بكثرة
المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء
الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من هذه القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في
كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم
وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي
فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد
سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل
فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني
وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم وآثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي
آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل وما
نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما تدعوهم اليه
اقناطا له من الاجابة ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما
تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو
آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا
اعتراك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على
سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التقي

ولا استنقاذ

ولا استنقاذا خبلا وجنونا ثم عادوا اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام
سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم سعد على عثيرة مما كانوا عليه في ايام
جاهليته من المواردة وما ذاك الا لمرقهم من الالحاد الى الا ان ينقض ونصيب من الزندقة اراد ان يطلع ان اسه
ودلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح
ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر و
تنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الآيات ان واجههم بهذا الكلام رجل واحد امة
عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو
ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة
الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه
كونوا شهداء على اني لا افعله فان قلت هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك
اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة
المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل
لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة
من دونه او مما تشركونه من آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم
ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف
معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني
اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته
من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته
وتحت قهره وسلطانه والاخذ بناصيتها تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه
لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم
ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء
للشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم
الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم
في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون
انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا
يعذبني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروه الا انفسكم على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم
ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار

لو تعذبه تبليغه مثلكم ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ
والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم
نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله تعالى بعث
عليهم السموم وكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب
الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد
جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم
القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود تلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال
سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم
اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار
عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون
الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا وكلا بها تكرير النداء على كفرهم
والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء بالهلاك
فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستأهلين له الا ترى الى قوله اخوتي
لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان
حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من
الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم والى ثمود اخاهم
صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه
ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب هو انشأكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشأكم
منها خلق آدم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك
فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل
نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن ابي
سفيان انه اخذ في احياء الارض في آخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به
ولا يكون له في الارض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان
يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء
اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه
يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا
قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب فينا فيما بيننا مرجوا كان

تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما
نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل
كنا نرجوا ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه
في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي
قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما
تزيدونني غير تخسير فان قلت ان كنت على بينة من ربي حرف الشك وكان على يقين انه على بينة قلت خطاب الجاحدين
فكأنه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني
من عذاب الله فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي و
تحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية
فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل
عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت
صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة
ايام ثم يقع عليكم فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب تمتعوا استمتعوا
بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين
حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت
غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله
ويوم شهدناه او على المجاز كان الوعد قيل له نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان
المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا
معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في
ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ومن خزي يومئذ وقرئ
مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت على نجينا
لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ
اي من ذلته ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز
ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ الا ان ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف و
امتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت رسلنا
ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه
جبرائيل وملكان معه وقيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر على صور الغلمان

بالولد وقيل هلاك قوم لوط والظاهر الولد قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما قال سلام امركم سلام او جوابي سلام وقرا حمزة والكسائي
سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح
فما لبث ان جاء فما لبث في المجيء بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبيل بلغة اهل
السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا
القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم
خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق
يعقوب نكر وانكر واستنكر بمعنى وقيل في كلامهم وكذلك انا انكره ما يكون منكرا واستنكره وانكره ما
لا يعرفه ولكن تجني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الارض
فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس
بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا
ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا واوجس اضمر وانما قالوا لا تخف لانهم راوا
اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا
بعذاب وامراته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي
مصحف عبد الله وامراته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث وكان ضحكها
ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل
بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت يعقوب رفع بالابتداء
كانه قيل ومن بعده اسحق يعقوب مولود او موجود اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له
اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراءه
يعقوب على طريقة قوله مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب قالت يا ويلتى االد وانا عجوز وهذا بعلي
شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد
الالف في يا ويلتى مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرئ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل
وشيخا نصب على الحال والعامل فيه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل
من المبتدا وشيخ خبر او كلاهما خبران قيل بشرت ولها تسعون او تسع وتسعون سنة ولابرهيم مائة وعشرون سنة
ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها
الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات
فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وان تسبح الله و
تمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت

فيما استعد قرابحهن زاد فضحكت م

اردوا

اردوا ان هذه واشباهها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان
عجب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك
والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل
لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم و
اهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن فلما
ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه منيب الروع ما
اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم
فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله يجادلنا
كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال
يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى
معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا
ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها
قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم
اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله وفي قوم لوط في مسألتهم عن
ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل
كان فيها اربعة الاف الف انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب
راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة
فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابرهيم
اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت له الملائكة
اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا
يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب
انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم
حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما
امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد
فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده وجاءه
قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا

نحن ندري في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد
يهرعون يسرعون كأنما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش و
كثروا فيها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه
وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وأراد
هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن
أبي لهب وأبي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه
وقرأ ابن مروان هن أطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن أبي عمرو بن العلاء
من قرأ أطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك أن انتصابه على أن يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل
كقوله وهذا بعلي شيخا أو ينتصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال
وهن فصل وهذا لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع بين جزأي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج
له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك
هذا أخي هو ويكون أطهر حالا فاتقوا الله بإيثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي
أو ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل
وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة أليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحق وفعل الجميل و
الكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويحتمل أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم
وإظهارا لشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعا في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فيتركوا له
ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت
مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لأنك لا ترى مناكحتنا وما هو إلا عرض سابري وقيل لما اتخذوا إتيان
الذكور مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم أنه هو الحق وأن نكاح الإناث من الباطل فلذلك قالوا
ما لنا في بناتك من حق قط لأن نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز أن يقولوه على وجه
الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة **قال لو أن لي بكم قوة
أو آوي إلى ركن شديد** جواب لو محذوف كقوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال يعني لو أن لي بكم قوة لفعلت
بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لأنه في معنى لا أستطيع ولا أستقل
به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي أو أويت إلى القوي أستند إليه وأتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن
من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه إن ركنك لشديد وقال النبي صلى الله
عليه وسلم رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قيل لو أن لي بكم
قوة أو أويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ إلى ركن بضمتين وروي أنه أغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم

ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط إن ركنك لشديد
**قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك
إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب** إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فافتح الباب
ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها
فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم
كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط سحرة
لن يصلوا إليك جملة موضحة للتي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره وقرئ فاسر
بالقطع والوصل إلا امرأتك بالرفع والنصب وروي أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال أريد أسرع
من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فإن قلت ما وجه قراءة من قرأ إلا امرأتك بالنصب قلت
استثناها من قوله فأسر بأهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ويجوز أن
ينتصب عن لا يلتفت على أصل الاستثناء وإن كان الفصيح هو البدل أعني قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها عن أحد
وفي إخراجها مع أهله روايتان روي أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي فلما سمعت هدة العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم فلم يسر بها
واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين **فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل
منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد** جعلنا عاليها سافلها قلبها جبريل بجناحه بعد ما رفعها
إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم من
سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل على الظالمين
ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله أن يعذب به من السجل وسجيل لفلان منضود نضد في السماء
نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في أثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وقيل كانت معلمة ببياض وحمرة
وقيل عليها سيما يعلم بها أنها ليست من حجارة الأرض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من الظالمين
ببعيد وفيه وعيد لأهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل فقال يعني ظالمي أمتك ما من
ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون
بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز أن يراد وما هي بمكان بعيد لأنها وإن كانت في السماء وهي مكان
بعيد إلا أنها إذا هويت منها فهي أسرع شيء لحوقا بالمرمي فكأنها بمكان قريب منه **وإلى مدين أخاهم شعيبا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب
يوم محيط** إني أراكم بخير بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما
تفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول شعيب لقوم فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض

من عذاب الله ان جاءكم يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو **فان قلت** وصف
العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها **قلت** بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا
احاط بعذابه فقد اجتمع على المعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه **ويا قوم اوفوا المكيال والميزان
بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين فان قلت** النهي عن النقصان امر
بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا **قلت** نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في
التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة
ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا
نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه
ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلث فوائد والبخس الهضم والنقص ويقال
للمكس البخس قال زهير افي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا
كما تفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك و
العثو في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض **بقية الله
خير لكم ان كنتم مؤمنين** بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين
بشرط ان تؤمنوا **فان قلت** بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان
قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقد الايمان لانغماس
صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين
لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما
الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء و
هي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح **وما انا عليكم بحفيظ** وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت
لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت **قالوا
يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم
الرشيد** كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم
اصلواتك تامرك السخرية والهزؤ والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه
الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلوته والمراد ان هذا الذي تامر
به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به آمر فطنة ملوب

الا صلواتك التي تلهج بها وتداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها
من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الافعال والاقوال ومعنى تامرك ان نترك ما تامرك
بتكليف ان نترك ما كان يعبد آباؤنا فحذف المضاف لان الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ
اصلوتك بالتوحيد وقرا ابن ابي عبلة وان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به
من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم و
الدنانير وتقطيعهما وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به
كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم و
الرشد في قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك وما شهرت به **قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة
من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب** ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو
ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف **فان قلت** اين جواب ارايتم وما له
لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط **قلت** جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى
الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي
ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا
اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله
عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان
اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت
ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار
الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت
او مفعول له كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما
توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضى الله الا بمعونته وتاييده
والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد
للكفار وحسم لاطماعهم فيه **ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او
قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد** جرم مثل كسب في تعديته الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم
ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال ولقد جرمت زيادة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم
شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته

جارماً له أي كاسباً وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال وكما لا
فرق بين كسبته مالاً وأكسبته إياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنباً وأجرمته إياه والقراءتان مستويتان في
المعنى لا تفاوت بينهما إلا أن المشهورة أفصح لفظاً كما أن كسبته مالاً أفصح من أكسبته والمراد بالفصاحة أنه
على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور وهم لها أكثر استعمالاً وقرئ مثلَ ما
أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد يعني أنهم
أهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم أو لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك
فإن قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه قلت إما أن يراد وما إهلاكهم ببعيد
أو وما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد ويجوز أن يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث
لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي
رحيم ودود رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الإحسان والإجمال
قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما
أنت علينا بعزيز قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً إن ربي بما
تعملون محيط ما نفقه ما نفهم كثيراً مما تقول لأنهم كانوا لا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله
وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه وقالوا ذلك على وجه
الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه ما أدري ما تقول أو جعلوا كلامه هذياناً وتخليطاً لا ينفعهم
كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الأنبياء وقيل كان ألثغ فينا ضعيفاً لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر
على الامتناع منا إن أردنا بك مكروهاً وعن الحسن ضعيفاً مهيناً وقيل ضعيفاً أعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفاً
كما يسمى ضريراً وليس بسديد لأن فينا يأباه ألا ترى أنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاماً لأن الأعمى
أعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطاً والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة
إنما قالوا ولولا رهطك احتراماً لهم واعتداداً بهم لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفاً من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك
شر قتلة وما أنت علينا بعزيز أي ما تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا
رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام
واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم
أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فإن قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه
وأنهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطي أعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين
عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله
واتخذتموه وراءكم ظهرياً ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب إلى

الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة إلى الأمس إمسي بما تعملون محيط قد أحاط بأعمالكم علماً
فلا يخفى عليه شيء منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون على مكانتكم لا يخلو المكانة من أن
يكون بمعنى المكان يقال المكان والمكانة والمقام والمقامة أو يكون مصدراً من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين
على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها إني عامل على حسب ما يؤتيني الله
من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب من يأتيه يجوز
أن تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب
وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فإن قلت
أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها
وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا
وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب
وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة
وما أقول لكم إني معكم رقيب أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم
أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فإن قلت قد ذكر عملهم
على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب
يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم قلت
القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذباً قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلاً لهم ولما جاء أمرنا
نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين
كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود فإن قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة
مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله إن
موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان
كيت وكيت وأما الأخريان فلم تقعا بتلك المثابة وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما
قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كالذي يعني أن جبريل صاح بهم صيحة زهق
روح كل واحد منهم بحيث هو فجأة كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين البعد
بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله كما بعدت وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى
في البناءين واحد وهو نقيض القرب إلا أنهم أرادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا
البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت على الأصل اعتباراً لمعنى البعد
من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعداً لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون
برشيد بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته
وأن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها أبهرها وما أمر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو
ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف و
الظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وصفات فاتبعوه وسلموا له دعواه
وتتابعوا على طاعته والأمر الرشيد الذي فيه رشد أي وما في أمره رشد إنما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف
وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في
موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط يقدم
قومه يوم القيمة فأوردهم النار وبئس الورد المورود يقدم قومه أي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك
يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون
قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وإيضاحا أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد و
يرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمة بمعنى
تقدمه ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فإن قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم
ولم جيء بلفظ الماضي قلت لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة
والورد المورد والمورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة
ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده
وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود وأتبعوا في هذه في هذه الدنيا لعنة أي يلعنون
في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم أي بئس العون المعان وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد
للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك من أنباء القرى نقصه عليك
منها قائم وحصيد ذلك مبتدأ من أنباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى
المهلكة مقصوص عليك منها أي من القرى قائم وحصيد أي بعضها باق وبعضها عافي الأثر كالزرع القائم على ساقه والذي
حصد فإن قلت ما محل منها قائم وحصيد قلت هو مستأنف لا محل له وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت
عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وما ظلمناهم
بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما به أهلكوا فما أغنت عنهم آلهتهم فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله
يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما أغنت أمر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير
يقال تب إذا خسر وتببه غيره أوقعه في الخسران وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن
أخذه أليم شديد وكذلك محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك

أخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ إذ أخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى أليم شديد وجيع صعب على المأخوذ و
هذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل من ظلم غيره أو نفسه بذنب
يقترفه فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال إن في ذلك
لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ذلك إشارة إلى ما قص الله من
قصص الأمم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو إلا أنموذج
مما أعد لهم في الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا
في زيادة التقوى والخشية من الله تعالى ونحوه إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك إشارة إلى يوم القيمة لأن عذاب
الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس فإن قلت لأي
فائدة أوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لا بد من أن يكون
ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس
وأنهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس
في الفعل وإن شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له ليحقق
ما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود فيه فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه
ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فإن قلت ما منعك أن تجعل
اليوم مشهودا في نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض
وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام فإن جعلته مشهودا في نفسه فسائر الأيام كذلك
مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهودا
فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا في نفسه لأن سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر فيه منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد
منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا في الوطن في شهر رمضان فليصم فيه ولا ينصبه
مفعولا لأن المسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر وما نؤخره إلا لأجل
معدود الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره ويقولون حل الأجل
فإذا جاء أجلهم يراد آخر مدة التأجيل والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره إلا
لأجل معدود إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء يوم يأت لا تكلم نفس
إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد وقرئ يوم يأتي بغير ياء ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء
والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فإن قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله تعالى كقوله هل ينظرون إلا

الا أن يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ وما نؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون
الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما بلا تكلم واما
باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي فان قلت فاذا جعلت
الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله وشدائده
لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي
كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف
ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم
فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان
ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس شقي معذب
النار لا محالة وسعيد الذي يحب له الجنة لاحسانه فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا
ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ قراءة العامة بفتح
السين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده وقال الشماخ
بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج ما دامت السموات والارض فيه وجهان
احدهما ان يراد سموات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الآخرة
مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء
والثاني ان يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح
كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فان قلت فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء وقد ثبت خلود اهل
الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة
وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب
النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة
ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى
ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله
في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا
انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج

اهل

اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم
نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها
ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد
ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة
بكتابه وتنبيها على ان نغفل عنه ولئن صح هذا الحديث عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير
فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون فلا
تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير
منقوص لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد
هؤلاء اي فلا تشك بعدما انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب
امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون
الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل
بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان يكون مصدرية
وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدونه من الاوثان ومثل ما يعبدونه منها وانا لموفوهم
نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب
الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا
ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب
فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بين
قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير
وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في
لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ
وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ ابي وان كل لما على ان
ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما
بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم
اجمعون فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير فاستقم كما امرت فاستقم استقامة
مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وانما
جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر

وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله إنه بما تعملون بصير عالم فمجازيكم عليه فاستقم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية
ولهذا قال شيبتني هود والواقعة وأخواتهما وروي أن أصحابه قالوا لقد أسرع فيك الشيب فقال شيبتني
هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك أنك قلت شيبتني هود
فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها أقصص الأنبياء وهلاك الأمم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت وعن
جعفر الصادق فاستقم كما أمرت قال افتقر إلى الله بصحة العزم ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم
النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون وقرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن
أبي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم
ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن أبي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من أركنه إذا أماله
والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا
بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا
فإن الركون هو الميل اليسير وقوله إلى الذين ظلموا أي إلى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين وحكي أن
الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم
وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه
أخ له في الدين عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك
أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق
على العلماء قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست
وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور
عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء
ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا
عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات
فسوف يلقون غيا فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك
فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد
لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وعن الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا وعن
محمد بن سلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم
بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى
شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من أولياء حال من قوله فتمسكم

النار أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم
منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لأنه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم فإن قلت فما معنى ثم قلت
معناها الاستبعاد لأن النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له وأقم الصلاة
طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فإن الله
لا يضيع أجر المحسنين طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة
من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وازدلف إليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لأن ما
بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت
كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره وتنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم
المضاف إليه ونحوه وأطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف
جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو يسر في يسر والزلفى بمعنى
الزلفة كما أن القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل
وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة أي أقم الصلاة طرفي النهار وأقم زلفا من الليل على معنى وأقم
صلوات تتقرب بها إلى الله تعالى في بعض الليل إن الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان أحدهما أن يراد تكفير
الصغائر بالطاعات وفي الحديث إن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني أن الحسنات
يذهبن السيئات بأن يكن لطفا في تركها كقوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في أبي اليسر
عمرو بن غزية الأنصاري كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته فقال لها إن في البيت أجود من هذا التمر فذهب بها
إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقال [illegible] فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فإنها كفارة
لما عملت وروي أنه أتى أبا بكر فأخبره فقال استر على نفسك وتب إلى الله فأتى عمر فقال له مثل ذلك ثم أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر أهذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين إن الحسنات يذهبن السيئات
ذلك إشارة إلى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر إلى التذكير بالصبر بعدما جاء
بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كأنه قال وعليك
بما هو أهم مما ذكرته وأحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء
منه إلا به فإن الله لا يضيع أجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة وإقامة الصلاة والانتهاء عن الطغيان
والركون إلى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون
عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين فلولا
كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناه هلا إلا التي في الصافات وما صححه

هذه الحكاية بمعنى هلا الا التي في الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك فهلا كان
منكم اولو بقية اولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده و
افضله فصار مثلاً في الجودة والفضل يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان
تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كا
لتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولو
بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية
المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم
لاشفاقهم الا قليلاً استثناء منقطع معناه ولكن قليلاً ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم
تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل
قوله انجينا الذين ينهون عن السوء **فان قلت** هل لوقوع هذا الاستثناء متصلاً وجه يحمل عليه **قلت** ان جعلته
متصلاً على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسداً لانه يكون تحضيضاً لاولي البقية على النهي عن الفساد
الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من
المحضضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما
كان من القرون اولو بقية الا قليلاً كان استثناء متصلاً ومعنى صحيحاً وكان انتصابه على اصل الاستثناء
وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات
اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات
واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء
ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما
اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم
الانجاء كانه قيل الا قليلاً ممن انجينا منهم وهلك السائر **فان قلت** علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا
قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفاً على مضمر لان المعنى الا قليلاً ممن انجينا منهم نهوا عن
الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال
كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم **فان قلت** فقوله وكانوا مجرمين **قلت** على اترفوا اي
اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على
اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضاً وحكماً عليهم بانهم قوم مجرمون
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون كان بمعنى صح واستقام واللام لتأكيد النفي وبظلم
حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالماً لها واهلها قوم مصلحون تنزيهاً لذاته

من الظلم

من الظلم وايذاناً بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك
اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فساداً آخر **ولو شاء ربك لجعل الناس**
امة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل ملة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم
الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل
فاختلفوا فلذلك قال **ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك** الا ناساً هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق
غير مختلفين فيه **ولذلك خلقهم** ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين و
الاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره
وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة **لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين** لعلمه بكثرة من يختار الباطل **وكلاً** التنوين
فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ **نقص عليك من انباء الرسل** بيان لكل **ما نثبت به فؤادك** بدل من
كلاً ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على
الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة
قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم **وجاءك في هذه الحق** اي في هذه السورة او في هذه الانباء
المقتصة ما هو حق **وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون** من اهل مكة وغيرهم **اعملوا على**
مكانتكم على حالكم وجهتكم التي انتم عليها **انا عاملون** على حالنا **وانتظروا** بنا الدوائر **انا منتظرون** ان ينزل بكم نحو ما اقتص
الله تعالى من النقم النازلة باشباهكم **ولله غيب السموات والارض** لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم
واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم **فاعبده وتوكل عليه** فانه كافيك وكافلك
وما ربك بغافل عما تعملون وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب
ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء **سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية**

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين
تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن
تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين
فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمداً
لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف **انا انزلناه** انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف
في حال كونه **قرآناً عربياً** وسمي بعض القرآن قرآناً لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه **لعلكم تعقلون**
ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآناً اعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته **نحن نقص**
عليك احسن القصص على وجهين يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصاً كقولك

شلّه يشلّه شللاً إذا طرده ويكون فعلاً بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر
ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد **بما أوحينا إليك هذا القرآن** أي بإيحائنا إليك
هذه السورة على أن يكون أحسن منصوباً نصب المصدر لإضافته إليه ويكون المقصوص محذوفاً لأن قوله بما أوحينا
إليك هذا القرآن مغنٍ عنه ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص عليك كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الا
قتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ألا
ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقارباً لاقتصاصه
في القرآن وإن أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث وإنما كان أحسن
لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقتص في بابه كما يقال
في الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يريد في فنه **فإن قلت** مم اشتقاق القصص **قلت** من قص أثره إذا اتبعه لأن
الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً كما يقال تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه
آية بعد آية **وإن كنت** إن مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في **قبله**
راجع إلى قوله بما أوحينا والمعنى وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك **لمن الغافلين** عنه أي من الجاهلين
به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه **إذ قال يوسف لأبيه** بدل من أحسن القصص وهو من بدل الاشتمال
لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فإذا قص وقته فقد قص أو بإضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل
عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربياً لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف **فإن قلت** فما تقول فيمن قرأ
يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو عربي لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول
من آسف وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل **قلت** لا لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة
أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو
عربي لأنه في لغتيه بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبي عليه السلام إذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام **يا أبت** قرئ بالحركات الثلاث **فإن قلت**
ما هذه التاء **قلت** تاء تأنيث وقعت عوضاً من ياء الإضافة والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف **فإن**
قلت كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر **قلت** كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة
فإن قلت فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة **قلت** لأن التأنيث والإضافة يتناسبان في أن كل واحد
منهما زيادة مضمومة إلى الاسم في آخره **فإن قلت** فما هذه الكسرة **قلت** هي الكسرة التي كانت قبل الياء في
قولك يا أبي قد زحلقت إلى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحاً **فإن قلت** فما بال الكسرة لم تسقط
بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة **قلت** امتنع ذلك فيها لأنها اسم والأسماء حقها التحريك لأنها
في الإعراب وإنما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك تخفيفاً لأنها حرف لين وأما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير

[illegible]

فلزم

فلزم تحريكها **فإن قلت** يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لأنها في حكم الياء إذا
قلت يا غلام فكما لا يجوز يا أبتي لا يجوز يا أبتِ **قلت** الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من أحد الشيئين
وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه إلا إذا اجتمع بين التاء والياء لا غير ألا ترى إلى
قولهم يا أبتا مع كون الألف فيه بدلاً من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعاً بين العوض و
المعوض منه فالكسرة أبعد من ذلك **فإن قلت** فقد دلت الكسرة في يا غلام على الإضافة لأنها قرينة الياء و
لصيقتها فإن دلت على مثل ذلك في يا أبت فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها **قلت** بل حالها مع التاء
كحالها مع الياء إذا قلت يا أبي **فإن قلت** فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها **قلت** أما من فتح فقد حذف الألف من
يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز أن يقال حركها بحركة الياء المعوض منها
في قولك يا أبي وأما من ضم فقد رأى اسماً في آخره تاء تأنيث فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء فقال يا أبتُ كما
تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضاً من ياء الإضافة **إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**
وقرئ إني رأيت بتحريك الياء وأحد عشر بسكون العين تخفيفاً لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذلك
إلى تسعة عشر إلا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان هي رؤيا لا رؤية لأن ما ذكره معلوم أنه منام لأن
الشمس والقمر لم يجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما
خفيت عليه وعلى الناس **فإن قلت** ما أسماء تلك الكواكب **قلت** روي عن جابر أن يهودياً جاء إلى النبي عليه السلام فقال
يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبرئيل فأخبره بذلك فقال عليه السلام لليهودي
إن أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ
ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي إي والله إنها لأسماؤها
وقيل الشمس والقمر أبوه وخالته والكواكب إخوته وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة
عصا طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة وإذا عصاً صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف
ذلك لأبيه فقال إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها
على أبيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة وقيل
ثمانون سنة **فإن قلت** لم أخر الشمس والقمر **قلت** أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بياناً لفضلهما
واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخر جبرئيل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها ويجوز أن تكون
الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر **فإن قلت** ما معنى تكرار رأيت **قلت** ليس بتكرار إنما هو كلام
مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله إني رأيت أحد عشر كوكباً كيف
رأيتها سائلاً عن حال رؤيتها فقال رأيتهم لي ساجدين **فإن قلت** فلم أجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين **قلت**
لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمها كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم أن يلابس

التي التي من بعض الوجوه تنطق حكاية الطهارة لائقة بالملائكة والمقاربة عرف يعقوب عليه السلام دلالة
الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك ويصطفيه للنبوة و
ينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة
بما كان في المنام دون اليقظة ففرق بينهما بحرفي التأنيث كالقربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا
وسمع الكسائي رؤياك ورياك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى
ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان
منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت
تضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف
ولذلك نحو فيحتالوا لك ولا تقع الى تاكيد بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يألوا جهدا
لهم بنطلق المستقيم بحملهم على الكيد والمكر وكل شر ليورطهم في جملة ولا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك اي
مثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك مثل ما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء
شأن كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك من تأويل الاحاديث كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه
قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتبا الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء
في الحوض جمعته والاحاديث الرؤيا لان الرؤيا احاديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها و
تفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب
الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها تفسيرها لهم وتشرحها لهم وتدلهم
على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله عز وجل وقال الرسول صلعم
كذا او كذا الا ترى الى قوله تعالى فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع
احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم في الدنيا ملوكا ونقلهم
عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى
اسحق باخلاصه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف
يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت رؤيا اخوة
يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان سجد له اخوته حتى سجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة
المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعفت له
المحبة وكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال
هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره
على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما

وانما ابويه الجد وابو الجد لانهما في حكم الاب على الاصالة ولذلك يقولون ان فلانا ابن فلان وان كان بينه وبين فلان
عدة كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق له الاجتبا حكيم لا
يتم نعمته الا على من يستحقها لقد كان في يوسف واخوته اي في قصصهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة
الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد عليه السلام للذين سألوه من اليهود
عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة من كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما نزلت
على النبي عليه السلام خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى وقيل اسماءهم يهوذا وروبيل
وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد واشر السبعة الاولون كانوا من ليا
بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت
له بنيامين ويوسف اذ قالوا ليوسف اللام لام الابتدا وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة
ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه احب الى ابينا منا اخوه بنيامين وانما قالوا اخوه وهم
جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه
ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق بينه مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران
والواو في ونحن عصبة للحال والمعنى انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة
ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة
عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة
فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور وتستكفى النوائب وروي النزال
بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن الانباري هذا كما تقول
العرب انما العامري عمه اي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على
ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا
آمرين او اطرحوه ارضا ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف
ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم بكليته ولا يلتفت
عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير
معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال عز وجل
وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايتكم بالقتل
او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او تصلح ما
بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا
على يخل او منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف يعني يهوذا

وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم {والقوه في غيابة الجب} في قعره
سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المنخل واذا انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل
اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة والجب البئر
لم تطو لان الارض تجب جبا الا غير {يلتقطه} {بعض السيارة} بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ
تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت
بعض اصابعه {ان كنتم فاعلين} ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي {قالوا يا ابانا ما لك لا
تأمنا على يوسف وانا له لناصحون} وقرئ باظهار النون بالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنّا بكسر التاء مع الادغام
والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحنو عليه ونشفق عليه وما نريد سائق به ما دل على خلاف النصيحة و
المقة ولعله لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس
بما احسنوا فلا يأمنهم عليه {ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون} نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها واصل الرتعة
الخصب والسعة وقرئ يرتع من ارتع وقرئ نرتع ونلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرأ العلاء بالياء
مع كسر العين ونلعب بالرفع على الابتداء {فان قلت} كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب {قلت} كان لعبهم
الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا اللهو بدليل قوله تعالى انا ذهبنا نستبق
وانما سموه لعبا لانه في صورته {قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون}
اللام لام الابتداء كقوله تعالى ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سبي المضارعة اعتذر اليهم بشيئين
احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدو الذئب
اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل اهتمامهم ولم تصدق بحفظ عنايتهم وقيل رأى في النوم ان الذئب قد شد
على يوسف وكان يحذره منه فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذيب بالهمز على الا
صل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذأبت الريح اذا اتت من كل جهة القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب
واللام موطئة للقسم وقوله {انا اذا لخاسرون} جواب القسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال
حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى
الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم
ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب
بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها {فان قلت} فقد اعتذر
اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الآخر {قلت} هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فما عاروه
اذا انا ولم يعبؤا له {فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب} وعزموا على القائه فيها واجمع الامر و
ازمعه فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل على ثلاثة فراسخ من

قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة

حاضرون

منزل

منزل يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا
له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه
فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا
القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا
علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا
تؤنسك فدلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو
يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه
بالطعام وروي ان ابرهيم صلوات الله عليه حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة
فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل
فاخرجه والبسه اياه {واوحينا اليه} قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن
الحسن كان له سبع عشرة سنة {لتنبئنهم بامرهم هذا} وانما اوحي اليه ليونسه في الظلمة والوحشة ويبشره بما يؤول اليه امره
ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك {وهم لا يشعرون} انك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك
وبعد حالك عن اوهامهم وطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم
وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال
له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به فالقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه
بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا اليه على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم
لا يشعرون ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم
لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير {وجاؤا اباهم عشاء يبكون} وعن الحسن عشيا على تصغير عشي وقيل العشي
عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا وقرأ ابن جني بضم العين والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء وروي ان
امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة
ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم
يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف {قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذئب وما انت} نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل والارتماء
والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي بها في المشي فتحا {بمؤمن لنا} مصدق لنا {ولو كنا
صادقين} ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا
{وجاؤا على قميصه بدم كذب} ذي كذب او وصف بالمصدر للمبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه
والزور بذاته ونحوه فهو تجوز بالمصدر وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز ان

منهم

لهم

قميصه بدم كذب

يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله
الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة و
لطخوه بدمها ان يعقوب عليه السلم لما سمع بخبر يوسف صاح وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى
خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان
في قميص يوسف ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف
حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول
جاء على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه قال بل
سولت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم
استدل على فعلهم بما كان عرفه من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او
مبتدأ لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي صبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث
المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله
وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة
فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني فقال يا رب خطيئة
فاغفرها لي والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزية وجاءت
سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق
فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي
يوسف فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يعني يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي
يرد الماء ليستقي للقوم يا بشراي نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا من آونتك وقرئ يا بشراي على اضافتها
الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشريّ بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة و
هو لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ وعن نافع يا بشراي بالسكون
وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف وقيل لما ادلى دلوه ادلى الجب
تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من
اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم
له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا
للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه
متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم وهو عليم
حين استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما عمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه بثمن بخس

دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا
ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما
بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها
وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده
فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له
مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني
الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه ويروى ان
اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على
الموصول الا تراك لا تقول وكان زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه
وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا
ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون
الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد
رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف
الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان
ابن الوليد وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين
سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل
ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير
بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد
تفقده بالاحسان وتعهده بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل
كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده [illegible]
به واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر
به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا بكفايته او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما
لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته
اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التي اتت موسى فقالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر
رضي الله عنهما وروي انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف
العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز

كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره فقد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله **ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين** قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرين وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون** المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة وقرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشأن والحديث ربي وسيدي ومالكي يريد قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب **ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين** هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد همت معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته **فان قلت** كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها **قلت** المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه

كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه **فان قلت** قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه **قلت** الامران جائزان ومن حق القاري اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدي بقوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين **فان قلت** لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما **قلت** لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز **فان قلت** فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا بين اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما **قلت** نعم ما قلت ولكن الله تعالى قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها وكان اعتقاد الهما له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت جديرة بان تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب عليها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت استحي منه ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة

والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن الذي
هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل
له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل عليه السلام وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة
وطيب الإزار والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله
السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية
وفي حل تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلث صيحات بقوارع القرآن
وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه وهو جاثم
في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم
وأحدهم حدقة وأجلحهم وجها لقي بأدنى ما لقي به مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك
فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه كذلك الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه
أو مرفوعه أي الأمر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزنا إنه من عبادنا المخلصين
الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم وقد يجوز أن يريد بالسوء مقدمات
الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك ومن عبادنا معناه بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين
أو هو ناشئ منهم لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم إنا أخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وقدت قميصه
من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم
واستبقا الباب وتسابقا إلى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين
استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج فإن قلت كيف
وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الأبواب قلت أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص
فقد روي كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب وقدت قميصه
من دبر اجتذبته من خلفه فانقد أي انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه وألفيا سيدها وصادفا
بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل إنما لم يقل سيدهما لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على
الحقيقة وقيل ألفياه مقبلا يريد أن يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة
وهي مغتاظة على يوسف إذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها بين غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من
الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في أن يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما أيست من
مواتاته طوعا ألا ترى إلى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن ويجوز
أن يكون استفهامية بمعنى أي شيء جزاؤه إلا السجن كما تقول من في الدار إلا زيد فإن قلت كيف لم تصرح
في قولها بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءا قلت قصدت العموم وأن كل من أراد بأهلك سوءا فحقه أن يسجن

أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف وقيل العذاب الأليم الضرب بالسياط قال هي راودتني
عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان
قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع
عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من أهلها قيل كان ابن عم لها وإنما ألقى
الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه وقيل
هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره ويجوز أن يكون بعض
أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان
ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد
يوسف وصاحب جريج وعيسى فإن قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما أدى مؤدى الشهادة
في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فإن قلت الجملة الشرطية كيف جاز أن يحكيها بعد فعل الشهادة
قلت لأنها قول من القول أو على إرادة القول كأنه قيل وشهد شاهد فقال إن كان قميصه فإن قلت إن دل قد
قميصه من دبر على أنها كاذبة وأنها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه إليها فقدته فمن أين دل قده من قبل على أنها
صادقة وأنه كان تابعها قلت من وجهين أحدهما أنه إذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه
من قدامه بالدفع والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم
على الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال
لها دبر وعن ابن أبي إسحق أنه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية و
التأنيث وقرئ بإسكان العين فإن قلت كيف جاز اجتماع إن الذي هو للاستقبال مع كان قلت لأن
المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قد ونحوه كقولك إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك من قبل لمن يمتن عليك بإحسانه
تريد إن تمتن علي أمتن عليك فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم
فلما رأى قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال إنه إن قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوءا أو إن هذا
الأمر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولأمتها وإنما استعظم كيد النساء لأنه وإن كان في الرجال إلا
أن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر
النفاثات في العقد والقصريات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء أنا أخاف من النساء
أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء إن كيدكن عظيم
يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين يوسف حذف منه حرف النداء
لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله أعرض عن هذا الأمر واكتمه ولا تحدث به و
استغفري أنت لذنبك إنك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ إذا أذنب متعمدا

من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان
قليل الغيرة **وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها**
في ضلال مبين وقال النسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب
وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة ولذلك لم
تلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز يريدون قطفير والعزيز الملك
بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي قد شغفها قد خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل
الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب القامعة وبين داخله دونه
والج سكان الشغاف بتثنية الاصابع وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال
كما شعف المهنوءة الرجل الطالي ونصب حبا على التمييز في ضلال مبين في خطا وبعد عن طريق الصواب **فلما**
سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن
فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم بمكرهن باغتيابهن
وسوء مقالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتته وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال
غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امراة
منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات
والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن
فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر بهن وبين وضع الخناجر
في ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة وليهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات
في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب
والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا وآتت السكاكين ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكأ طعاما
من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال
جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين
لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك
لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ومثله ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد
فاهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي
ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا
وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكأ مفعلا
من تكئ يتكأ اذا اتكأ اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف

العثمثم من النوق الشديدة والوقاح الناقة الصلبة الحافر ... صح

على الناس

على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة
التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل
ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل
اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المراة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من
حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت
في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد
معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال حاشا ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم
وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن
مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال
لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة
ابي عمرو حاش لله بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش حش لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون
الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده
وقرئ حاشا الاله **فان قلت** فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله **قلت** مراعاة لاصله
الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى في قوله
غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته
على خلق جميل مثله واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا
بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن
بها الحكم وذلك ان الله تعالى ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك
يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل
في الشر من الشيطان ولا اجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك
وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة
القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع
وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا
بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكرا والقراءة هي الاولى لموافقتها
المصحف ومطابقة بشر لملك **قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم**
يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن

استعفافا ان يحب ويفتتن به ومنه انتحاله واستبعاد العلة ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقوله عشقها
عبدها الكنعاني يقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم
تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به الاستعصام بنا مبالغة يدل
على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع
الفتق واستجمع الراي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان
لا شي انور منه على انه بري مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت الضمير في آمره
راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله امرتك
الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري و
مقتضاه وقرئ ليكونا بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم
الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن
اصب اليهن واكن من الجاهلين قرئ السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن
جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجا الى ربه
عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة
وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة اليه احب من اللذة قلت كانت احب اليه وآثر
عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في
شهوة النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبيا
والصالحين فيما عزموا عليه ووطنوا عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء
اليه اصب اليهن امل اليهن والصبو الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها
وروحها وقرئ اصب من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى
لعلمه فهو ومن لا يعلم سوا او من السفها لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن
انه هو السميع العليم وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعا لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف
والدعا باللطف السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات
ليسجننه حتى حين بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم
راي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا
باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجملا ذلولا زمامه في يدها
حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما
ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطا

خاطب

خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن
زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع
رجلا يقرا عتى حين فقال من اقراك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القران فجعله عربيا وانزله
بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام ودخل معه السجن فتيان قال احدهما
اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا
نراك من المحسنين مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون
دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن
ساعة ادخل يوسف فيه لانه يحكي في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب
بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون
عبارة الرؤيا اي يجيدونها رايناه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلما
لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة
ما رايناه ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق عليه وسع له وان
احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا
تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت
يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت
خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين
رايناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي
فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها
بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا انا
باصل حبلة عليها ثلثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني
وفوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله
نبئنا بتاويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك قال
لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب ما
كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا
يشكرون لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو
الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم

يأتيكما طعام من صنعة كيت وكيت بمقداره كما أخبرتما فجعل ذلك تخلصا إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض
عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح لهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال
الفسقة إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة والنصيحة أولا ويدعوه إلى ما هو
أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف
بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتأويله ببيان ماهيته و
كيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه ذلكما إشارة لهما إلى التأويل أي ذلك التأويل والإخبار
بالمغيبات مما علمني ربي وأوحى به إلي ولم أقله عن تكهن وتنجيم إني تركت يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون
تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى إلي لأني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهي الملة
الحنيفية وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على
أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وأن غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة إبراهيم ولتوكيد كفرهم
بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون فيه تعريض
بما نحى من محنتهم حين أودعوه السجن بعدما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك ما لا يقدم عليه
إلا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى إليه بما ذكر من إخباره
بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معاشر الأنبياء أن نشرك بالله
أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله
علينا وعلى الناس أي على الرسل وعلى المرسل إليهم لأنهم نبهوهم عليه وأرشدوهم إليه ولكن أكثر الناس المبعوث
إليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل إن ذلك من فضل الله علينا لأنه نصب لنا الأدلة التي
ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون
ولا يستدلون اتباعا لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير
أم الله الواحد القهار يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فأضافهما إلى السجن كما تقول يا سارق الليلة
فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وإنما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام
ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما إلى الصدق ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول
رجلا صدق وسميتهما صاحبين لأنهما صحباك ويجوز أن يريد يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة
أأرباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أأن تكون لكما أرباب شتى يستعبدكما
هذا خير لكما أم أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل
ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما
أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس

لا يعلمون

لا يعلمون ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر إلا أسماء سميتموها يعني أنكم سميتم ما لا يستحق الإلهية
آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال
سميته بزيد وسميته زيدا ما أنزل الله بها أي بتسميتها من سلطان من حجة إن الحكم في أمر العبادة والدين إلا
لله ثم بين ما حكم به فقال أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين يا صاحبي
السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه
تستفتيان أما أحدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده وقرأ عكرمة فيسقى ربه أي يسقى ما يروى به على البناء
للمفعول روي أنه قال للأول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة
فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل
قضي الأمر قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما فإن قلت ما استفتيا في أمر واحد بل في أمرين مختلفين فما
وجه التوحيد قلت المراد بالأمر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من أجله وظنا أن ما رأياه في معنى ما نزل
بهما فكأنهما كانا يستفتيانه في الأمر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك فقال لهما قضي الأمر الذي فيه
تستفتيان أي ما يجر إليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيئا على
ما روي أنهما تحالما له فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني في
عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين ظن أنه ناج الظان هو يوسف عليه السلام
إن كان تأويله بطريق الاجتهاد وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي ويكون الظن بمعنى اليقين اذكرني
عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فأنساه الشيطان
فأنسى الشرابي ذكره لربه أن يذكره له وقيل فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره بضع سنين ما
بين الثلاث إلى التسع وأكثر الأقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين فإن قلت كيف يقدر الشيطان على الإنساء
قلت يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره وأما الإنساء
على الابتداء فلا يقدر عليه إلا الله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها فإن قلت ما وجه إضافة الذكر إلى ربه إذا أريد
الملك وما هي بإضافة المصدر إلى الفاعل ولا إلى المفعول قلت قد لابسه في قولك فأنساه الشيطان ذكر ربه أي ذكر
أو عند ربه فجازت إضافته إليه لأن الإضافة تكون بأدنى ملابسة أو على تقدير فأنساه الشيطان ذكر إخبار
ربه فحذف المضاف الذي هو الإخبار فإن قلت لم أنكر على يوسف الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله
تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وفي الحكاية عن عيسى عليه السلام من أنصاري إلى الله وفي الحديث الله في عون
العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امتنع النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه
وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية والتقوي بالأشربة والأطعمة وإن كان ذلك لأن الملك كان كافرا

فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحوها من المضار قلت كما اصطفى الله
الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الانحاء وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل
امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد باحد خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار
ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قراها ويقول
نحن اذا نزل بنا امر تضرعنا الى الناس وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون
لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر
يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر
يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه
من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع
سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة
لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها
السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت
هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به
وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها
صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام و
اربعة غلاظ فان قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل بقرات سبع عجاف
لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع
الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب
في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل
النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا
كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب
ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف
قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات
خضر يقتضي ان يدخل في حكمها فيكون مميز السبع المذكور ولفظ الاخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك سبعا خ
تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود
على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد الملأ

كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين
واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تاخر عنه فعضد بها
كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان
كما تقول فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى فعل
يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول
عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا
بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده
المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب رايت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا قالوا اضغاث احلام وما نحن
بتاويل الاحلام بعالمين اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان
واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي
اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا
قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا
في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم
مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة
فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور
علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله
فارسلون وادكر بالدال هو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل
بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تاويلها تذكر
الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد
إمة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور اي بعد ما
انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه اي بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد
خطئ انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا آتيكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده
فارسلون فابعثوني اليه لاسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة يوسف
ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق والصديق البليغ
في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما
اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم

ونحوه وكان من علمهم فيما لم يعلموا معنى لعلهم يعلمون تنبيك وبكانتك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك **قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون** تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فذروه في سنبله لئلا يتسوس **ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون** يأكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون تحرزون وتخبأون **ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون** يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى يمطرون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصر معنى مطر فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة **فان قلت** معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي **قلت** ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي **وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم** انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين به وهو في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شأن النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شأنهن لان السؤال مما يهيج الانسان

ويحركها للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه برئ مما قرف به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه **قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين** ما خطبكن ما شأنكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال حصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ننق في فرية من بهتت واهته **ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين** ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل الغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تأكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده **وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم** ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا احلها انا الذي في هذه الحادثة لما ذكرت من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم ولنا ان نريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم ربي في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة منا وقيل معناه ذلك

ليعلم الله أني لم أخنه لأن المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني
لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالنصح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من
الخيانة فإني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار
مما كان منها إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إلا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف إن ربي غفور
رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فإن قلت كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك
قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا إلى أن يجعل من كلام يوسف ونحوه قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم
يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج
هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب إلى أن ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن و
لقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا أن يوسف حين قال أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت
بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله وقال
الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين يقال استخلصه و
استخصه إذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال أيها الصديق إنك اليوم
لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روي أن الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن
ودعا لأهله وقال اللهم اعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار فهم أعلم الناس بالأخبار في
الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء
ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره
وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي و
كان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه فقال أيها الصديق إني أحب أن أسمع
رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنبلات وما كان منها
على الهيئة التي رآها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك أن تجمع الطعام في الأهراء فيأتيك الخلق من النواحي
يمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم
اجعلني على خزائن الأرض ولني خزائن أرضك إني حفيظ عليم أمين أحفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه
التصرف وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وإنما قال ذلك ليتوصل إلى
إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لأجله بعث الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحدا
غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة فإن قلت
كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت أمره وطاعته قلت روى مجاهد أنه قد أسلم وعن

قتادة

قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من
جهة البغاة ويرونه وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر
أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى وكان في حكم التابع
والمطيع وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع
أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر
مكنا ليوسف في الأرض أرض مصر روي أنها كانت أربعين فرسخا في أربعين يتبوأ منها حيث يشاء بالنون والياء
أي كل مكان أراد أن يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه روي
أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت روي أنه
قال أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال
فقد وضعته إجلالا لك وإقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك إليه أمره
وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء
فولدت له ولدين إفرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير
من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم يبق
معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله
ما رأينا كاليوم ملكا أجل وأعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الرأي
رأيك قال فإني أشهد الله وأشهدك أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد
من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب مصر فأرسل
يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين نصيب برحمتنا بعطايانا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء
من اقتضت الحكمة أن نشاء ذلك ولا نضيع أجر المحسنين أن نأجرهم في الدنيا ولأجر الآخرة خير لهم قال
سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا
وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته إياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم أنه قد هلك ولذهابه عن أوهامهم
لقلة تفكيرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها
طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم ولأن الملك مما يبدل
الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير
جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم أنه هو وقيل ما رأوه إلا من بعيد
بينهم مسافة وحجاب وما وقفوا إلا حيث يقف طالب الحوائج وإنما عرفهم لأنه فارقهم وهم رجال ورأى

زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن
ما عرفهم حتى تعرفوا له **ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي**
الكيل وانا خير المنزلين وجهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون
واوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت
له معهم حتى اجتر القول هذه المسألة روي انهم لما دخلوا عليه وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شأنكم
فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة
بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا
كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه
يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها
احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخ لكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى
اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن
انزالهم وضيافتهم **فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون** ولا تقربون اما ان يكون نهيا واما ان
يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا
وان يكون بمعنى النهي **قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون** سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد
ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة
لا نفرط فيه ولا نتوانى **وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا**
الى اهلهم لعلهم يرجعون لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان
للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا
الى اهليهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم
النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه
واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم
يرجعون لعلهم يردونها **فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له**
لحافظون منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع
الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بالياء اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى
اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه **قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل**
فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين هل آمنكم عليه يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في
اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحفظا

تمييز

تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حافظا وقرأ الاعمش فالله خير حافظ
وقرأ ابو هريرة خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين **ولما**
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير
اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة
نقلت الى الراء كما قيل في قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد ما نبغي ما للنفي اي
ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك والكرامة وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا
واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا هذا وفي قراءة ابن مسعود ما
تبغي على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل
معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي
والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك
ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائد على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي
وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان
لا يزيد الرجل على حمل بعير للتقسيط **فان قلت** هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاذا فسرته بالكذب والتزيد في القول
كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل
البواقي **قلت** اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان
يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه
ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من
تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في
رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم
فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل
يجيبنا اليه الملك لا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل
بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم **قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله**
لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل لن ارسله معكم منا رايت الحالي وقد
منكم ما رايت ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له
بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو
اذن منه لتأتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا
الاتيان به او الا ان تهلكوا **فان قلت** اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال **قلت** ان يحاط

ما نافية ان ... او على الاستفهام
على اساس الطلب ...

بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون منه لعلة من العلل
إلا لعلة واحدة وهي أن يحاط بكم أو مستثنى من أعم الأحوال في المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون
إلا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الإثبات المتأول بمعنى النفي قولهم أقسمت بالله لما فعلت
وإلا فعلت أي ما أطلب منك إلا الفعل الله على ما نقول من طلب الموثق وإعطائه وكيل رقيب مطلع وقال يا
بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا
لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون وإنما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد لأنهم كانوا ذوي
بهاء وشارة حسنة وقد اشتهروا في مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا
مظنة لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود وأن يشار إليهم بالأصابع ويقال هؤلاء أضياف الملك انظروا إليهم
ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالإكرام لأمر ما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف عليهم
أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوؤهم ولذلك لم يوصهم
بالتفرق في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فإن قلت هل للإصابة بالعين وجه يصح
عليه قلت يجوز أن يحدث الله تعالى عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه
ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من أهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول
الحشوي هو أثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب الآية
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة
ومن كل عين لامة وما أغني عنكم من الله من شيء إن أراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت
به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة إن الحكم إلا لله ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان
يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر
الناس لا يعلمون ثم قال ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم أي متفرقين ما كان يغني عنهم رأي يعقوب ودخولهم
متفرقين شيئا قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم
بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم إلا حاجة استثناء منقطع أي ولكن حاجة في
نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم وأظهرها بما قاله لهم ووصاهم به وإنه لذو علم بمعنى قوله وما أغني
عنكم وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا
تبتئس بما كانوا يعملون آوى إليه أخاه ضم إليه بنيامين وروي أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال
لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي
بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فأجلسه
معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات

لا تستقرون من الاتيان به الا لاحاطة بكم الا حر

يوسف

يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم
أخ لي هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك فقال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال له إني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى
فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وعن ابن عباس تعرف إليه أبوه وعن وهب إنما قال له
أنا أخوك بدل أخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم وروي أنه قال له فأنا
لا أفارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فإذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا
يجمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال فإني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك سرقته ليتهيأ لي ردك
بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير
إنكم لسارقون السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به
وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت إناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي
يلتقي طرفاه تشرب به الأعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة
بالجواهر ثم أذن مؤذن ثم نادى مناد وآذنه أعلمه وأذن أكثر الإعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه أيتها العير
إنكم لسارقون القافلة وهو اسم الإبل التي عليها الأحمال
لأنها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل كسقف
فعل به ما فعل ببيض تعيدا والمراد أصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على
جواب لما كأنه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن قالوا
وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي تفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيدا
قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم وقرئ صواع وصاع وصوع بفتح الصاد وضمها
والعين معجمة وغير معجمة وأنا به زعيم يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه إلى من جاء به وأراد وسق
بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين تاء القسم
فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم وإنما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم
وأمانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولأنهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا أو طعاما
لأحد من أهل السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط
بالسرقة وهي منافية لحالنا قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين فما جزاؤه الضمير للصواع أي فما جزاء
سرقته إن كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك
نجزي الظالمين قالوا جزاؤه من وجد في رحله أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل
يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم أي فأخذ السارق نفسه

هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه اي فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه
وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل
جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فتقول اخوه من
يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويجوز
ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسئول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه
كما يقول من يستفتى في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم
فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ
اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فبدأ باوعيتهم
قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين
لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك
وانفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو
همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتأنيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر
ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل
بهم منه صواعا كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا اليه
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في
السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان يأخذه الا بمشيئة الله واذنه
فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين
وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله تعالى
فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق
لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان
في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل ان ذلك القول من المؤذن
لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءة ساحتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم
بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا
فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله
لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر
وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة
التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما

ذكرناه

ذكرناه قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم
شر مكانا والله اعلم بما تصفون اخ له اراد يوسف وروي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته
رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء
متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصاع
في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه
صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم منطقة يتوارثها اكابر ولده
فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه
فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة
اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب
عندها حتى ماتت فاسرها اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا
جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا
والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره
على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة
لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون قالوا
يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين استعطفوه باذكارهم
اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا
له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه يستأنس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذه بدله على وجه الاسترهان او الا
ستعباد انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها قال
معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون معاذ الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب
على قضية فتواكم اخذ من وجد الصاع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون
ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك
فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان نأخذ فاضيف المصدر
الى المفعول به وحذف من واذن جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا فلما استيأسوا منه خلصوا
نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف
فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين استيأسوا يئسوا وزيادة السين
والتاء فيه للمبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر

المسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق **ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين** وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقنا لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرا سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب الامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر **واسال القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون** القرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء **قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل** معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم **عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم** بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة ومصلحة **وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به يا اسفا اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير مستعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم

وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون انهم يحسنون صنعا من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى **فان قلت** كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا **قلت** هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسه مرور المصيبات عليه ولكن كما القرح بالقرح اوجع ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا وقرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط **فان قلت** كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ **قلت** الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ بكظامه **قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين** اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوه دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرا الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب **قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون** البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس

اي بخيره وسعده بأنه امره وابتليه اياه ومعنى انما اشكو بثي اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي
داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل
دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني
وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة اخطأتها
فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت
عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما و
ادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم
من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب وقيل رأى ملك الموت في منامه فسأله
هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرأ الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين قتادة
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما
تفعل من الاحساس وهو المعرفة ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الانسان الحواس
والجواس من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيى بها العباد
فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل و
تصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة
عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا
وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوف لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل
الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا
فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم و
الظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم
نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي يبتغى بها
المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذي
يبتغي الثواب قل اللهم اعطني وتفضل علي وارحمني قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون
قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه
التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني
هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة وكان كلامه شفقة

عليهم

عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب
وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطأها واسجحها ولله
حصى عقولهم ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يعملوا بما يقتضيه العلم
ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا
اوان الحلم والرزانة وروي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول
وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا
اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا
وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب
اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن
وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا
نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف
الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبروا كما صبروا تظفروا كما
ظفروا فان قلت ما فعلهم باخيه قلت تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به
حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى قالوا ائنك لانت
يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
قرئ ائنك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي قراءة ابي أئنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فان قلت كيف عرفوه
قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن
حنيف مسلم من نسل ابراهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم
وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء
فان قلت قد سألهم عن فعلهم بيوسف واخيه فما بالهم اجابوا عنه عن اخيه على ان اباه كان معلوما لهم قلت لانه كان في ذكر اخيه
بيان لما سألهم عنه من حقيق بيخاف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم فوضع
المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين
لقد آثرك الله علينا اي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين
للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله
لكم وهو ارحم الراحمين لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية
الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال

والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه فان قلت بم يتعلق
اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي
هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال
غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او
اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن
خيرا اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم وابن اخ كريم
قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي
منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم
اخوتي واني من حفدة ابرهيم **اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني باهلكم**
اجمعين اذهبوا بقميصي قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل ان
يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء
محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يأت الي وهو بصير وينصره قوله وأتوني باهلكم اي يأتني ابي وتأتوني
اهله جميعا وقيل يهوذا انا احمله لاني انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل
حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا **ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد**
ريح يوسف لولا ان تفندون فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل
منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير قال لمن لديه وقيل ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف
اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل
من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى
لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني **قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم** لفي ذهابك
عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات **فلما**
ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون
القاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده
اذا ارجعه الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام
مبتدأ لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم ما لا تعلمون

وروي انه قال للبشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام
قال الآن تمت النعمة **قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي**
انه هو الغفور الرحيم سوف استغفر لكم اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعهد به وقت
الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان
يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم
اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين
وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت
لنا عين ابدا فاستقبل القبلة الشيخ قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين
سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد
مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم **فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا**
مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي
من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه
يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء
واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون
مصر قال لا هذا ابنك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له يا ١٠
ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني
وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى والمقاتلة
ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى
اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما وقال ابن ابي اسحق كانت امه حية وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها
جعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله
آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت كأنه حين استقبلهم نزل
لهم في مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه فضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين فلما دخل مصر و
جلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر و
الابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا
عليه القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت بم تعلق المشيئة
قلت بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم فكأنه قيل اسلموا وآمنوا في دخولكم

إن شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا
بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة
الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير أن قوله إن شاء الله من باب التقديم
والتأخير وأن موضعها ما بعد قوله سوف أستغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي
نظائره فإن قلت كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة
كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير
وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لأجل يوسف سجدا لله
شكرا وهذا أيضا فيه نبوة يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه قال أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة
من البدو من البادية لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع نزغ أفسد بيننا و
أغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف
التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث
فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين روي أن
يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب
وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت
إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسله قال جبريل الله أمرني
بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة
ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحاق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد
أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه إليه
فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه
كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه
في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا شرعا فيه وولد له أفرائيم وميشا وولد
لأفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت
أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى صلى الله عليه وسلم من في من الملك ومن تأويل للتبعيض
لأنه لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل أنت وليي أنت الذي تتولاني بالنعمة في
الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الإسلام ولأن يختم له بالخير و
الحسنى كما قال يعقوب لولده فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنيا للموت على ما قيل وألحقني بالصالحين
من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له

لقد صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد
الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين فإن قلت علام انتصب فاطر السموات
قلت على أنه وصف لقوله رب كقولك أخا زيد حسن الوجه أو على النداء ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك و
ما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله من أنباء الغيب نوحيه إليك خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى
الذي ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر
بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وهذا تهكم بقريش
ومن كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها أحدا ولا سمع
منه ولم يكن من علم قومه فإذا أخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في
أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرون أنه لم يكن مشاهدا لمن
مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ومكرهم أنهم يكيدون يوسف ويبغون له
الغوائل وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين
وما أكثر الناس يريد العموم كقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس يريد أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو
حرصت وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة
وجدوى كما يعطي حملة الأحاديث والأخبار إن هو إلا ذكر إلا عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب
النجاة على لسان رسول من رسله وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون
ومن آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها
لا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدي والأرض بالنصب على
ويطؤون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها برفع الأرض والمراد ما يرون من آثار
الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وما يؤمن أكثرهم في إقراره بالله وبأنه
خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان وعن ابن
عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة و
هم لا يشعرون غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق قل هذه سبيلي أدعو
إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة
إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله أدعو إلى الله على بصيرة أي
أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء وأنا تأكيد للمستتر في أدعو ومن اتبعني عطف عليه يريد أدعو إليها أنا
ويدعو إليها من اتبعني ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على أنا إخبارا

مبتدأ بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا
ومن اتبعني وسبحان الله وانزهه عن الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين
اتقوا افلا تعقلون الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست
فيهم امرأة وقيل في سجاح المتنبئة ولا رسل الجن. اهله ذكر انما ذكر نوحي اليهم بالوحي من اهل القرى لانهم اعلم و
احلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولدار الآخرة ولدار الساعة او الحال الآخرة خير للذين اتقوا
للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا تعقلون بالتاء والياء حتى اذا استيأس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين حتى متعلقة بمحذوف
دل عليه الكلام كأنه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر وظنوا انهم
قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى
ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى
استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس و
ظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر
بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح
احد الجانبين على الآخر فغير جائز على آحاد المسلمين فما بال الرسل الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال
عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم و
يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد اي وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنجاة
عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل اي وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة
اما على تأويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين
عند قومهم او ظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا وقرئ فنجا فكان معناه وظن الرسل ان قومهم
كذبوهم في ما وعدوهم وقرئ فنجي بالتخفيف والتشديد من انجى ونجى وقرئ على لفظ الماضي المبني للمفعول
وابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم هم الذين يستأهلون ان ينجيهم ويبين ذلك
بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الضمير في قصصهم
للرسل ويؤيده قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته فان قلت فلا مرجع الضمير في
ما كان حديثا يفترى على من قرأ بالكسر قلت الى القرآن اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق

الذي

الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند
السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب تصديق بعده ولكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك
بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف
فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وهي ثلث واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون تلك
اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها او
والذي انزل اليك من ربك القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام
قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها
ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم
بلقاء ربكم توقنون الله مبتدأ والذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة و
قوله يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وتضمن ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها كما
ترونها استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين جمع
الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل آياته في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وان هذا المدبر المفصل
لا بد لكم من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل
الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون جعل فيها زوجين
اثنين خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل المراد بالزوجين الاسود
والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه
فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرئ يغشي بالتشديد وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع
ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم
يعقلون قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة
الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر
مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزرع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس و
الانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متفاضلة في الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي
بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب عطفا على زوجين او بالجر على كل الثمرات وقرأ
وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب وصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم
والكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقرئ يسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون وبالياء على البناء للفاعل

تلك المفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد
وان تعجب يا محمد من قولهم في انكارهم البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد
عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب
أئذا كنا ترابا الى آخره قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل
عليه قوله انا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون أولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال
في اعناقهم وصفهم بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا او محوهم عن الرشد اغلالا واقيادا
او هو من جملة الوعيد ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو
مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والا
حسان اليهم بالامهال وذلك لانهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم وانكارا
وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة
العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها يقال امثلت
الرجل من صاحبه واقتصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بفتحتين لاتباع الفاء العين والمثلات
بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة
كركبة وركبات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال العفو عن ظالمين منهم
وفيه اوجه اذ يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال
وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احد العيش ولولا
وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل
قوم هاد لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا
فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى عليهما السلام من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وما عليك كغيرك من الرسل الا
الاتيان بما تصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول
الغرض بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب اقتضاء علمه بالمصالح
وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها
ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما
انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في
صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى والقدرة له انه

من قبيل آيات الأخرى معقولة لا شيء عليه على قضايا حكمته ان اعطاه كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر
بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه
الثاني فقد دل على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم
ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار
الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون المعنى هو الله تنبيها لما دل على الوجه الأخير اي يعلم حمل
كل انثى وما فيها تحمل وما تغيض الارحام وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه
يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك
من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله وغيض
الماء وما تزداد اي ما تأخذه زائدا يقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله وازدادوا تسعا
ويعدد قد زاد بعينه فانه اد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين
وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا
ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي
والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك
سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام و
ازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته
فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان
تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير
تمام والازدياد ما ولد لتمام وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر
عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء
بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو
مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من
وال سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى
اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان
حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي
والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف
على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من

إذا ذهب مصطحبان كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كأنه
قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب حفظه وكلاءته والأصل
معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم
يقرأ به أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون ما
يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من أمر الله هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات
من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل أن الله أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس و
زيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بأمر الله أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له
ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس
والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أي من قضاياه ونوازله أو على التهكم به
وقرئ له معاقيب جمع معقب أو معقبة والياء عوض من حذف إحدى القافين في التكسير إن الله لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم
هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال خوفا وطمعا لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لأنهما
ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا على تقدير حذف المضاف أي إرادة خوف وطمع أو على معنى إخافة وإطماعا ويجوز
أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أي خائفين
وطامعين ومعنى الخوف والطمع أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال أبو الطيب فتى كالسحاب
الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر
والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به السحاب
اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لأنك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء
كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء
وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين
له أي يصيحون سبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده
وعن علي سبحان من سبحت له إذا اشتد الرعد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا
تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو
فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك
ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته
وتسبح الملائكة من هيبته وإجلاله ذكر علمه وأنه يعلم كل شيء وما يستسر الطائر وما يخفى عنده ووصف قدرته
الباهرة ونصاعته بينة ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكروا آياته يجادلون

فإنه

في الله حيث يكذبون على رسوله فيما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقوله من يحيي العظام وهي رميم
ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والأنداد ويجعلونه بعض الأجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا
جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم
وذلك أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل
قاصدين لقتله فرمى عامر بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرني
عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلف له
استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا
ماحلا مصدقا وقال الأعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى أنه شديد المكر
والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الأعرج بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول محالا إذا
احتال ومنه أحول من ذئب أي أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة و
القدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لأن الحيوان إذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والا
ضطلاع بما لا يضطلع به غيره ألا ترى إلى قولهم فقرته الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه له دعوة
الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما
هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق
الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة إليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة
به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله إن كان مصلحة له
فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا
ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله تعالى على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع
فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق فإن قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت
أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما
على الأول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم وإجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن دعا عليهم فيهم والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم
إلا كباسط كفيه إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه أي كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه
والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه
جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن
أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه

نقري تدعون بالنار كباسط كفيه بالتوريب إلا في ضلال إلا في ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم
يجبهم وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والآصال وفيه تنبيه أي ينقادون لإحداث ما أراده منهم من أفعالهم شاءوا أو أبوا لا يقدرون أن يمتنعوا
عليه وينقاد له ظلالهم أيضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقيل بالغدو
والآصال جمع أصيل أصلوا إذا دخلوا في الأصيل قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء
لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم
جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار
قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا
الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا
قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي إقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على
هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون هذا القول تلقينا أي إذا كعوا عن الجواب فلقنهم فإنهم يتلقنونه ولا
يقدرون أن ينكروه أفاتخذتم من دونه أولياء أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء
فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد علمكم وإقراركم سبب الإشراك لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا
ضرا لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم
على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالكم أم جعلوا بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار وخلقوا
صفة لشركاء يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى
يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد
إذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا
أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله فلا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا
يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب مقهور أنزل
من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء
حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما
ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل
وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل
به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ
الأواني والآلات المختلفة ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك ماكث في الأرض
باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منابعه ويبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي ينبتها مما يدخر

وكذلك

وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه
عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب فإن قلت لم نكرت الأودية
قلت لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض فإن قلت
فما معنى قوله بقدرها قلت بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار ألا ترى إلى قوله وأما
ما ينفع الناس لأنه ضرب المطر مثلا للحق فوجب أن يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض
الأمطار والسيول الجواحف فإن قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية أو متاع قلت الفائدة فيه كالفائدة
في قوله بقدرها لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله وأما ما ينفع الناس لأن المعنى وأما ما ينتفعون به من الماء
والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقدون عليه منه وذلك وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار
ابتغاء حلية أو متاع عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملك
نحو ما جاء في ذكر الآجر فأوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء
أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا أي منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء مجفوا يجفاه السيل أي يرمي به جفاء
القدر بزبدها وأجفأته السيل وأجفلته وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن أبي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة
لأنه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون بالياء أي يوقد الناس للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم
يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب و
مأواهم جهنم وبئس المهاد للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين
استجابوا والكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة
الحسنى وقوله لو أن لهم كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله الأمثال وما بعده
كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ
خبره لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء أفمن يعلم
أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله أفمن
يعلم لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم أنما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال
الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز إنما يتذكر أولوا الألباب أي الذين عملوا
على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله
به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب الذين يوفون مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره
كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لأولي الألباب والأول أوجه وعهد الله
ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا
ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد

تخصيص ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام والقرابات ويندرج فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة
المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة
عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم
ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن
الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث
شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم أي
وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا والذين صبروا ابتغاء
وجه ربهم وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة
أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكاليف
ابتغاء وجه الله لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الأ
عداء كقوله وتجلدي للشامتين أريهم ولا لأنه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله وما إن جزعت ولا هلعت ولا
يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوي منها ما به كان حسنا عند الله وإلا لم يستحق به ثوابا
وكان فعلا كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لأن الحرام لا يكون رزقا ولا يسند إلى الله سرا وعلانية يتناول
النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها
عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا
وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره عقبى الدار عاقبة
الدنيا ومرجع أهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فمن كسر النون
فنقل كسرة العين إليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن أبي عبلة
صلح بضم اللام والفتح أفصح أعلم أن الأنساب لا تنفع إذا تجردت من الأعمال الصالحة وآباؤهم جمع أبوي
كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار سلام عليكم في موضع الحال
لأن المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين فإن قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت محذوف تقديره هذا بما صبرتم
معناه هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى
لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله بما أسلفتم في الأيام الخالية وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام
أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن
يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه

من الاعتراف والقبول ولهم سوء الدار يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدار
جهنم وسوءها عذابها الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة
الدنيا في الآخرة إلا متاع الله يبسط الرزق أي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي
بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم في الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله و
إنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس
إلا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك ويقول الذين
كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب فإن قلت كيف طابق
قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قوله قل إن الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك
أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية
وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه
قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم إن الله يضل من يشاء من كان على صفتكم من التصميم وشدة
الشكيمة في الكفر فلا سبيل إلى اهتدائكم وإن أنزلت كل آية ويهدي إليه من كان على خلاف صفتكم أناب أقبل إلى الحق
وحقيقته دخل في نوبة الخير الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين
آمنوا بدل من من أناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم
تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة
تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب الذين آمنوا مبتدأ و
طوبى لهم خبره ويجوز أن يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف أي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى
مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك
وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محلها واللام في
لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي
طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو
عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب
كذلك أرسلناك مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعني أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف
أرسله فقال في أمة قد خلت من قبلها أمم أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء
لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك وحالهم أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم وإنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم
قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم

ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس
الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولو أن قرآنا جوابه محذوف كما يقول لغلامك لو أني قمت إليك
وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها أو قطعت به الأرض حتى
تتصدع وتتزايل قطعا أو كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار
والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضده ما قبله من
قوله لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك من الدلالة تعظيم ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل
معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله
ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك
الجبال عن مكة حتى يتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود إن كنت نبيا كما تزعم فلست بأهون
على الله من داود أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المفاوز البعيدة
كما سخرت لسليمان وابعث لنا رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الأرض
على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها بما بعد وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا
سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيونا
بل لله الأمر جميعا فيه معنيان أحدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها إلا أن
علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بنى أمر التكليف
على الاختيار ويعضده قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى
أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه إياه لأن الآيس عن
الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل
الرياحي أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم ويدل عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من
الصحابة والتابعين قرأوا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا
ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا
بين دفتي الإمام وكان متقلبا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله
ودقائقه خصوصا عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية
ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء الله بآمنوا على أولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا ولهداهم ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي
وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء أعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله
بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في أنفسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون

ويتطاير إليهم شررها ويتعدى إليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم أو القيامة وقيل ولا
يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم
بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ولقد استهزئ برسل من قبلك
فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب الإملاء الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن
كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له
أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض
أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من
هاد أفمن هو قائم احتجاج عليهم في إشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة أو طالحة بما
كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا و
تمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم أي
جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم ثم قال أم تنبئونه على أم المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد
أم هو أقل من أن يعرف ومعناه بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض فإذا لم
يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم في
السموات ولا في الأرض أم بظاهر من القول بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة
كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي
ورد عليها مناد على نفسه بلسان ذلق أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن
الخالقين وقرئ أتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للإسلام بشركهم وصدوا قرئ بالحركات الثلاث وقرأ ابن أبي إسحاق
وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه أنه لا يهتدي فما له من هاد فما له من أحد يقدر على هدايته لهم
عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق لهم عذاب في الحياة الدنيا وهو ما
ينالهم من القتل والأسر وسائر المحن ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله
من واق وما لهم من حافظ من عذابه أو ما لهم من جهته واق من رحمته مثل الجنة التي وعد المتقون تجري
من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار مثل الجنة صفتها التي
هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره
الخبر تجري من تحتها الأنهار كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار على
حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي أمثال الجنة على الجمع أي صفاتها أكلها دائم كقوله
لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما

انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه مآب والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة وثمانية من اهل اليمن هؤلاء يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو من نعت الاسلام ونعت رسول الله وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع **فان قلت** كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله **قلت** هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون نفيا في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم **وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب** وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب منصوبا على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والاولاد كما قالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما تقتضيه استصلاحهم **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب** يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق

ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوانات والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت **واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب** واما نرينك وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم **اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب** اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراءه فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب والتعقيب طلب الحق حقه الظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا **فان قلت** ما محل قوله لا معقب لحكمه **قلت** هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا **وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار** وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فله المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر **ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله تعالى والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي من لدنه علم الكتاب لانه علم من علمه من لطفه وفضله وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب **فان قلت** بم ارتفع علم الكتاب **قلت** في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل

لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في
الدار اخوه وفي القراءة الثانية يرتفع عنده بتعلقه ويرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين
بعهد الله تعالى سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله
الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج
الناس من الظلمات والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن
الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل
كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز
الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي
يحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه
لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام
عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب
شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة
ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال
بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين
يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا
واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي الى
التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه
عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة
عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا
دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال
لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد
لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل
الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم الا متكلما بلغة قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه
فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته

فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل م

فان قلت

فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس كافة قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم يكن لغيرهم حجة فلو
نزل بالعجمية لم يكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله
بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان
قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى
الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار
المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب
من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب
ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها و
كثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها
يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان
كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد
على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية
ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله تعالى
انزل التورية من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم
كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية
ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف وكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيته
الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من
الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ان اخرج بمعنى اي اخرج لان في
الارسال معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل
بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية و
الدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعزت اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير
بان اخرج وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام
العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه
وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلك
القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم وافاض عليهم
من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم

تنبيها عليهم وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم إذ أنجاكم ظرف للنعمة
بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك الوقت فإن قلت هل يجوز أن ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من أن يكون صلة
للنعمة بمعنى الإنعام أو غير صلة إذا أردت بالنعمة العطية فإذا كان صلة لم يعمل فيه وإن كان غير صلة بمعنى
اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين أنك إذا قلت نعمة الله عليكم فإن جعلته صلة
لم يكن كلاما حتى تقول فائضة أو نحوها وإلا كان كلاما ويجوز أن يكون إذ أنجاكم بدلا من نعمة الله أي اذكروا وقت
إنجائكم وهو من بدل الاشتمال فإن قلت في سورة البقرة يذبحون وفي سورة الأعراف يقتلون بغير واو وههنا
مع الواو فما الفرق قلت الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت جعل
التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر فإن قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء
من ربهم قلت تمكينهم وإمهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو أن ذلكم إشارة إلى الإنجاء
وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال
زهير وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي
لشديد وإذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كأنه قيل وإذ
قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم كأنه قيل وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن
ربكم ومعنى تأذن ربكم آذن ربكم ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد وتفضل وأفضل ولا بد في تفعل من زيادة
معنى ليس في أفعل كأنه قيل وإذ آذن ربكم إيذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى وإذ تأذن
ربكم فقال لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح لأزيدنكم
نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما أنعمت به عليكم إن عذابي لشديد لمن كفر نعمتي
وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد وقال موسى إن تكفروا أنتم يا بني إسرائيل
والناس كلهم فإنما ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وأنتم إليه محاويج والله غني عن شكركم
حميد مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وأياديه وإن لم يحمده الحامدون ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم
وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جملة
من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى أنهم من
الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله وعن ابن عباس بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود
إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا أيديهم
في أفواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو ضحكا واستهزاء كمن

غلبه الضحك فوضع يده على فيه أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به
أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطا لهم من التصديق ألا ترى إلى قوله فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا
إنا كفرنا بما أرسلتم به وهذا قول قوي أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء أطبقوا أفواهكم واسكتوا أو
ردوها في أفواه الأنبياء يشيرون لهم إلى السكوت أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل
الأيدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الأيادي أي ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي
إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى
حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا إليه من الإيمان وقرئ تدعونا بإدغام النون مريب موقع في الريبة
أو ذي ريبة من أرابه وأراب الرجل وهي قلق النفس وأن لا تطمئن إلى الأمر قالت رسلهم أفي الله شك فاطر
السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا
بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين أفي الله شك أدخلت
همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة و
شهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم أي يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم أو يدعوكم لأجل المغفرة كقولك دعوته
لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فإن قلت ما معنى التبعيض في قوله
من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا
قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة تنجيكم إلى
أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكأن ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي
بين الفريقين في الميعاد وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها
ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت قد سماه الله وبين مقداره يبلغكموه إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك
الوقت إن أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو أرسل
الله إلى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات
والحجج وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون إن نحن إلا بشر مثلكم تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها فأما ما وراء
ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
بالنبوة لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة إلا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها
على أبناء جنسهم إلا بإذن الله أرادوا أن الإتيان بالآية التي اقترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وما هو

امر متعلق بمشيئة الله **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا
اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري
علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا
وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين
فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت
المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم
واما عودكم حالفين على ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى
الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد
لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن
الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة ليهلكن الظالمين وليسكننكم
بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض
الظالمين وديارهم ونحوه قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم
ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة
قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت
يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويامرون وينهون فذكرت قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان
المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه
عباده يوم القيمة او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله
والعاقبة للمتقين **واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد** واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسالوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وهو معطوف على فاوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم
لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم
قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم
يفلح باستفتاحه **من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل
مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ** من بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه

فرج قريب وهذا وصف حاله في الآخرة وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف
حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى
فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها صديد عطف بيان لماء لانه قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله
صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب
ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان
كان اسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل
من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل
وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل
ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر الله تعالى ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه
ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستانف منقطع عن حديث الرسل وامهم
**مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء
ذلك هو الضلال البعيد** هو مبتدا محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم
والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم
فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا او هذه الجملة خبر للمبتدا اي صفة الذين
كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا
على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح
كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت
لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وعقر الابل للاضياف وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك
من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها
لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا
من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق
الحق او عن الثواب **الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد** بالحق
بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشا يذهبكم
اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره
على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنسه **وما ذلك على الله بعزيز** وما ذلك على القدير بمتعذر
بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى

الصارف تكون من غير توقف كتحريك أصبعك إذ دعاك إليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية
بيان لإبعادهم في الضلال وعظيم خطائهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة
وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء وبرزوا لله جميعا فقال
الضعفؤا للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا
الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وبرزوا لله ويبرزون يوم القيمة وإنما جيء بلفظ
الماضي لأن ما أخبر به تعالى لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائر له
ومعنى بروزهم لله والله لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش و
يظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية
أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فإن قلت لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ
من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ونظيره علمؤا بني إسرائيل والضعفاء الأتباع والعوام والذين استكبروا
ساداتهم وكبراؤهم وهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء واتباعهم تبعا
تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع والتبع الأتباع يقال تبعه تبعا
فإن قلت أي فرق بين من في من عذاب الله ومن في من شيء قلت الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه
قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن تكونا للتبعيض بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض
شيء هو بعض عذاب الله فإن قلت فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم قلت الذي قال لهم الضعفاء كان
توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لأنهم قد علموا أنهم لا
يقدرون على الإغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو هداهم إلى الإيمان لهدوهم
ولم يضلوهم إما موركين الذنب في ضلالهم وإضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا
ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه
قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويجوز أن يكون المعنى لو كنا من أهل
اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم إلى الإيمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم
أي لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مستو علينا
الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية ونحوه اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم وروي أنهم يقولون تعالوا نجزع
فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا فإن قلت كيف
اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث أن عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء
علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون
ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والأمر من ذلك أطم أو لما قالوا لو هدانا الله

طريق النجاة لأغنينا عنكم وأنجيناكم أجابوهم بالإقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص منجى ومهرب جزعنا
أم صبرنا ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم
أني لم أخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى
واحد وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان
لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم
بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم لما قضي الأمر لما قطع الأمر وفرغ منه وهو
الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار وروي أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا
في الأشقياء من الجن والإنس فيقول ذلك إن الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم
ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم
إليها إلا أن دعوتكم إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك
ما تحيتهم إلا الضرب فلا تلوموني ولوموا أنفسكم حيث اغتررتم بي وأطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم
وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا
من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله قد قضى عليكم الكفر
وأجبركم عليه فإن قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه
وأظهر إنكاره على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام ألا ترى إلى قوله إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قوله تعالى إن عبادي
ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب
الله ولا يغيثه والإصراخ الإغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل
لك يا تا في قالت له ما أنت بالمرضي وكأنه قدر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل
التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف في نحو عصاي فما بالها
وقبلها ياء فإن قلت جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح
ساكن فحركت بالكسر على الأصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر
تتضاءل إليه القياسات ما في بما أشركتمون مصدرية ومن قبل متعلق بأشركتمون يعني كفرت اليوم بإشراككم
إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بإشراكهم إياه تبرؤه
منه واستنكاره له كقوله إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما
موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله تعالى تقول شركت زيدا فإذا
نقلت بالهمزة قلت أشركنيه فلان أي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى إشراكهم

الشيطان باستطاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وغيرها وهذا آخر قول إبليس وقوله إن الظالمين لهم عذاب أليم قول الله تعالى ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس وإنما حكى الله تعالى ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول إليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله إذا كنتم في الفلك وجرين بهم **وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام** وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله ورضوانه عليهما وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وأنا أدخل وهذا دليل على أنه من قول الله لا من قول إبليس بإذن ربهم متعلق بأدخل أي أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره **فإن قلت** بم يتعلق في القراءة الأخرى وقولك وأدخلهم أنا بإذن ربهم كلام غير ملتئم **قلت** الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله بإذن ربهم بما بعده أي تحيتهم فيها سلام بإذن ربهم يعني أن الملائكة يحيونهم بإذن ربهم **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون** وقرئ ألم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق ويصبر وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر أي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الأمير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز أن تنتصب مثلا وكلمة بضرب أي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة أصلها ثابت يعني في الأرض ضارب بعروقه فيها وفرعها وأعلاها ورأسها في السماء ويجوز أن يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها **فإن قلت** أي فرق بين القراءتين **قلت** قراءة الجماعة أقوى معنى لأن في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة وإذا قلت مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى معنى من قولك مررت برجل قائم أبوه لأن المخبر عنه إنما هو الأب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم إن الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر فاستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إنها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وفرعها في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي أكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها بإذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام

وتذكير

وتذكير وتصوير للمعاني **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار** كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة أي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الأرض في مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها ما لها من قرار أي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى إنما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الحق أبلج والباطل لجلج وعن قتادة أنه قيل لبعض أهل العلم ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها في الأرض مستقرا ولا في السماء مصعدا إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيامة **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت إليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمعون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وإنما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإضلالهم في الدنيا أنهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضل وأذل ويفعل الله ما يشاء أي ما توجبه الحكمة لأن مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن إضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار** بدلوا نعمة الله أي شكر نعمة الله كفرا لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفرا على أنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم أو أصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لإيلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين أسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في أعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم

الانجوان من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين وقيل
هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف
جهنم على دار البوار عطف بيان وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار
قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها فان قلت الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام
قلت لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء
دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر و
انهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا
دونه وهو آمر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز
ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا
الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال المقول محذوف
لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا ويجوز
ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر
الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا
وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية
او على المصدر اي انفاق سر وعلانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة
فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون
اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا
بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء
وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال
اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه
بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس
والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ان الانسان لظلوم كفار الله مبتدأ والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات
ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق
بامره بقوله كن دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان
والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي

اتياق م

آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي
آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح
احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها و
بلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله لظلوم
كفار يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع
ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من توجدان منه واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل جائر ظالم
واجاب فيه دعوة خليله ابراهيم عليه السلام آمنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين
قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني
ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ
واجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد
جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف
عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الا
صنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما اصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت وكانوا يدعونه
يبتكن الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال الطاف بالبيت ولا يقال الدوار بالبيت رب انهن اضللن كثيرا
من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم انهن اضللن كثيرا من الناس فاعتصمت بك ان
تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم
اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي
وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن
عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن
عصاني فيما دون الشرك ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة
فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون من ذريتي بعض اولادي وهم
اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج
بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير عند بيتك المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل
ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم
الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلوة
اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند

بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع
مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة
التي آثرت بها سكان حرمك افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد
لو قال افئدة الناس لزاحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز
ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا
التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما
ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او
جماعات يعجلون اليهم ويجلونه بحزمهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان
تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا ومن قوله يهوي
نحابيتها هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوي
يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب
اليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا
ماء لا جرم ان الله تعالى اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود
اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى
الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية
والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر
نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم ربنا انك
تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء النداء المكرر دليل التضرع واللجأ الى الله انك تعلم ما نخفي وما
نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا
وما يصلحنا وما يفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما
ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل
اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على
حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر
استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من
الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى
بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت

اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم كقوله وكذلك يفعلون او
من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كأنه قيل وما
يخفى عليه شيء ما على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما ترى من كبري اعلم من حيث تركا الكتيبة وهو في موضع
الحال معناه وهب لي وانا كبير في حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو
ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد
لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع
الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك
السن العالية كانت آية لابرهيم ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصا
لحين فشكر الله ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك
كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن فان
قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء
وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا او ضراب اخاه
ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الا
سناد المجازي والمراد سماع الله رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي و
لوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه
علم باعلام الله ان يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعائي اي عبادتي واعتزلكم
وما تدعون من دون الله وفي قراءة ابي ولابوي وقرأ سعيد بن جبير لوالدي على الافراد يعني اباه وقرأ الحسن
ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ لذريتي يقوم الحساب ولولدي بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد
كأسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وهما كافران قلت
هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام
ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه
لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار
الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل
الدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ويجوز قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوءها كأن لها قامت
على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسأل القرية وعن مجاهد
قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعله
اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة وأراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس انه قال كانت الطائفة من

فلسطين فلما قال ابراهيم ربنا اني اسكنت من ذريتي الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار فان قلت يتعالى الله عن السهو
والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا
قلت ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه
لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا
آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى
عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد
ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير
والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية
للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص
فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم
وافئدتهم هواء مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف
مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم
ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء الخلاء الذي لم تشغله
الاجرام فوصفت به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء
قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هواء
وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خالية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر الناس
يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم
تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا
الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك
واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء
الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم
من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا ما لكم جواب القسم وانما جاء
بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا
لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا

لكم الامثال يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا لان السكنى من السكون
الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغني فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص
تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكن من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس
سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا
ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا
لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم
وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم
عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم
الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم
وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال
معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان
تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره
قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه
الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله ان الله عزيز ذو انتقام مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي
فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف
الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه
اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد
وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تبدل انتصاب على البدل من يوم يأتيهم او على
الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات
والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم
بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل
ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافهما
فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس هي تلك الارض
وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار

كما بدلت وكسوف شمسهما وخسوف قمرهما وانتثار كواكبهما وكونهما أبواباً وقيل يخلق بدلهما أرض وسموات أخر وعن
ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رضي الله عنه
تبدل الأرض من فضة والسموات من ذهب وعن الضحاك أرضاً من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الأرض
بالنون فإن قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لأن الملك إذا كان
لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار كان الأمر في غاية الصعوبة والشدة
وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد مقرنين قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم
إلى أرجلهم مغللين وقوله في الأصفاد إما أن يتعلق بمقرنين أي يقرنون في الأصفاد وإما أن لا يتعلق به فيكون
المعنى مقرنين مصفدين والأصفاد القيود وقيل الأغلال وأنشد لسلامة بن جندل وزيد الخيل مثقلاً في
صفاد أنه يعض جامعه ويعظم ساقه **سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار** القطران فيه ثلاث لغات
قطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فتهنأ
به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد يبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال
النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل
وهي القمص لتجتمع عليهم الأربع لذع القطران وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح
على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به في الآخرة فبينه
وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامي والمسميات ثم فبكرمه الواسع
نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني
المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة يوم يسحبون
في النار على وجوههم لأن الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع
على الأفئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى **ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب**
أي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس من مجرمة ومطيعة لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم
علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم **هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر
أولوا الألباب** هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله فلا تحسبن الله إلى قوله
سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا به هذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من
نذر به إذا علمه واستعد له وليعلموا أنما هو إله واحد لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة إلى النظر حتى
يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إبراهيم أعطي
من الأجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الأصنام وعدد من لم يعبدها **سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية**
بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة

من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه
كتاباً وأي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين**
قرئ ربما وربما بالتشديد وربتما بالضم والفتح مع التخفيف فإن قلت لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا
على الماضي قلت لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود فإن قلت
متى تكون ودادتهم قلت عند الموت أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل إذا رأوا المسلمين يخرجون
من النار وهذا أيضاً باب من الودادة فإن قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك
ستندم على فعلك وربما ندم الإنسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان
الندم مشكوكاً فيه أو كان قليلاً لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون
كما يتحرزون من الغم المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الإسلام
مرة واحدة فبالحري أن يسارعوا إليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وإنما
جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كنا مسلمين لكان
حسناً سديداً وقيل تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فإن كانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم
تمنوا ذلك **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون** ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم
ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم
ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا في العاقبة إلا خيراً فسوف يعلمون
سوء صنيعهم والغرض الإيذان بأنهم من أهل الخذلان وأنه لا يجيء منهم إلا ما هم فيه وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ
إلا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل إلى اتعاظهم قبل ذلك فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم
ولا يشتغل بما لا طائل تحته وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً في العاقبة وفيه إلزام
للحجة ومبالغة في الإنذار وإعذار فيه وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل
وهذه هجيرى أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين **وما أهلكنا
من قرية إلا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون** ولها كتاب جملة واقعة صفة
لقرية والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون وإنما توسطت
لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم وهو
أجلها الذي كتب في اللوح وبين ألا ترى إلى قوله ما تسبق من أمة أجلها في موضع كتابها وأنث الأمة أولاً ثم ذكرها
آخراً حملاً على اللفظ والمعنى وقال وما يستأخرون بحذف عنه لأنه معلوم **وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر
إنك لمجنون** وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون إن
رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون فكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون والتعكيس في كلامهم

للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد
وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر لو ما تأتينا
بالملائكة ان كنت من الصادقين لو ما ركبت مع لا لامتناع الشيء لوجود غيره وبمعنى التحضيض ولما
هل لم وركب لا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحيآء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري
والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا او هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها ما
ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين وقرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول ونزل
وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تأتيكم
عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله
قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذن جواب لهم وجزاء
لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ولذلك قال
انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد من بين يديه ومن
خلفه رصدا حتى بلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف
وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما
بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا
لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية
لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير
في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يعصمك من الناس ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين
وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا
اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلنا رسلنا فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم حكاية حال
ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال كذلك نسلكه
في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين السلك ادخال الخيط في الابرة والسلكة ادخاله
فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه
نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها
باللئام تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال
اي غير مؤمن به او بيان لقوله كذلك نسلكه وقد خلت سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا

برسلهم

برسلهم والذكر انزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون فظلوا فيه يعرجون بالسلم والكثرة وسكرت حيرت او حبست من
الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر
اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر
لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد
بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون الى السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم
بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقالوا انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار
ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق
السمع فاتبعه شهاب مبين من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن
السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها شهاب
مبين ظاهر للمبصرين والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون موزون
بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة و
المنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وجعلنا لكم فيها معايش ومن
لستم له برازقين معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح الياء فيها خطأ و
الصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف
على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم
معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين تحسبون انهم يرزقونهم خطأ
فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيهم الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد
سبق الى ظنهم انهم هم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف
على الضمير المجرور وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ذكر الخزائن تمثيل والمعنى
وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بقدر معلوم
نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء
ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون لواقح فيه قولان
احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير عقيم والثاني ان اللواقح
بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تأويل
الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان
من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السماء

وانزاله منها وما انتم عليه بخازنين دلالة على عظيم قدرته ولطفه بالعباد ثم **ونحن الوارثون** اي الباقون
بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعله الوارث منا **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** ليعد
علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج
بعد او من تقدم الى الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين
وروي ان امرأة حسناء كانت في الصلوات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يتقدم
لئلا ينظر اليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت **وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم** هو يحشرهم اي وحده
القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع
العلم يفعل كل ما يفعله على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط بكل شيء علما **ولقد خلقنا الانسان من صلصال**
من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ فان
اذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف
صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ
صورة انسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به
فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا ومن حمإ صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمإ
مسنون ويجوز ان يكون صفة لصلصال لكنه اتبع الحمأ ضمنا بينهما تمثال انسان اجوف فيبس حتى
اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان ابو الجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ الحسن
عبيد والجأن بالهمز من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين
جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان **واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ**
مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا
ابليس ابى ان يكون مع الساجدين واذ قال ربك واذكر وقت قوله فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها وهيأتها
لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي احييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى
به واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب
كقولك رأيتهم الا هندا وابى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه
ولكن ابليس ابى **قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين** حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في الا
تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في اباك السجود واي داع لك اليه **قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته**
من صلصال من حمإ مسنون اللام في لاسجد لتأكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل
ان اسجد لبشر **قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرني الى**

يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب
او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها
والضمير في منها راجع الى الجنة او الى السماء او الى خلقة الملائكة وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية
يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التأبيد واما ان يراد انكم مذمومون مدعو عليكم
باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن معه
الذين يوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد لكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة
وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك
وانظر الى آخر ايام التكليف **قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين** بما اغويتني
الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه
تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض
للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه
وارادته والرضا به ونحو قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم فانه اقسام الا ان احدهما اقسام
بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف
ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم
المعاصي وادعوهم الى ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد
الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا
على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها
اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها
دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي **الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي**
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه
اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ
علي وهو من علو الشرف والفضل **وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم**
لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابوابها اطباقها وادركها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث
للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما جهنم
لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين
والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها
على الزاي كقولك خبء في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الخلف اجرى الوصل مجرى الوقف **ان المتقين**

في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرأ الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم يسلم عليكم الملائكة ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا على آخر غل نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمن وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التحاب والتواد واخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فبأي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة تبشرون ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة بشرناك بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهو قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونن وتبشرونني بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القانطين من قنط يقنط قال ومن يقنط

ومن

من رحمة ربه الا الضالون ومن يقنط استبعادا لحركات الملك في الموت اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء منقطع او متصل قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الا آل لوط جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك وآتيناك بالحق وانا لصادقون باليقين من عذابهم

لصادقون في الاخبار بحلول العذاب بهم فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا
حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ فاسر باهلك بقطع
ووصلها من اسرى وسرى بمعنى وهو على الاول من السير والقطع في آخر الليل افتحي الباب وانظري في
النجوم كم علينا من قطع الليل وقيل هو بعد ما يمضي منه شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم و
نهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا
فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه
قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك
الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم
سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة
ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي له
اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهي عن الالتفات كناية
عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون
قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في
تؤمرون وعدى قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر
بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرا الاعمش ان بالكسر على
الاستئناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر
هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد وجاء اهل المدينة يستبشرون
اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة قال ان هؤلاء ضيفي
فلا تفضحون لا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به
فقد اكرم واتقوا الله ولا تخزون ولا تخزوني ولا تذلوني باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او
ولا تشوروا بي من الخزاية وهو الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع
عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم
وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم
كانوا نهوه ان يضيف احدا قط قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين هؤلاء بناتي اشارة الى النساء
لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا
تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون و
قيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون لعمرك

على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اي في غوايتهم التي اذهبت
عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون
يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم
بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف
فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا
الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم فاخذتهم الصيحة مشرقين الصيحة صيحة جبريل عليه السلام
مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان
في ذلك لآيات للمتوسمين من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند
ربك اي معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط
وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين وانها وان المدينة القرية يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه
الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وان
كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني
قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل
بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء
واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا ف
كانوا عنها معرضين اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا
لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لابن الزبير و
اصحابه وعن جابر مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا
انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
راحلته فاسرع حتى خلفها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها
من ان تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب الله يحسبون
ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ما كانوا يكسبون من بناء البيوت
الوثيقة والاموال والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل و
الانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لآتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم
على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى

بينهم أعرض عنهم إعراضا جميلا بحلم وإغضاء، وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز أن يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا
إن ربك هو الخلاق العليم إن ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه
ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم أو إن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى
أن يكون السيف أصلح وفي مصحف أبي وعثمان إن ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير
كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب **ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم** سبع
آيات وهي الفاتحة أو سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما في حكم سورة ولذلك
لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم أو سبع صحائف وهي الأسباع والمثاني من التثنية
وهي التكرير لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة
مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد و
الوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن إما للبيان
وأما للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال وللبيان إذا أردت الأسباع ويجوز أن يكون كتب الله كلها
مثاني لأنها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها **فإن قلت** كيف صح عطف القرآن
العظيم على السبع وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه **قلت** إذا عني بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن
ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى إلى قوله بما أوحينا إليك هذا
القرآن يعني سورة يوسف وإذا عنيت الأسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن
العظيم أي الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الثناء والعظم **لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا**
منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين أي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له إلى ما متعنا
به أزواجا منهم أصنافا من الكفار **فإن قلت** كيف وصل هذا بما قبله **قلت** يقول لرسوله قد أوتيت النعمة العظمى
التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك أن تستغني به ولا تمدن عينيك إلى
متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر رضي الله عنه من أوتي القرآن فرأى أن
أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل
ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه
الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله تعالى فقال لهم الله تعالى لقد أوتيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل
السبع ولا تحزن عليهم أي لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام وينتعش
بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن إيمان الأغنياء والأقوياء
وقل لهم إني أنا النذير المبين أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم **كما أنزلنا على المقتسمين الذين**
جعلوا القرآن عضين فإن قلت بم تعلق قوله كما أنزلنا **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله

والمق

ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث
قالوا بعنادهم وعداوتهم بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق و
باطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز
أن يراد بالقرآن ما يقرءونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض و
النصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه
بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني
أن يتعلق بقوله وقل إني أنا النذير المبين أي أنذركم ببأس مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني
اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الإعجاز لأنه إخبار بما سيكون
وقد كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي أنذر المعضين الذين يجزئون
القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم
فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه
ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن
وائل والأسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام
والاقتسام بمعنى التقاسم **فإن قلت** إذا علقت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن إلى
آخره بينهما **قلت** لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى
التسلية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر بأن يقبل بمجامعه على المؤمنين
عضين أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء قال رؤبة وليس دين الله
بالمعضى وقيل هي فعلة من عضهته إذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة
عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الأول واو وعلى
الثاني هاء **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع
وعن أبي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين **فاصدع بما تؤمر وأعرض**
عن المشركين فاصدع بما تؤمر فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من
الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الإبانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل وما موصولة والراجع
من الشرائع محذوف الجار كقوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ويجوز أن تكون ما مصدرية من المبني للمفعول
إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون عن عروة بن الزبير في المستهزئين
هم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن
عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

أمرت أن أكفيكهم فأومأ إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا في عقبه
فقطعه فمات وأومأ إلى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت
كالرحى ومات وأشار إلى عيني الأسود بن عبد المطلب فعمي وأشار إلى الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات وأشار إلى الأسود
بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ولقد نعلم
أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين بما يقولون من أقاويل الطاعنين
فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما نابك إلى الله والفزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفيك ويكشف
عنك الغم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين أي الموت أي ما دمت حيا فلا
تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون
كانوا يستعجلون ما وعدهم من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم أتى
أمر الله أي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روي أنه لما نزلت اقتربت الساعة
قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت
قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى
شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا
تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ يستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ جل وعز عن أن يكون له
شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن إشراكهم على أن ما موصولة أو مصدرية فإن قلت كيف اتصل هذا
باستعجالهم قلت لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالتاء والياء
ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون
ينزل وقرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة بمعنى تتنزل بالروح من أمره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من
وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وأن أنذروا بدل من الروح أي ينزلهم بأن أنذروا وتقديره بأن
أنذروا أي بأن الشأن أقول لكم أنذروا أو يكون أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى
أنذروا أنه لا إله إلا أنا أعلموا الناس بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس
قولي لا إله إلا أنا فاتقون خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله
إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه وما لا بد له منه من
خلق البهائم لأكله وركوبه وجر أثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه ومثله متعال عن

أن يشرك به غيره وقرئ تشركون بالتاء والياء خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين فإذا هو خصيم مبين فيه معنيان
أحدهما فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين لحجته بعدما كان نطفة من مني جمادا لا حس به ولا حركة
دلالة على قدرته والثاني فإذا هو خصيم لربه منكر لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للإنسان بالإفراط
في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعدما قد رم والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها
تأكلون الأنعام الأزواج الثمانية وأكثر ما يقع على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر
قدرناه ويجوز أن يعطف على الإنسان أي خلق الإنسان والأنعام ثم قال خلقها لكم أي ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم
يا جنس الإنسان والدفء اسم ما يدفأ به كما أن الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو
شعر وقرئ دف بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك فإن قلت تقديم الظرف
في قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس
في معايشهم وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل
أن طعمتكم منها لأنكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها
وألبانها وجلودها ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون زين الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لأنه من
أغراض أصحاب المواشي بل هو من معاظمها لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت بإراحتها
وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء أنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم في عيون الناظرين
إليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سوآتكم وريشا فإن قلت لم قدمت
الإراحة على التسريح قلت لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت
إلى الحظائر حاضرة لأهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على أن تريحون وتسرحون وصف للحين
والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا
بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم وقرئ بشق الأنفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة
وبينهما فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع وأما
الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فإن قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كأنهم كانوا
زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الإبل أثقالهم قلت معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه
في التقدير لو لم تخلق الإبل إلا بجهد أنفسكم لا أنهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فإن قلت كيف طابق قوله لم
تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها إليه قلت طباقه من حيث إن معناه وتحمل أثقالكم
إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم ويجوز
أن يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس وقيل أثقالكم أجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤوف رحيم

حيث ركبكم وخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة و**
يخلق ما لا تعلمون والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اي وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج
على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره كما في الانعام **فان قلت**
لم انتصب وزينة **قلت** لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها **فان قلت** هلا ورد المعطوف والمعطوف
عليه على سنن واحد **قلت** لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها
زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من ها اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال
ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالا
شياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على
اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم
تبلغه اوهام احد ولا خطر ببال احد **وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين** المراد
بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال
سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله
قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى **فان قلت** لم غير اسلوب الكلام
في قوله ومنها جائر **قلت** ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل
وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرا عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن
القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو شاء الله لهداكم اجمعين قسرا والجاء **ينبت لكم به الزرع والزيتون**
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وقرئ ننبت بالنون
فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات **قلت** لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها
للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم
ينبت بالتشديد وقرا ابي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع **وسخر لكم**
الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
قرئ كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل
ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه
قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع
مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب
الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب
وقال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القد

الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة **وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية**
لقوم يذكرون وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك
مختلف الهيئات والمناظر **وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسو**
نها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون لحما طريا هو السمك ووصفه
بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه **فان قلت** ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف
الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى **قلت** مبنى الايمان على العادة وعادة الناس
اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك
كان حقيقا بالانكار عليه ومثاله ان الله سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو
حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث الحلية اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم
ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك
بالرياح وابتغاء الفضل التجارة **والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون**
ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور
فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل
فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا **وعلامات و**
بالنجم هم يهتدون وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك
والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي
وقرا الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو
من النجوم تخفيفا **فان قلت** قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم
كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم **قلت** كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء
بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا
افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون **فان قلت** من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو
لاولي العلم **قلت** فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله
على اثره والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق
والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل
يمشون بها يعني ان الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد وآذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم
اموات فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا **فان قلت** هو الزام للذين
عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله تعالى فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان

في تسميته باسمه والعبادة له وتسويته بينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوه بها ولذلك أنكر عليهم
ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم لا تحصوها لا
تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها
على أن وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد إن الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها ولا
يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون من أعمالكم وهو وعيد والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات
غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله
وقرئ بالتاء وقرئ يُدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الألوهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون
وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالبعث ومعنى
أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي
لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه
تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة
على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنحت
والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء يعني أن
من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها
وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها وما يشعرون أيان يبعثون أي وما يعلم
هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكما بحالها لأن شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي إلا الحي القيوم
تعالى ووجه ثالث وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات أي لا بد لهم
من الموت غير أحياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة إلهكم إله واحد
فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون إلهكم إله واحد تكرير للمدعى بعد ما قدم
من إبطال أن تكون الآلهة لغيره وأنه لوحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح
دليلها استمرارهم على شركهم وأن قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها لا جرم أن
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين لا جرم حقا أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم
فيجازيهم وهو وعيد إنه لا يحب المستكبرين يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز أن
يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ماذا منصوب
بأنزل بمعنى أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع بالابتداء بمعنى أي شيء أنزله ربكم فإذا نصبت فمعنى أساطير الأولين
ما يدعون نزوله أساطير الأولين وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو

يعنون وقصصهم فالذي يدعون نزوله هو كلام مثلنا مقتبس لأنه لا يكون منزلا من ربهم وإنما أساطير الأولين قلت هو على الخرافة كقوله
أنزل ربكم ومن كلامهم بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله قالوا أحاديث الأولين
وأباطيلهم ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون
ليحملوا أوزارهم أي قالوا ذلك إضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا أوزار ضلالهم كاملة ومن بعض أوزار
من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان هذا بضلاله وهذا بإضلاله على الضلال
فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال
من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم لأنه كان
عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد
فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون القواعد أساطين البناء التي تعمده وقيل
الأساس وهذا تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات
كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتي البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف
وهلكوا ونحوه من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف
ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى إتيان الله إتيان أمره من القواعد من
جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فأتى الله بيتهم فخر عليهم السُقُف
بضمتين ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم
إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته يعني
هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة شركائي على الإضافة إليه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق
الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون يعني
تشاقونني لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله قال الذين أوتوا العلم هم الأنبياء والعلماء من أممهم الذين
كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم
ويحكي الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم
فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم
خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقرئ يتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بإدغام التاء في
التاء فألقوا السلم فسالموا وأخبتوا وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من
سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولوا العلم إن الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم
عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك فادخلوا أبواب جهنم وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا

للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها
تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين خيرا فان
قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا
واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال
فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم
بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان
خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله
فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا
حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون
كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا
باحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم
دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز
ان يكون المخصوص بالمدح الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك كذلك فعل الذين من
قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر و
المعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه
ملك الموت فقال له السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة تأتيهم الملائكة وفي الملائكة
والكسائي يعني ان تأتيهم لقبض الارواح او امر ربك العذاب المستأصل او القيامة كذلك اي مثل ذلك الفعل من
الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما
استوجبوا به التدمير فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن سيئات ما عملوا
جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل
على الرسل الا البلاغ المبين هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار
وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم
عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله
وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله
فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي

بالبيان

بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم
وارادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد
بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من
حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ولقد امد ابطال قدر
السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله و
باجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه
الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت
بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ان تحرص على هداهم
فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يهدي من يضل الله اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث
والله تعالى متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى اي لا يقدر احد على هداية من
يخذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز
ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل و
هي معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله يهدي بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للاولى
وقرئ يضل بالفتح وقرأ النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغة واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا
بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم
البعث مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم ووعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله
وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على
الله لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم الذي يختلفون فيه
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير
لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كذبوا في قولهم
لا يبعث الله من يموت ويجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في
كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب
انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قولنا مبتدأ وان نقول خبره وكن فيكون من كان
التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك
لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور به عند امر

الامر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه
السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون
والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى
المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب
انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه
ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد
لو لم يخلق الله النار لاطاعه فكيف وقد خلقها في الله في حقه ولوجهه حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة
وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة
على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه انه اذا
كان اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا وما ذخر لك
في الآخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير
للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع
الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا وعلى ربهم
يتوكلون الذين صبروا اي هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب و
على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأسهم وعلى المجاهدة
وبذل الارواح في سبيل الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم
يتفكرون قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم
على ألسنة الملائكة فاسألوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا
بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى اما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء
مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا
بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كأنه قيل بم ارسلوا فقلت
بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بنوحي اي نوحي اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان
الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسألوا اهل الذكر
اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين

ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان
يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا افأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله
عليه وسلم او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم
او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا
فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته
وتخونته اذا تنقصته قال ابو كبير الهذلي تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي
يأخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر
ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك
في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا
قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون
قرأ حمزة وعلي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيؤ بالتاء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤ ظلاله واليمين بمعنى
الايمان سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من
كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى
اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه
استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة
عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون من دابة يجوز
ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في
الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون
بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين
لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من
الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين
بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير
ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان
قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل

على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون ربهم
من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون
خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته
بيخافون فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل
على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجا
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون فان قلت انما جمعوا بين العدد
والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة
على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى
ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد
او التثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما
والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو
قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية
فاياي فارهبون نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات
وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم وله ما في السموات والارض
وله الدين واصبا افغير الله تتقون الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان
كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة
ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة فمن الله ثم
اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجأرون فما
تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا
سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم ثم اذا كشف الضر عنكم اذا
فريق منكم بربهم يشركون وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة
يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله
وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض
كأنه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في
الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا
ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر ويجعلون لما لا

يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون لما لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها
انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر
ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر
اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسألن وعيد عما كنتم
تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما
يشتهون كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم
ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات
اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم
ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل
نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة يتوارى من القوم
من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون يتوارى من القوم يستخفي
منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه
في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التأنيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون حيث
يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة
مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور و
كراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغني
عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن
ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم
الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن ابن
عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون
وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون ويجعلون لله ما
يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون
له اراذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله
تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال

هاتوا ما نعم الى فوق بالكسر والحرق مما لا يريده اما يستحي من ذلك المرتفع قيل نزلت الآية عن
مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب
صفة للالسنة مفرطون قرئ بفتح الراء وبكسرها مخففا ومشددا اما المفتوح فمعنى مقدمون الى النار
معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته
ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم
فهو وليهم اليوم حكاية للحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل
اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم ومتولي اغوائهم او فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية
وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم اليوم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ
الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم
ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا
على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل و
انما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم
عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض
بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه
فكانه اصم لا يسمع وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا
سائغا للشاربين ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم
ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان
في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم
فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه
تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم
من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله
لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر
في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف
الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما
اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب

كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد
وسيغا بالتخفيف كهين ولين فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن
بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان
الاسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله
لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث
ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر
على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج
اللبن من بين فرث ودم طاهرا ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان
في ذلك لآية لقوم يعقلون فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره
ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه
سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار
فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل
والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت
فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في
قوله او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا
قال فجاؤونا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي وفيه وجهان احدهما ان يكون منسوخة وممن قال
به الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب
والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية
وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي
قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شاخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى
به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج في المروءة وقيل السكر الطعم وانشد جعلت
اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر فانه اذا انتهك في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق
الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو
سكر ورزق حسن واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون والايحاء الى النحل
الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها
ولطفها في تدبير امرها واصاباتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى
اولي العقول عقولهم وقرئ النحل بفتحتين وهو مذكر كالنحل وتانيثه على المعنى وان اتخذي

وأن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لأجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي تعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فإن قلت ما معنى من في قوله أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون من كل الثمرات إحاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد أكلها أي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ومنافذ مأكلك أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد البعيد في طلب النجعة أو أراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لأن الله ذللها ووطأها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا أو من الضمير في فاسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لأنه مما يشرب مختلف ألوانه منه أبيض وأصفر وأحمر وأسود فيه شفاء للناس لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره إما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاء إليه فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما أنشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم أنه قال عند المهدي إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فضحك المهدي وحدثت به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير إلى أرذل العمر إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لأنه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وأن يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم فكان ينبغي أن

تردوا فضل ما رزقتم عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت أفبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى أن الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فإنما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم وقرئ تجحدون بالتاء والياء والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون من أنفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد وقال حفد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال واختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل البنين وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كأنه قيل وجعل لكم منهن أولادا هم بنون وهم حافدون أي جامعون بين الأمرين من الطيبات يريد بعضها لأن كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها أفبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمارة فليس لهم إيمان إلا به كأنه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإن أردت المصدر نصبت به شيئا كقوله أو إطعام يتيما على لا يملك أن يرزق شيئا وإن أردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز أن يكون تأكيدا للا يملك أي لا يملك شيئا من الملك ومن السماوات والأرض صلة للرزق إن كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السماوات مطرا ولا من الأرض نباتا أو صفة إن كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لأنه في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون أولو الألباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فإن قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما إلا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وإنما المعنى

لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يعود الى الرجع ويراد بالجمع بين نفي
الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم
فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من ضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة
ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم
لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد
فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في
اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو
يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على
التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر
على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك
والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه
قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان يكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه
هل يستوي الاحرار والعبيد وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على
مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم الابكم الذي
ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله
ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات
مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة و
دين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية
والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه القى سعدا
وقرأ ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح
البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن
العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض
لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه
هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده و
ان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة
واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شيء قدير
فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده والله اخرجكم

من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وقرئ
امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف
والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم
وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة
الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم
والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع
غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن
الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قرئ بالياء والتاء مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من
الاجنحة والاسباب المواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو واللوح مثله
ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود
الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا و
متاعا الى حين من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن
اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في
الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون
في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت اثاثا
ومتاعا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان تبلى وتفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون
والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل
تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات اكنانا
جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف و
الكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقل ما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا
وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام
يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه الفاشية فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ
تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع
فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعدما اديت ما وجب عليك
من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون
يعرفون نعمة الله التي عددنا حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من
الله ولكنه بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم

وانما لا يعرفون الكلم نحو هذا اذا المعتقد انها من الله وانما اجراها على يد فلان فجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك اذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ارادوا بالشركاء آلهتهم ومعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء او الشياطين لانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي ندعوا بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا انهم معبودون دونا او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشرك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون والقوا يعني الذين ظلموا القوا السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عقابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن لسعة يجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم منهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء على امتك تبيانا

بيانا بليغا ونظيره تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون العدل الواجب لان الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت فقال افلح الرجل ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفحشاء ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين علي رضي الله عنه اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ولا تكونوا في نقض الايمان كالمرأة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم

وليبين لكم إنذاركم بتحذيركم من مخالفة ملة الإسلام **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من**
يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون فلو شاء الله لجعلكم أمة واحدة حنيفية مسلمة
على طريقة الإلجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت أن يضل من يشاء وهو أن يخذل من علم
أنه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الإيمان يعني أنه بنى الأمر على
ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الإجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك
وحققه بقوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر إلى الضلالة والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسئلون عنه
ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم
عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم
ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ثم كرر النهي عن اتخاذ
الأيمان دخلا بينكم تأكيدا عليهم وإظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل أقدامكم عن محجة
الإسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم عن الدين أو بصدكم
غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم
في الآخرة كان قوم ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين
وإيذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فثبتهم الله عن ذلك بقوله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا
وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم إن رجعوا إنما عند الله من إظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير
لكم ما عندكم من أعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد مكي ولنجزين بالنون
الذين صبروا على أذى المشركين ومشاق الإسلام **فإن قلت** لم وحدت القدم ونكرت **قلت** لاستعظام
أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو**
مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فإن قلت
من متناول في نفسه للذكر والأنثى فما معنى تبيينه بهما **قلت** هو مبهم صالح على الإطلاق للنوعين إلا أنه
إذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين ليعم الوعد النوعين جميعا حيوة طيبة
يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا إن كان
موسرا فلا مقال فيه وإن كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله وأما الفاجر
فأمره على العكس إن كان معسرا فلا إشكال في أمره وإن كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه
وعن ابن عباس الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل

هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**
لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله إيذانا بأن الاستعاذة من
جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله كقوله
إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقوله إذا أكلت فسم الله **فإن قلت** لم عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل
قلت لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه وكان منه بسبب قوي وملابسة
ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم فقال لي يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبرئيل عليه السلام عن القلم عن اللوح
المحفوظ **إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** ليس له سلطان أي تسلط وولاية على أولياء
الله يعني أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريده منهم من اتباع خطواته **إنما سلطانه على الذين يتولونه و**
الذين هم به مشركون إنما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع إلى ربهم ويجوز أن يرجع إلى
الشيطان على معنى بسببه **وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم**
لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين
تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها إنما مصلحات ويجوز أن يتعبد عباده
كل وقت بما أراد وما كان صالحا وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله تعالى
عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله أعلم بما ينزل قالوا إنما
أنت مفتري ويجدون سبيلا للطعن وطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون
إن محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ
الأشق بالأهون والأهون بالأشق والأهون بالأهون والأشق بالأشق لأن الغرض المصلحة لا الهوى
والمشقة **فإن قلت** هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن إنما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة
والإجماع والقياس **قلت** فيه أن قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على أن السنة المكشوفة المتواترة
مثل القرآن في إيجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله وأما الإجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح
نسخ القرآن بها في نزله دلالة على أن ما فيها من التنزيل شيئا فشيئا على حسب اقتضاء الحوادث والمصالح إشارة
إلى أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل وأن ترك النسخ بمنزلة إنزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة و
روح القدس جبرئيل صلوات الله عليه أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد
الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في
موضع الحال أي نزله ملتبسا بالحكمة يعني أن النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى إذا
قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على أن الله

تعالى حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما عطفا على محل ليثبت والتقدير
تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف
ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين
ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان صاحب
كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة و
يقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا
يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده
وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا
لحد فلان في قوله والحد فيه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى
لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان
وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون
اليه بتعريف اللسان **فان قلت** الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها **قلت** لا محل لها لانها
مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله **ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم** ان الذين
لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا
والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب **انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم**
الكاذبون انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن
لانه لا يترقب عقابا عليه اولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون هم الكاذبون او الى
الذين لا يؤمنون اي واولئك هم الكاذبون على الحقيقة اي الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم
الكذب او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين او اولئك هم
الكاذبون في قولهم انما انت مفتر **من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان**
ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم من كفر بدل من الذين لا يؤمنون
بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب
من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منه المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا
اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا الذي هو اولئك على ومن كفر
بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه و
يجوز ان ينتصب على الذم وقد يجوز ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال

عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل
مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد
للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين
ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما
عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان
عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى
الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا **فان قلت** اي الامرين افضل فعل عمار ام فعل
ابويه **قلت** بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للدين والاسلام وقد روي ان مسيلمة
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر
ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له **ذلك بانهم**
استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين ذلك اشارة الى الوعيد وهو الغضب
والعقاب لحقهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقوا خذلان الله بكفرهم **اولئك الذين طبع الله**
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اولئك هم
الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها
ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ثم ان ربك
دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم يعني انه وليهم و
ناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب
والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من
بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر **يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت**
وهم لا يظلمون يوم منصوب برحيم او باضمار اذكر **فان قلت** ما معنى النفس المضافة الى النفس **قلت** يقال
لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية هي عينها وذاتها
فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار
عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة**
ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون
وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا

فاذاقها الله بنقمة ويجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه
حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن و
الانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا بانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم
كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا
فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما
وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد
وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم
بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض
الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه
قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا
يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير غمر الرداء
اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء
لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني
ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي
ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ
الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا
ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم
كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف
عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس
الخوف والجوع فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله
غفور رحيم لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك الفاء في
قوله فكلوا وصدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من
الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون
بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله تعالى ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم
باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا
حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع

قليل ولهم عذاب اليم انتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل
والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف
الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال
وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول
هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا
على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم
ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتكم الكذب
قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب
بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما
المصدرية كانها قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم
بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب
او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض
متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ما
قصصنا يعني في سورة الانعام ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا
ان ربك من بعدها لغفور رحيم بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه
او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا
ولم يك من المشركين كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله
ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى
مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى
مفعول فيكون مثل قوله اني جاعلك للناس اماما وعن الشعبي حدثني فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود
انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت له غلطت انما هو ابرهيم عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الناس
الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف
لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه
الامة ومعاذ امة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا
يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الفضل لان الامة معلم الخير والقانت القائم بما امره الله
والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير زائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم

شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم شاكرا لأنعمه روي أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف فلم
يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أن بهم
جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على أنه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه
إلى صراط مستقيم إلى ملة الإسلام وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين حسنة عن قتادة
هي تنويه الله بذكره حتى ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه وقيل الأموال والأولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت
على إبراهيم لمن الصالحين لمن أهل الجنة ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين
ثم أوحينا إليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلال محله والإيذان بأن أشرف
ما أوتي خليل الله إبراهيم صلوات الله عليه من الكرامة وأجل ما أولي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها إنما جعل السبت
على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون السبت مصدر سبتت
اليهود إذا عظمت سبتها والمعنى إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه أنهم
أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حرم الله عليهم
الصيد فيه وأمرهم بتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بأنعم الله مثلا وغير
ذلك وهو الإنذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والخالعين ربقة طاعته فإن قلت فما معنى
الحكم بينهم إذا كانوا جميعا محلين أو محرمين قلت معناه أنه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة
ومحرمين أخرى ووجه آخر وهو أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة
فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شرذمة منهم قد رضوا
بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لأن بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فأذن الله لهم في السبت
وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد
فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت
فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ إنما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله إنا أنزلنا السبت
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن
سبيله وهو أعلم بالمهتدين إلى سبيل ربك إلى الإسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل
للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز أن يريد القرآن
أي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة
من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف إن ربك هو أعلم بهم فمن كان فيهم خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة
اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه في حديد بارد وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم

ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق
مما يمكرون سمى الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله
ولا تزيدوا عليه وقرئ وإن عقبتم فعقبوا أي وإن قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روي أن المشركين مثلوا بالمسلمين
يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحدا غير ممثول به إلا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال أما والذي أحلف به لئن أظفرني الله بهم لأمثلن
بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الأخبار بالنهي عنها
حتى بالكلب العقور إما أن يرجع الضمير في لهو إلى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون أي
ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد أو وصفهم
بالصفة التي تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة وإما أن يرجع إلى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابر
جنسهم كأنه قيل والصبر خير للصابرين ونحوه قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى
ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصبر فعزم عليه بالصبر وما صبرك إلا بالله أي بتوفيقه وتثبيته
وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم أي على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين أو على المؤمنين وما فعل
بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق أي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف
الضيق أي في أمر ضيق ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول إن الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون إن الله مع الذين اتقوا أي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون
في أعمالهم وعن هرم بن حيان أنه قيل له حين احتضر أوص فقال إنما الوصية في المال ولا مال لي وأوصيكم
بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا
وإن مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية سورة بني إسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل
مضمر متروك إظهاره تقديره أسبح الله سبحان بمعنى تسبيحا ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على
التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله وأسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف فإن
قلت الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه
أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد
لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به بمعنى الأمر بالقيام في بعض الليل
واختلف في المكان الذي أسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق وقيل أسري به من دار

أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد
وروي أنه كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ
وقال مثّل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال ما لك قالت
أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم قال وإن كذبوني فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحديث الإسراء فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه
تعجباً وإنكاراً وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر فقال إن كان قال ذلك لقد صدق قالوا
أتصدقه على ذلك قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر إليها فاستنعتوه المسجد فجلّي
له بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم
بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو
الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق
كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا إلا سحر مبين وقد عرج به إلى السماء في تلك الليلة وكان العروج
به من بيت المقدس وأخبر قريشاً أيضاً بما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء صلوات الله عليهم وبلغ البيت
المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الإسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل
البعث واختلف في أنه كان في اليقظة أم في المنام فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت والله ما فقد جسد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية إنما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا
رآها وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك والمسجد الأقصى بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله
ببركات الدين والدنيا لأنه متعبد الأنبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالأنهار
الجارية والأشجار المثمرة وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى
ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم إنه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة إنه
هو السميع لأقوال محمد البصير بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك **وآتينا موسى
الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً
شكوراً** أن لا تتخذوا وقرئ بالياء على لئلا يتخذوا وأن على أي لا تتخذوا كقولك كتبت إليه أن افعل كذا
وكيلاً ربّاً تكلون إليه أموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهي
يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا
أي لا تجعلوهم أرباباً كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير
وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه أنه فتحها
الدال وذكرهم الله النعمة في إنجاء آبائهم من الغرق إنه إن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً قيل كان إذا أكل

قال الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني وإذا اكتسى
قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء أعراني وإذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء أحفاني وإذا قضى
حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه
على من آمن به فإن وجده محتاجاً آثره به فإن قلت قوله إنه كان عبداً شكوراً ما وجه ملاءمته لما قبله قلت كأنه
قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لأن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً وأنتم ذرية من آمن به
وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم ويجوز أن يكون تعليلاً لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد
المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل
الاستطراد **وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً** وقضينا
إلى بني إسرائيل وأوحينا إليهم وحياً مقضياً أي مقطوعاً مبتوتاً بأنهم يفسدون في الأرض لا محالة ويعلون أي يتعظمون
ويبغون في الكتاب في التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون
لتفسدن جواباً له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين أولاهما
قتل زكريا عليه السلام وحبس أرمياء حين أنذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى عليهما السلام
فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً
عباداً لنا وقرئ عبيداً لنا وأكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وعن ابن عباس
جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفاً فإن قلت كيف جاز أن يبعث الله
الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على أن الله تعالى أسند بعث
الكفرة عليهم إلى نفسه كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف
بين كلمهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد إليهم فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس
المسند إليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ خلل الديار فإن قلت ما معنى وعد أولاهما قلت معناه
وعد عقاب أولاهما وكان وعداً مفعولاً يعني وكان وعد العقاب وعداً لا بد أن يفعل **ثم رددنا لكم الكرة
عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا** ثم رددنا لكم الكرة أي الدولة والغلبة
على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وقيل هي قتل بختنصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم
وأموالهم ورجوع الملك إليهم وقيل هي قتل داود جالوت أكثر نفيراً مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل
جمع نفر كالعبيد والمعيز **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا
وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا** أي الإحسان والإساءة كلاهما
مختص بأنفسكم لا يتعدى بالنفع والضر إلى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها
فإذا جاء وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم فحذف لدلالة ذكره أولاً عليه ومعنى ليسوءوا

ويجوزكم لتصلوا بها بأيدي أنا بالمساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله تعالى
او للوعد او للبعث ولنسوءا بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن ولنسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة
واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء والوا على المعبر وليتبروا
اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا
جهنم للكافرين حصيرا عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان
عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقم بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم
وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة
ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال للسجن
محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا
اليما للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق
البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف
فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك
شقي وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على
ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان
الذين لا يؤمنون معذبون ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا اي ويدعو الله عند غضبه
بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان
الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت ما لك تئن فشكا الم القد فارخت له من كتافه فلما
نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال صلى الله عليه وسلم
اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني
سألت الله تعالى ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر
فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا
مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس هو
النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا
الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا
عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا وجعلنا الليل والنهار آيتين فيه وجهان احدهما

ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود
اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار
آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان
ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق
له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء
لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى التصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين
عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت
الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تبيينا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا
لكم حجة علينا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا طائره
عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما
طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم
الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك و
قرئ في عنقه بسكون النون وقرئ ويخرج بالياء والضمير لله تعالى ويخرج على البناء للمفعول ويـ
خرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج له الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا
للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ كتابك كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وبنفسك فاعل
كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى
متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان
الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامين لان
الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتأول النفس
بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك
من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما
صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة
لهم قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله تعالى وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم
العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها
لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا

كأنهم قائلين لولا بعثت إلينا رسولاً ينبهنا على النظر في أدلة العقل **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها**
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وإذا أردنا وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان
إمهالهم إلا قليل أمرناهم ففسقوا أي أمرناهم بالفسق ففسقوا والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول
لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازا ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة إلى
المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه وإنما خولهم إياها ليشكروا
ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم
إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم **فإن قلت**
هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا **قلت** لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل
قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن ففسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام
وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم
الغيب ولا يلزم هذا قولهم أمرته فعصاني أو فلم يمتثل أمري لأن ذلك مناف للأمر مناقض له ولا يكون ما يناقض
الأمر مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام
غير مدلول عليه ولا منوي لأن من يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينوي لأمره مأمورا به فكأنه يقول كان مني أمر فلم
يكن منه طاعة كما أن من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد إلى مفعول **فإن قلت** هلا كان ثبوت
العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر بالقسط والخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا **قلت** لا يصح
ذلك لأن قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيئا وأنت تدعي إضمار خلافه فكان صرف الأمر إلى المجاز هو
الوجه ونظير أمر شاء في أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لأحسن إليك ولو
شاء لأساء إليك تريد لو شاء الإحسان إليك ولو شاء الإساءة إليك فلو ذهبت تضمر خلاف ذلك ما أظهرت
وقلت قد دلت حال من أسندت إليه المشيئة أنه من أهل الإحسان أو من أهل الإساءة فاترك الظاهر المنطوق
به وأضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم أمرنا بكثرنا وجعل أمرته فأمر من
باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج وروي
أن رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أرى أمرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم
إنه سيأمر أي سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا من أمر وآمره غيره وأمرنا بمعنى آمرنا أو من أمر إمارة وأمره الله
أي جعلناهم أمراء وسلطناهم **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا**
بصيرا كم مفعول أهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك
كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير وأنه عالم
بها فمعاقب عليها **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما**

مدحورا من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد
فقيد الأمر تقييدين أحدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بإرادته وهكذا الحال ترى كثيرا من
هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون إلا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم
فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي أوتي حظا من الدنيا
أو لم يؤت فإن أوتي فبها وإلا فربما كان الفقر خيرا له وأعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض
من الكل لأن الضمير يرجع إلى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء والضمير لله تعالى فلا فرق إذا بين القراءتين في
المعنى ويجوز أن يكون للعبد على أن العبد ما يشاء من الدنيا وأن ذلك لأحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل
من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كقوله صلى الله عليه
وسلم من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها
فهجرته إلى ما هاجر إليه مدحورا مطرودا من رحمة الله **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك**
كان سعيهم مشكورا سعيها حقها من السعي وكفاها من الأعمال الصالحة اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا
إرادة الآخرة بأن يعقد بها همته ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والإيمان الصحيح
الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه
الآية وشكر الله الثواب على الطاعة **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا** كل واحد
من الفريقين والتنوين عوض من المضاف إليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا
للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك فضله محظورا
ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر**
تفضيلا انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضيل وفي الآخرة التفاوت أكبر لأنها ثواب وأعواض
وتفضل وكلها متفاوتة وروي أن قوما من الأشراف ومن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الإذن لبلال
وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو إنما أتينا من قبلنا إنهم دعوا ودعينا يعني إلى الإسلام فأسرعوا
وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر
وروي وأكبر تفضيلا وعن بعضهم أيها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهاة بالرفع
في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل **لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا** فتقعد من قولهم شحذ
الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من إلهك
والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما**
يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما وقضى ربك
أمرا مقطوعا به أن لا تعبدوا أن مفسرة ولا تعبدوا نهي أو بأن لا تعبدوا وبالوالدين إحسانا وأحسنوا

بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ووصى وعن بعض ولد معاذ
بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته
إما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها
لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن إما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغن وهو في قراءة من قرأ يبلغان بدل من الف الضمير الراجع
الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا
فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون
مثله فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد
توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول اف
صوت يدل على التضجر وقرئ اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة
والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل
لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه
في حال الطفولية فهو مامور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا
اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليها ولقد بالغ تعالى في التوصية بهما
حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما
حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل
صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم
اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروءة وقيل
هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابراهيم عليه السلام لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من
الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر
كذا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وقرئ جناح الذل والذل
بالضم والكسر فان قلت ما معنى جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما
قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما
جناحك الذليل او الذلول والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة
زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم
الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته
الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك صغيرا وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين
قلت فاذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس

من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا
شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله تعالى في كتابه الوصية
بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما
شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان
البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني ألي منهما ما وليا
مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت
تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على
عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف
وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا
بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك وشكا آخر اليه سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق
حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال
لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال
ما جزيتها ولو طلقة واحدة وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول اني لها مطية
لا تذعر اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر
قال لا ولو زفرة واحدة وعنه صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة
الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين و
قال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه اذا شربها وعن
ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم خنزير اوقد وعن حذيفة انه استأذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين
فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك
مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن
النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا
صالحين فانه كان للاوابين غفورا بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب
لهما من التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر
وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم ابتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور
للاوابين التوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن
سعيد بن المسيب الاواب الذي كلما اذنب ذنبا بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه

جناية ثم تاب منها مندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لعموم اللفظ وآت ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية
بهما بان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا
ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشافعي لا يرى النفقة الا على الولد والابوين فحسب وان لم يكونوا محارم
كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء
والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على ان المراد بما
نفى ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل المراد بذي القربى اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر
اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله تعالى بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف
وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم
نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد فقال أوفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت
على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا اخوان الشياطين امثالهم
في الشرارة فهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم
به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه
لا يدعو الا الى مثل فعله وقال الحسن اخوان الشيطان واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
فقل لهم قولا ميسورا وان اعرضت عن ذي القربى والمساكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا
ولا تتركهم غير مجابين اذا فعلت ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل
وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم
وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة ربك التي ترجوها برحمتك عليهم او
اما ان يتعلق بالشرط اي وان تعرضن عنهم لفقد رزق من ربك ترجوا ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فرده
ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لانه مسبب عنه وكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا
عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم
لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه وقيل
ميسور الامر وعسيره مثل سعد الرجل ونحس فهو مسعود ومنحوس وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء
لهم ييسر عليهم فقرهم كأن معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي

هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول
المحتاج اعطى فلان فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما
فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فظهر فعد الينا فذهب
الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن
بلال وانتظروا فلم يخرج الى الصلاة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن
مرداس وانشأ يقول أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان شيخي في مجمع وما كنت
دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ان ربك
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان
يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة
للحكم والمصلحة ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العباد فعليهم ان
يقتصدوا ويحتمل انه تعالى بسط لعباده او قبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا
بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم
ان قتلهم كان خطأ كبيرا نهاهم عن الوأد وذمهم بانهم كانوا يفعلونه خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله
وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وخطأ وهو ضد
الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطء كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالمد والفتح وخطأ بالفتح و
السكون وعن الحسن خطاء بالفتح وحذف الهمزة كالخطا وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير ممدود ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وساء سبيلا فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان يغصب على
غيره كابنته او اخته او حرمته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا
الا بالحق الا باحدى ثلث الا بان يكفر او يقتل مؤمنا عمدا او يزني بعد احصان ومن قتل مظلوما غير راكب واحدة منهن
لوليه الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل
في الاقتصاص منه او الدية بحسب ما عليه فلا يسرف في القتل الضمير للولي اي لا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل
واحد كعادة الجاهلية كانوا اذا قتل واحد منهم قتلوا جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحرث بن عباد بؤ
بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء
قيل الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة
في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي

نصره الله وعلى ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بمعونة السلطان
وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله
وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص
على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا
بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد كان
مسؤولا اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا
وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا واوفوا
الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلا وقرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو
القرسطون وقيل كل ميزان من صغير او كبير من موازين الدراهم وغيرها واحسن تأويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من
آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا
ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك
به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل
ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده
وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا و
رأيته يفعل وسمعته ولم تره ولم تسمعه وقيل القفو شبيه بالقذف ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه
حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وانشد ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحيا لا يشعن التقافيا
اي التقاذف وقال الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا وقد استدل به مبطل
الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة
الى السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها
كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان
لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه وقرئ
والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتحة ولا تمش في الارض الفائدة
مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا مرحا حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر
على اسم الفاعل لما فيه من التاكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن
تخرق بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها
وقرئ سيئة وسيئا على اضافة سيئ الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه كان شانه فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب

والاثم

والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئا الا ترى انك تقول
الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث فان قلت فما ذكر من الخصال
بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة فما وجه من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة
بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها
آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية
وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة آية كانت
في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء
موعظة وتفصيلا وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد
هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما
اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة
اناثا انكم لتقولون قولا عظيما افاصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني
افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم
وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها
من الشوب ويكون ارداها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة
بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله
واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا
ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره
والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا
القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا
بالتخفيف وكذلك ليذكروا وقرئ مشددا ومخففا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم
وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد
اعداءك نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وقرئ كما تقولون
بالتاء والياء واذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي
العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه
وتعالى عما يقولون علوا كبيرا علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو
بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من

شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا والمراد انها تسبح له بلسان الحال
حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء
وغيرها فان قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب
للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم
فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذن لم
يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة
والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل
عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم
بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا
يرى فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب وهذه حكاية لما كانوا يقولون وقالوا
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال واذا قرأت القرآن جعلنا
على زعمهم وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن
وحده ولوا على ادبارهم نفورا ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى
المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم ان يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من
باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى
واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر آلهتهم معه لانهم
مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول
الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن وذلك انه كان يقوم عن يمينه
اذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار
وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم
بما به يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو
من السحر وهو الرئة اي هو بشر مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا
ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا
يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا
لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى

ان يكون قريبا لما قالوا ءاذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كأنه قيل
كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما ورفاتا فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله
خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض
اجزاء الحي بل هي عمود خلقته الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن
لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب به البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا
مع ان طباعهما الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر في صدوركم
يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في
صدوركم الموت وقيل السموات والارض فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء يوم يدعوكم
فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم
فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث
كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر
حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون
سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما
او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الآخرة وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن
ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة
التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم
ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم
معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض بمعنى يلقي بينهم
الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم
وما ارسلناك عليهم وكيلا وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه
وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك
قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين
للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله
يرحمكم الله والطيبة ينزغ بالكلمة وربما لعنتان يجر هو شرفه وتعظم شوقه وربك اعلم بمن في السموات
والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا هو رد على اهل مكة في انكارهم
واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون
ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم وبمقاديرهم

نبيا فيما اهل كل واحد منهم وهو له ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في
زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته
فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس
وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا قل ادعوا الذين زعمتم
من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا هم الملائكة وقيل عيسى وامه وعزير وقيل نفر من الجن
عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او
فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم
اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا اولئك مبتدأ والذين يدعون
صفته ويبتغون خبره يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله تعالى وايهم بدل من واو يبتغون
واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى
يحرصون وكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله تعالى وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون
ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد من ملك
مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا
شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا عن مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب
وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فتخربها
الحبشة واما المدينة فتهلك بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما
خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان
كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا استعير المنع
لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال
الآيات الا تكذيب الاولين والمراد بالآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى
وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى
وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم
كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا
العذاب المستأصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها
الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا اذ اخذوا وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة

من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما
نرسل بالآيات ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة
والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها
الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا واذ قلنا لك
ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك
قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال
احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش
مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني اسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس
ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر
والله لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت
قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون
ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا
ان محمدا يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ذلك وما انكروا
ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا
اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد
المحمى كالجمر باحماء النار فلا يضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار
شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما نرسلها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل
يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا
بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم
التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي
الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها
بالرؤيا على قول المكذبين حيث قالوا لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمي اشياء باساميها
عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة
وقيل رأى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم
في القرآن قلت لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما
وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في

ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون
القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل هي
ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا طينا حال اما من الموصول والعامل
فيه اسجد على أأسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت
خلقه طينا **قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا
قليلا** أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته
علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتن واللام موطئة للقسم المحذوف لأحتنكن
ذريته لأستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر
سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي آكلهما **فإن قلت** من اين علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب **قلت** اما ان
سمعه من الملائكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر
اليه فتوسم في مخائله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته في آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل
آدم من الشجرة **قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا** اذهب ليس من الذهاب الذي هو
نقيض المجيء انما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن
تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم كما قال موسى عليه السلام للسامري فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس
فإن قلت اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك **قلت** بلى ولكن التقدير
فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريق الالتفات
وانتصب جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء
موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة **واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب
عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا**
استفزه استخفه والفز الخفيف واجلب عليهم من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل
نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات
لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك **فإن قلت** ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله
قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا
يستفزهم من اماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل
بصوتك بدعائك الى الشر وبخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل

واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة
والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب
والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك
والوعد المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة
الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما
وايثار العاجل على الآجل **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا** ان عبادي يريد الصالحين
ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله
الا عبادك منهم المخلصين **فإن قلت** كيف جاز ان يأمر الله تعالى ابليس عليه اللعنة بان يتسلط على عباده مغويا
مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير **قلت** هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة
اعملوا ما شئتم **ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما وإذا مسكم
الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا** يزجي
يجري ويسير والضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم
الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعتمدون برحمته على غيره ولا تخطرونه
ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من
تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع **أفأمنتم أن يخسف
بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا** أفأمنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف
على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض **فإن قلت** بم انتصب جانب البر **قلت** بيخسف مفعولا
به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه
فإن قلت فما معنى ذكر الجانب **قلت** معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان
او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي
جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده
سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب
وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك
من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في
البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم **أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من
الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا** ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان
ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف

الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشي الا قصفته فيغرقكم ويرى بالتاء ابو جعفر و
نكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم ونرسل فنغرقكم بالنون وبالياء التبيع المطالب ومنه قوله تعالى فاتباع بالمعروف
اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب
له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا
نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة وهو اعراضهم حين نجاهم **ولقد كرمنا بني آدم و
حملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** قيل في تكرمة
ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش
والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شي ياكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه
احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس في تفسير قوله ولقد
كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى
الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم
والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شي وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل
الانسان على الملك وذلك بعدما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى
قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة
ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي
وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان وسمعوا عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله
من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق
فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم و
اقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة الملأ الاعلى
كان جبريل غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم **يوم ندعو كل اناس بامامهم
فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا** وقرئ يدعو بالنون والياء
ويدعى كل اناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو والظرف
نصب باضمار اذكر ويجوز ان يكون علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم
يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او
كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب
الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس
يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام

والمهناد

واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته
فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع **فان
قلت** لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم **قلت** بلى ولكن اذا اطلعوا
على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام
منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب
عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤن كتابهم
احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القاري لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه ولا يظلمون
فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شي كقوله ولا يظلمون شيئا فلا تخاف ظلما ولا هضما **ومن كان في هذه
اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا** معناه ومن كان في هذه الدنيا اعمى فهو في الآخرة اعمى كذلك
واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة
اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني
بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه
في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شي فكانت الفه واقعة في الطرف
معرضة للامالة **وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك
خليلا** روي ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على
العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا
باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سالتك العرب
لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني بها وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف
لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا
يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسل سيفه وقال
اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت وروي ان
قريشا قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك
ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك
فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتتقول علينا ما لم
نقل يعني ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله
ما لم ينزله عليه واذا لاتخذوك خليلا اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات

ثم لا تجد لك علينا نصيرا ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل
الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى
ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت
كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب
في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الاخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم
عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في
الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف
الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا
وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة
الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في
الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ
العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى
مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الاية
ان يجثو عندها ويتدبرها فانها جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا ليستفزونك
من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك
بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا
فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن آخرهم
ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القسم ان الانبياء انما
بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا
انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام
ليدخلوا في دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن
فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد و
الفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله
وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلفك قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم

سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا
رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة اقم الصلوة
لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان
الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب
فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت قرآنا
وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست
بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان
النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون
وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك
كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ومن الليل
وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التاثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة
لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة
يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه
تطوع لهم مقاما محمودا انتصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك
معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم
فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد
مما يتناوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق
تسئل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام
الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله
عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك
لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقرئ
مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيآت واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا
من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة
وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما

او ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط او الدخول والخروج
عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا
للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون
ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله
عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله وكان شديدا على
المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف
عن الصلاة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل مكة عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا
فقال صلى الله عليه وسلم اني رايت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة
الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم
فذلك السلطان النصير **وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا** كان حول البيت ثلثمائة
وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون
لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت
اني سأحدث لك نوبة جديدة فاملؤك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير
الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق
الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر
فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون و
يقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد ... وزهق الباطل ذهب وهلك ومنه
زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا مضمحلا غير ثابت في كل وقت **وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا** وننزل بالتخفيف والتشديد
من القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون
به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم
يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزيد الظالمين الكافرين الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم
كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم **واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا**
واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه
تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه
ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المتكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل

كان يؤسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه
بتقديم الالف على الهمزة كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض **قل كل يعمل على شاكلته**
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا قل كل احد يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي تشاكل
حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم
اعلم بمن هو اهدى سبيلا **ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا**
الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر بعلمه وعن ابي
بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل
جبريل وقيل القرآن ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه
عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت
عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب
عام وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه
فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوا بلازم لان القلة و
الكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة
التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله **ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به
علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا** لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته
عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور
والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا
باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل
عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان
من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين
المنتين والقيام بشكرهما وهي منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ
وعن ابن مسعود ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين
لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه
في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف

ويقنع ما في القلوب قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال للقدرة فيه ولا مدخل لها فيه كالثاني في القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله تعالى بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس مال المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى اكثر الناس الا كفورا ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه فابى اكثر الناس الا كفورا جحودا فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر البينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر وبالتخفيف كوفي من الارض يعني ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر مدني وعاصم قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله فاني وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصيرهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي اي قال الرسول

سبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلكم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى المختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ماواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ومن يهد الله ومن يرد الله هدايته ويلطف به فهو المهتدي ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا بعد ذلك في الحشر من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم بالبعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا

شهيدا

فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر
على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال اانتم اشد
خلقا ام السماء بناها وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيمة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا قل لو
انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا لو حقها ان تدخل على
الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون تقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا
على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ
فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان
فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم
لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر
برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح
الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم
لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه
لبخلتم من قولك للبخيل ممسك ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال
له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم
والحجر والبحر والطور الذي نتقه الله على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان
الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف
يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور
وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى عليه السلام ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله
ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسل بني اسرائيل فقلنا له
سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان
يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك وتدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل
على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام
واصحابه عن الآيات ليزدادوا يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول
ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي فان قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي
فقلنا له سلهم حين جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى

اذ جاء آباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا الله تعالى بصائر بينات
مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى
اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب الارض والسموات ثم قارع ظنه
بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك
ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني
لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا
اي ما منعك وصرفك وقرأ ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد
ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا فاراد فرعون ان يستفز موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم
منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه وقلنا من بعده
لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما
ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام
الساعة جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم جميعا
مختلطين واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية
لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا
بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا مبشرا
بالجنة ونذيرا من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس
على مكث ونزلناه تنزيلا وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرأ ابي فرقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا
منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال لم ينزل في يومين ولا في ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني
ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على
حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل آمنوا
به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وانه لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه
وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء
الذين قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في
كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة
محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا

خشوعا اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فإن قلت إن الذين أوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت
يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير
منكم فإن قلت ما معنى الخرور للاذقان قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد
اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فإن قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه
فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور
واختصه به لان اللام للاختصاص فإن قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم
في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه ابو جهل
يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل
ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى
الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم
لا المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا
والتنوين في أيا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم
فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته
تعالى لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى
لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة
بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل
ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر
حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان ابا بكر
رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول انا اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته
ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر
بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل
بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل
لانتحاء الوجه الوسط في القراءة وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له
ولي من الذل وكبره تكبيرا ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا

من

من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان
من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا افصح غلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية سورة الكهف
مكية وهي مائة واحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل
على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل
نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم
ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف و
التناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب
بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من
الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وهو قوله ولم يجعل له وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله
قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات
الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو
من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح
العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر
على احدهما واصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس
الرجل بأسا وبآسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون و
يبشر بالتخفيف والتشديد فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق
اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا
بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن
الجنة وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من
افواههم ان يقولون الا كذبا ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم
ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتمله آباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في
نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم
بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به وقرئ كبرت كلمة وكلمة
بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج

انواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه
الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يمكنون ان يتفوهوا به ويظهروا بالسنتهم
بل يكظمون عليه تشوفا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة **فان قلت**
الام يرجع الضمير في كبرت **قلت** الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها **فلعلك باخع نفسك**
على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من
الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط على آثارهم حسرات ويبخع نفسه وجدا
عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها ومعنى الاستقبال
بمعنى قراءة ان لم يؤمنوا والمضي بمعنى قراءة ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا مفعول له
اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ما
على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن
عملا وتحسين العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من
الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته
وازالة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك **ام**
حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق
فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة
اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن
ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص رقمت
فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف
وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا
بالمصدر او على ذات عجب **اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من**
امرنا رشدا من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من
امرنا الذي نحن فيه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله
كقولك رأيت منك اسدا **فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا** فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا
من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا
يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات
عدد يحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج

ومنهم من جعله للتكثير لانه اذا كثر احتاج الى ان يعد **ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين**
احصى لما لبثوا امدا اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا
لان ارتفاعه بالابتداء لا بالاسناد فعلم اليه وفاعل ليعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين من المختلفين
منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي
الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امد الاوقات لبثهم **فان قلت** فما تقول فيمن جعله من افعل
التفضيل **قلت** ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس
من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل
لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله
واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم
رجعت مضطرا الى تقديره واضماره **فان قلت** كيف جعل الله تعالى العلم باحصاء المدة غرضا في الضرب على آذانهم
قلت الله تعالى لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون
لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره **نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم**
هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد
قلنا اذا شططا وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم
والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار
وهو دقيانوس من غير مبالاة حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا قولا
ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم وفي غيره **هؤلاء قومنا اتخذوا**
من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا هؤلاء مبتدا و
قومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى الانكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف
بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه
لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه **واذ اعتزلتموهم وما يعبدون**
الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا واذ اعتزلتموهم
خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم
واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون
معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله
مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم

ليرد كلهم عليه وتفسح بقيتهم واما ان يحرهم يعني في عصرهم واما ان تكون نصيحتهم بينها **وترى الشمس اذا**
طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من
آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اصله تتزاور فادغم بادغام
التاء في الزاي وحذفها وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل
ومعناه اذا تمال اليه والزور الميل عن الصدف ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين
تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة الى ظعن يقرضن اقواز مشرف
شمالا وعن ايمانهن الفوارس وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا
تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله تعالى
يحجبها عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من
آيات الله اي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك
السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات النعش فهم في
مقناة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد اثنى عليهم بانهم
جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص
بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة
ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله **وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم**
ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت
منهم رعبا وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل واحد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد وقيل عيونهم منفتحة
وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك وقيل لكثرة تقلبهم ونقلبهم تقلبات في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم
عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل مضمر
يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرا جعفر الصادق وكالبهم اي وصاحب
كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف
حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نوى حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب
وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر وقرئ ولملّئت بتشديد اللام للمبالغة
وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه
وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن
معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما
ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي

حتى اعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم
وقرئ لو اطلعت بضم الواو **وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا**
يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر
ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وكذلك بعثناهم وكما انمناهم
تلك النومة كذلك بعثناهم اظهارا للقدرة على الاماتة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما
صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكم جوابه قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا
وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وكان الله اعلم بمدة لبثهم كانهم لما قد علموا
بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف غدوة
وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك
فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم
الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم بالورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة
اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ
بورقكم بسكون الراء وبالواو مفتوحة او مكسورة وقرا ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف
وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل
المدينة طرسوس وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح
المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات
ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن
بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله وكان يقول ذلك وكانت سنيا
اهل البلد كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد الله بلطفه
فاذا انقضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها
فحذف الاهل كما في قوله واسأل القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف
والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا
يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه **انهم ان يظهروا**
عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في
ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف
ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل

الشمس ر

ابساطها

ولن تفلحوا اذن ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب
فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على
امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم
ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال
من يموت ثم يبعث اذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون
في حقيقة البعث وكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح
ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى
الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما
حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا
اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون
بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الاية فيهم او يتنازعون
بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا
روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن
شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم على القتل فابوا الا الثبات
على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما
تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا
الكهف وكانوا يعبدون الله فيه فضرب الله على اذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن
وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد
وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة
لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد
كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية
الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى
مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام
كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم
تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك
قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله تعالى رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او
من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب سيقولون ثلثة رابعهم

كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم
بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا سيقولون
الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم
وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما انا من اولئك القليل وروي
ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف
فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم
وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا و
مشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشيرهم هؤلاء
الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم
كلبهم قطمير فان قلت لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الاخرين قلت فيه وجهان ان يدخل الاخرين في
حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان يريد بيفعل معنى الاستقبال
الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع
الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق
عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلث
رابعهم بادغام الثاء في التاء ثلثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم
كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان قلت فما هذه
الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة
صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة نحو قولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده
سيف ومنه قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف
والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم
قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله تعالى اتبع القولين الاولين
قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو
انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات
ما يعلمهم الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب
فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب

اولى
وما الحري الا ما علم ونحوهم

في شأن أصحاب الكهف إلا بما أظهر لغيرهم من غير تعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد من غير
تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن ولا تستفت ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم
سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة
ولا سؤال مسترشد لأن الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن
يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ولا تقولن
لشيء ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إني فاعل ذلك الشيء غدا أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة
إلا أن يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله إني فاعل لأنه لو قال إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعترض
مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول
إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي إلا بمشيئة الله وهو في
موضع الحال يعني إلا ملتبسا بمشيئة الله قائلا إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون إن شاء الله في
معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبدا ونحوه قوله وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله لأن عودهم
في ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن
أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه
وكذبته قريش واذكر ربك أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى إذا نسيت
كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير
ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن
عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولا
ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المتصل فاستحضره لينكر عليه فقال
له أبو حنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا
عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة
الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به وقيل واذكره إذا
اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها وهذا إشارة إلى نبأ أصحاب
الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا
من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك
وأدل والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني
لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشدا وأدنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها
ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به

وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين يريد لبثهم فيه
أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا و
معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به وعن قتادة أنه حكاية
لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلاث مائة
وقرئ ثلاث مائة سنين بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا وفي قراءة
أبي ثلاث مائة سنة وتسعا تسع سنين لأن ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السماوات والأرض وخفي فيها من
أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات للدلالة
أن أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها
كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لأهل السماوات والأرض من
ولي من متول لأمورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه أحدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي
واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا كانوا يقولون له
ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له واتل ما أوحي إليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل
لكلمات ربك أي لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده وإذا بدلنا آية مكان آية
ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن
ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله نح هؤلاء الموالي الذين كأن
ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك و
اتبعك الأرذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال أبو ذؤيب فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو إذا
نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة
وبالغداة أجود لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال وإدخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك
ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني القوم عدا زيدا وإنما عدي بعن لتضمين
عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به فإن قلت أي غرض في
هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو لا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك
أقوى من إعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك ولا تقتحمهم عيناك متجاوزتين إلى غيرهم ونحوه
قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي ولا تضموها إليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من أعداه
وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له لأن معناه فعد همك عما ترى
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزدري بفقراء المؤمنين وأن تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا إلى زي

الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال **ولا تطع من اغفلنا قلبه** من جعلنا قلبه غافلا عن
الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا
لم يسمها بالذكر اي لم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله
واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا
وجدته غافلا **وكان امره فرطا** تقدما على الحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل **وقل**
الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان
يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا وقل الحق من ربكم الحق
خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة
او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ما
شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو
سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله
فاعتبوا بالتسليم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم
ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة
وجهه فيه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا للمشاكلة لقوله وحسنت مرتفقا والا فلا
ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله اني ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من
تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين
فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا اولئك خبر ان وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع
واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم **وان قلت** اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين
الضمير الراجع الى المبتدا **قلت** من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن
مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من في الاولى للابتداء وفي الثانية للتبيين
ونكر اساور لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ
منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا**
لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم
منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا و
اعز نفرا واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل
احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال

قيل

قيل هما ابنا ملك كان في بني اسرائيل ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال
المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه
دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال اللهم
اني جعلت الفا صداقا للحور فتصدق به ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان
المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على
التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام
سلمة قبل رسول الله وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جنتين من اعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا
النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه
اذا اطافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا
كقولك غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة
بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء
الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر
الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وقد حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد
ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى اكله رد الضمير على كل
كان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة وغيرهما اي كانت له الى الجنتين
الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة
الارض كيف شاء واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره
يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وساءله فخارا عليه **ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن**
ان تبيد هذه ابدا يعني قطوفهما اخذ بيد اخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه
منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه **وان قلت** لم افرد الجنة بعد التثنية **قلت** معناه ودخل ما هو جنته
ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد
الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه
لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه
وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم
يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه **وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت**
الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا اقسم على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير
كما يزعمه صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده

فانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اينما توجه كقوله ان لي عنده للحسنى
لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب
تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من
تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه
خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون
المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا لكنا اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت
حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف اي انت مذنب
وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والله ربي الجملة خبر انا والراجع منها اليه
ياء الضمير وقرا ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من الهمزة وغيره
لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرا
ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت
لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ولولا اذ دخلت
جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا
من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع
له طلبا ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله او
شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل
خير فيها انما حصل بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا
بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك
يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد
هذه الآية حتى يخرج من قرا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا
ثانيا لترن وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترن افقر منك فانا
اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك
لكفرك نعمته ويخرب بساتينك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه
وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحساب حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة
حسبانة وهي الصاعقة صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر
واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك

ثمر ل

حسبانا

واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من ...

بربي احدا واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل
في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا
عليهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط
في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية
على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله
عليها نارا فاكلتها يا ليتني تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى
لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان ولم تكن له فئة
ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وقرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله
فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فان قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على
نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو
استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله هنالك الولاية لله الحق هو خير
ثوابا وخير عقبا الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك
اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له
فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة
يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه
من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على
الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله
عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا
اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ
الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرا عمرو بن عبيد رحمه الله عليه ورضوانه بالنصب على التاكيد
كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس و
انصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة
الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان
الله على كل شيء مقتدرا فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل
نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات
الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة
هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما

فيقيهما من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن وكان الله على
كل شيء من الإنشاء والإفناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير
عند ربك ثوابا وخير أملا الباقيات الصالحات أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان ويفنى عنه كل ما تطمح
إليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعن
قتادة كل ما أريد به وجه الله خير ثوابا أي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الأمل لأن صاحبها أمل في
الدنيا ثوابه ونصيبه في الآخرة ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر
منهم أحدا قرئ تسير من سيرت وتسير من سار ونسيرها أي نسيرها في الجو ونذهب بها بأن نجعل
هباء منثورا منبثا وترى ويرى الأرض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها و
حشرناهم وجمعناهم إلى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون وبالياء نغادر فلم نترك غادره وأغدره إذا تركه ومنه
الغدير وكذلك الغدر والغدير ما غادره السيل وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول
مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين
ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا لقد جئتمونا أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر عامل
النصب في يوم نسير ويجوز أن ينتصب بإضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة وقيل جئتمونا
عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى فإن قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى
قلت للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأحوال والعظائم كأنه قيل وحشرناهم
قبل ذلك بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا
أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا الكتاب للجنس وهو صحف الأعمال يا ويلتنا ينادون
هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الإحاطة
يعني لا يترك شيئا من المعاصي إلا أحصاها أي أحصاها كلها كما يقال ما أعطاني قليلا ولا كثيرا لأن الأشياء
إما صغار وإما كبار ويجوز أن يريد ما كان عندهم صغارا وكبارا وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر
وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة
الزنى وعن الفضيل كانوا إذا قرأوها قالوا ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر إلا أحصاها إلا ضبطها و
حصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك أحدا فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد
في عقاب المستحق أو يعذبه بغير جرم كما زعم من ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم وإذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته
أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل

بعد استثنائه من الساجدين كأنه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن أمر ربه والفاء للتسبيب
إنما جعل كونه من الجن سببا في فسقه لأنه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة
معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الإنس والجن كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا
الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله
وبين قول من ضاده وزعم أنه كان ملكا ورئيسا على الملائكة ففسق ولعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس
ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عما أمره به ربه من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا أو صار فاسقا كافرا
بسبب أمر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس
البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق
أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ما أشهدتهم وقرئ ما أشهدناهم يعني الذين اتخذتموهم شركاء لي
في العبادة وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله ما أشهدتهم
خلق السماوات والأرض لأعتضد بهم في خلقها ولا خلق أنفسهم أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا
تقتلوا أنفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا يعني وما كنت متخذهم عضدا أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير
ذما لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح
الخطاب لرسول الله والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه متخذا
المضلين بالتنوين على الأصل وقرأ الحسن عضدا بسكون العين ونقل ضمتها إلى الضاد وقرئ عضدا بالفتح
وسكون العين وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده
إذا قواه وأعانه ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا
ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا يقول بالنون وبالياء وأضاف الشركاء
إليه على زعمهم توبيخا لهم وأراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا إذا هلك وأوبقه
غيره ويجوز أن يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم هو مكان الهلاك
والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك
كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا
يوم القيامة ويجوز أن يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا
بعيدا يهلك فيه الأشواط لفرط بعده لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان فظنوا أي فأيقنوا أنهم مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا قال [illegible] عن عتبة بن [illegible] مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن
للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا أكثر شيء جدلا أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل
إن فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني أن جدل الإنسان

اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا
ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا ان الاولى نصب والثانية رفع وفاعلها
مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك
او انتظار ان يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا
وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق و
اتخذوا آياتي وما انذروا هزوا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن
موطئها وما انذروا يجوز ان يكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروا به من العقاب
او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزأ بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم
الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها
ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا بآيات ربه
بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي
عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل
اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه وان تدعهم الى
الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كالمحال منهم لشدة تصميمهم
ابدا مدة التكليف كلها واذا جزاء وجواب فدل على نفي اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب
ان يكون سببا للاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم
حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم
بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة
الموصوف بالرحمة استشهد على ذلك بتركه مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول
الله بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه
وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود
وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء
الاجناس واهلكناهم خبره ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك
اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما
لا يستأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك او وقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام
مفتوحة ومكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر واذ قال موسى لفتاه لا ابرح
حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا

لفتاه لعبده لقوله عليه السلام ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل ليوشع بن نون وانما قيل
فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد
دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر
لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع
البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين وقد وجد آخر
وهو ان يكون لا يبرح سيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه و
هو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح
ما انا عليه بمعنى الزم السير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين
المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة
وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم و
في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة وروي
انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم
خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب
الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر
في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل
ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اتقى قال الذي يقضي بالحق
ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى
او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين
اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك
فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما
جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه
فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه
انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء
فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا
تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يأمره
فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ
عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضأ

وقيل أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فلما جاوزا فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما راى من حياته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقى على موسى النصب والجوع حين جاوزا الموعد فلم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من العجائب واستأنس باخواته فاعان الالف على قلة الاهتمام قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا أرأيت بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وفإني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وأن أذكره بدل من الهاء في أنسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في ادراجهما يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين قلت لا

تعلم رشد

غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان يأخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك ويأخذ في الانكار وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او لان لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليهما السلام بانه لا يستطيع فوعد بالصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تأخذ الصالح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا قرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول أخرقتها لتغرق أهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع جئت شيئا إمرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهياء إدا إمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقي بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم عليه السلام هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب برأسه

الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين **فان قلت** لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى
اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء **قلت** جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء
قال اقتلت **فان قلت** فلم خولف بينهما **قلت** لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام
قرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة
لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فتقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز
قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا
وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه
جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه **فان قلت** ما معنى
زيادة لك **قلت** زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية
قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا بعدها بعد هذه الكرة او المسألة
فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ
فلا تصحبني فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد اعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون
ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي
موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب
**فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان
ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا** اهل قرية هي انطاكية وقيل الايلة وهي ابعد ارض الله من
السماء ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض
ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا
اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت
الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس
اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل
لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية
والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل
فما بال الارادة قال اذا قالت الانساع للبطن الحقي تقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكى
الي بعيرة ونجم ان يكلمني صادقا وهو صادق ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق
يابى على جبابرة اعناقهم هم اذا انقاد الهموم تمردا ابيا [illegible] قالتا اتينا طائعين
قالتا اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه

من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده
ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل
مطاوع نقضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت
السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل
مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة
ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لجأتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا
مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت
على عملك جعلا حتى تنتعش به وتستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل
منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء **قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا** **فان قلت**
هذا اشارة الى ماذا **قلت** قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه الصلوة والسلم
ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا
اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا
فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به **اما السفينة فكانت
لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا** لمساكين
قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل
خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى **فان قلت** قوله
فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه **قلت** النية به التاخير
وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك
زيد ظني مقيم وفي قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة **واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان
يرهقهما طغيانا وكفرا** قرأ الجحدري وكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان
يرهقهما طغيانا وكفرا فخشينا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء
صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر
او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك
لان الله تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة
ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية
لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك **فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما**
وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروي انه ولدت لهما

جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا
مؤمنا مثلهما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما
صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك
تاويل ما لم تسطع عليه صبرا قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول احمد الحسين واختلف في
الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن
يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه
انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا لقوله تعالى والذين
يكنزون الآية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين
وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام
جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبانا الله انكم قوم
خصمون ورحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك فانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن
امري عن اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا
ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر
كان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة
وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل كان نبيا وقيل ملكا
من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا
باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط
له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه وساله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك
ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر
فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي
صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقا وغربا وقيل كان له قرنان اي
ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروى الروم و
الترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز
ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره و
السائلون هم اليهود سالوه على جهة الامتحان وقيل ساله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين
انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب

في عين حمئة ووجد عندها قوما من كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا
طريقا يوصله اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله
اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع سببا في عين حمئة من
حمئت البئر اذا صارت فيها الحماة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه فقلت الله ورسوله
اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عامر وابن عمرو والحسن وقرا ابن عباس
حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرا معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو
كيف تقرا قال كما يقرا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين
كذلك نجده في التورية والمراد في ماء وطين فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع فراى مغيب الشمس
عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ماء ذي طين وحما اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية
فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا
قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله
جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل او
ان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على
الظلم العظيم الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل بما يقتضيه الايمان فله
الحسنى فله ان يجازي المثوبة الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى
اي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه
وكساه من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغيرها وتقديره
ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم
نجعل لهم من دونها سترا وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان
يجزي الساباط دونها ويده كان آتانا يجزي الساباط على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ان ارضهم لا
تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت
حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه
ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ
سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء
كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس
فتنضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع

اهل الارض كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه
تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من
دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من
كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم
يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم حتى اذا بلغ
بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد
ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح
لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب
بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع
بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق من دونهما
من ورائهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم
وعلي يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة قالوا يا ذا القرنين ان
ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا ياجوج
وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرأ بالهمز عاصم وهما من ولد يافث وقيل
ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون
ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل
السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر خرجا خراجا حمزة وعلي اي جعلا
نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم قال ما مكني فيه ربي خير
فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار
خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم مكنني
بالادغام ومكي فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا
موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين
الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا فحفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس
المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى
اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا
قيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره

فقال كيف رايته فقال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رايته والصدفان جانبا الجبلين
لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة
قال آتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا والقطر النحاس المذاب
لانه يقطر وقطرا منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه و
قرئ قال ائتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما
اسطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ بادغام التاء في الطاء فلاقيا بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه
ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته قال هذا رحمة من ربي فاذا
جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله و
رحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف
ان ياتي جعل السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد اندك ومنه الجمل
الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين
وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وتركنا وجعلنا بعض الخلق
يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم
يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه
ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس
ثم يبعث الله تعالى نغفا في اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين
كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا وعرضناها لهم وابرزناها لهم فراوها
وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتامل معانيه وتبصرها ونحوه
صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به
وهؤلاء كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء
انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا عبادي يعني اولياء يعني الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم
سبحانك انت ولينا من دونهم وقرا ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اي
افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على
الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا
والآية محكمة عينة النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ضل سعيهم ضاع وبطل وهم
الرهبان عن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكواء

سأله عنهم فقال هم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري يأتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال
تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم
لهم يوم القيمة وزنا فلا نقيم لهم وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا نقيم لهم ميزان
لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وترى مثلا فهم بالآيات فان قلت الذين ضل سعيهم
في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون
نصبا على الذم او جرا على البدل ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا جهنم عطف
بيان لقوله جزاؤهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين
فيها لا يبغون عنها حولا الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كما يقال عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى
تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح
الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان
تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا المداد اسم لما تمد به الدواة من الحبر ولما يمد به السراج من السليط يقال
السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد
الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل
المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرأ الاعرج بمدد بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به
وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم
من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
فمن كان يرجو لقاء ربه وان اللقاء بقاء بصار ويقول قد فسر اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد بالنهي
عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب
بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل
ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه
صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض
الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا
يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا
يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ ٥ ٥